

مُولُود قَاسم نَايت بلقَاسم

ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر

أو بعض مآثر فاتح نوفمبر

دار الأمة



مُولُود قَاسِم نَايت بلقَاسِم

ردود الفعل الأولية
داخلا وخارجا على غرة نوفمبر
أو بعض مآثر فاتح نوفمبر





شركة دار الأمة

للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب 109 برج الكيفان 16120 الجزائر

E-Mail: Oummabooks@yahoo.fr

طبعة 2007

إيداع قانوني: 2007 / 3539

ردمك: 0 228 67 9961 978


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ماذا عسى الإنسان أن يقول في تقديم موضوع شائك عن حدث عظيم ؟

إنه ، مهما حاول ، فلن يفيه حقه ، ولن يتخلص من شعور مبهم بثقل العبء ، أمام جلال الموضوع ، وبتقصير ـ غير إرادى ـ تجاه كل من الشهداء ، والأجيال ، والتاريخ .

اما مع الأحياء ... فالأمر معقد وبسيط معا .

معقد ، لأن كلا منا ، أو أغلبنا ، على الأقل ، يود ـ الآن ! ـ أن لو كان ـ أو يقال عنه إنه كان ـ أول من نادى بنوفمبر ... أو ، على الأقل ، أن يكون من أول المنادين ... أو ، على أقل الأقل ، أن يكون من أول المتحمسين في رد الفعل ، بعد الوقوع !

ولكن الواقع ـ أى تسجيله ـ غير ذلك ، مع الأسف ...

وهذا شيء طبيعى ... إنسانى ... فمن من أهل مكة لم يتمن ـ يوم فتح مكة ! ـ أن لو كان مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبى بكر وعلي ـ رضى الله عنهما ـ فى الغار ، وقاسى ما قاسى عمار ، وسمية ، وبلال ؟

ولكن ألا يكفى الواحد منا شرف الاستجابة للنداء ولو بعد لأى ؛ والانضمام الى الركب ولو بعد بدء المسيرة ؛ والالتحاق بالمسجد ولو بعد الأذان الثاني ، ولكن ، على كل ، قبل فوات الصلاة ؟ وليبق الشرف الأول للمؤذن الأول ، والصف الأول ، والإمام !

وإذا ما سمحنا لأنفسنا بمثل من تاريخ خصوم الأمس ، للمقارنة ، قلنا : كم من هازئ بمحاولة دوغول « اليائسة » ؛ وكم من غير مستمع له ، منزو عنه ، متهرب منه ، بعد نداء 18 يونيو ، ادعى بعد ذلك بمدة أنه الموحى له بذلك النداء ، وطالب بحقوق التأليف كاملة ..! وكم من آخرين تمنوا ذلك ، على الأقل مجرد التمني ، بعد السخرية والتهكم والتجني ، وهو ما لم يحدث عندنا ، والحمد لله !

ولكن التاريخ شيء ، والتمني شيء آخر !

والموضوع بسيط ، من جهة أخرى ، لأننى لم انسج من وحي خيالي ، الخصب أو الجدب ؛ بل استقيت كل ما استقيته من تصريحات ، وكتابات ، وبلاغات ، وغير ذلك من المواقف ، من مصادر أهلها ؛ وبعضها من صحف أجنبية ، وكان فى إمكان من ادعى عليه شيء أن يكذب فى حينه !

ثم إنه كان هناك مجال ، بعد استرجاع استقلال الجزائر ، لأهل تلك المواقف ، ليكذبوا ، أو يصححوا ، أو يكملوا بعض ما نشر عنهم وباسمهم ، هذا على فرض عدم تمكنهم من ذلك قبل 1962 ، وهم أحياء عائشون !

ثم إني مستعد لنشر أى رد ، أو تصحيح ، أو تكملة ، فى طبعة ثانية ، إن شاء الله وأمد فى العمر ، سواء جاءتنى من المعنيين ، إن كانوا لا يزالون من بين أهل هذه الدنيا ، أو من

أقاربهم أو أصدقائهم ، إن كانوا هم قد غادروها إلى الباقية ، عفا الله عنهم وعنا ، وغفر لهم ولنا ، ورحمهم وإيانا ، ووقانا من العثرات لبقية الأيام !

هذا قدر كل من يريد ـ أو يراد لـه ـ أن يسجل الأحداث والحوادث ، ويـؤرخ للظروف التـي اكتنفتهـا ، وللأشخاص القائمين بها ، أو المعرضين لها ، وللأمم التي صنعتها أو عانتها : صراع بين واجب التاريخ واختلاجات الضمير ، وارجو أن أكون قد وفقت بينهما !

لقد أرجع أول نوفمبر للجزائر حريتها واستقلالها ، وأعاد لها سيادتها ومكانتها بين الدول والأمم ؛ وساهم إلى أبعد حد ، ومباشرة ، في استرجاع بلدان المغرب كلها حريتها واستقلالها وسيادتها ، بل وفي تحرير المستدمرات الفرنسية في افريقيا كلها ، وضربت الجزائر، بفضله ،بقسط وافر في معركة تحرير العالم الثالث ، وإقعاد المعتدين مقعد خزي وعار !

وكما قال المؤرخ الفرنسي جوليان عـن انطـلاقة مصارعة الجزائر ، تحت قيادة عروج وخـير الديـن وأخويهما إسحاق وإلياس ، في بدء القرن السادس عشر ، ومن أتى بعدهم ، للمد الصليبي الأمبريالي الإسباني والبرتغالي ، ولما تلاهما بعد ذلك من ضراوة المد الأوروبي وشراسته : « إن البادرة الجزائرية غيرت مجرى التاريخ الإفريقي » (١) ، فقد كان فاتح نوفمبر بادرة جزائرية أخرى غيرت ، من جديد ، مجرى هذا التاريخ الإفريقي ، بل وأكثر من الإفريقي !

---

(1) Charles-André Julien :
Histoire de l'Afrique du Nord, p. 14 (1re édition).

والمساهمة في تسجيل بعض مآثر هذه البادرة تعوض المساهم عن كل جهد ومعاناة منه ، وعن عتاب ولوم من أصدقاء ، بل وعن جلب خصوم واكتساب أعداء !

فليست تضحيته هذه بأعظم من تضحيات الشهداء والمعذبين ، ولا بمساوية لها ، وإن شاركتها في الثواب إلى قدر معلوم ، إذ هو تسجيل لانطلاقها وبعض ردود الفعل عليها ، وتأريخ لبعض مآثرها ؛ وهذا وحده عزاء وسلوى عن كل لوم ، وراحة ضمير باستكمال أداء الواجب .



الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاةوالسلام على أشرف المرسلين

حقاً ، إنها لبادرة هامة جدا هذه التي جمعتنا لتدارس جوانب من تاريخنا ، متخذة على المستوى الرسمي الأعلى ، يشارك فيها مسئولون كبار ، ومجاهدون ومناضلون أيام الكفاح التحريرى المسلح ، فى هذا التجمع الكبير الذى هـو مزيج مـن أكاديمية موسعة للعلوم التاريخية ومهرجان شعبى هائل ، لإعطاء الدفع الفاصـل لانطلاق اهتمامنا بتاريخنا ، بالقدر الـلازم الـذى يستحقه ، والذى تعطيه الأمم الواعية تاريخها ، اذ هو الوصل بين الأجداد والأحفاد ، أو ذاكرة الأمم ، كما سماه حكماء أعلام.

« فهو بالنسبة للأمم كالعقل للأفراد » ، كما قال الفيلسوف الألمانى المشهور شوبنهاور ، « يحب كالإنجيل ، ويلقن للصغار ، ويدرس للكبار، بنفس التقديس والإجلال » ، كما قال فيلسوف ألمانى آخر ، يوهان غوتليب فيخته ، فيكون كالإسمنت الروحى لتقوية وحدة الأمة ، والدفع بها إلى الأمام فى ظروف السلـم والحرب، جسما واحدا ، بروحه كاملة، غير منقوصة ولا مهزوزة .

ومن هنـا رأينا الأمم تهتم بـه كل الاهتمام ، ويجعل منـه بعضها ، وخاصة منها الدول الاشتراكية ، مادة أساسية ، تسقط

فى الامتحان ، على جميع مستويات أنظمتها التربوية ، حتى على المستوى الجامعى ، وليس فقط فى كليات ومعاهد الإنسانيات ، بـل حتى فى مجالات العلوم الدقيقة ، ومختلف المعاهد التقنية المتخصصة .

وبدون أن نذهب بعيدا جدا ، فأمامنا فقط، عـلى الشاطىء المقابل للبحر الأبيض المتوسط ، لدى خصومنا بالأمس ، فى فرنسا ــ وهــم الذين لم يهملوا العناية بالتاريخ يـوما ، بـل يتهمون بتمجيد التاريخ أكثر مما يلزم من طرف كثير من الدول الأوروبية ــ نجدهم يطلقون ما سموه بصفارة الإنذار لتدارك ما فاتهم فى مجــال الاهتمام بالتاريخ ، فى أجهــزة التعليم ، والإعلام ، والثقافة ، وعلى مستوى الجماهير .

وهكذا خصصوا السنتين الأخيرتين فى مهرجاناتهم الثقافية السنوية لهذه المادة ، فسموا السنة الجارية (1981) بسنة التراث l'Année du patrimoine ، ظلوا طوال السنة يتكلمون عنه ، ولكن أيضا يتخذون الإجراءات العملية حول كل ما يتصل به ، كما خصصوا السنــة التى قبلها ، 1980 ، كاملة للتاريخ ، وسموها كذلك : عام التاريخ l'Année de l'Histoire ، جندت فيها جميع الشخصيات والأجهزة المتخصصة ، والمهتمة أيضا حتى لو لم تكن متخصصة ، من المعاهد العلمية ، فى مختلف مستوياتها ، وأكاديمية العلوم التاريخية ، طبعا ، ورؤساء حكومة سابقين ، مثل إدغار فور ، وميشيل دوبرى ؛ ووزير التربية ؛ ورئيس الجمعية التاريخية ، ومديرى جامعات ، ومؤرخين ، وأجهزة الإعلام كلها .

وعندما عبر دوبرى عن أسفه لتراخى الاهتمام بالتاريخ فى فرنسا ، توجه اليه وزير التربية ، بولاك Beullac ، فى نفس الجلسة ، مطمئنا اياه، قائلا : « إن فرنسا ستبقى المحور الرئيسى

لتدريس مادة التاريخ . فهي المنطلق والمنتهى معا » . كما أن الرئيس الفرنسي الحالي ، فرنسوة ميتران ، كان أول ما قام به بعد تنصيبه ، زيارة مقبرة عظماء فرنسا وقبر جوريس سلفه ونقيبه .

ومنذ أقل من أسبوع فقط ، بمناسبة موت موشي دايان ، كتب كتاب ومؤرخون ، تعليقا على اهتمام جميع الأحزاب والشخصيات بتأبينه ، أن اسرائيل بلد أساطير pays de légendes، وبلد رموز pays de symboles.

والإنسان عليه أن يستفيد من تجارب الأمم ، كما يقول ابن مسكويه ، فيتعظ بخصومه أحيانا أكثر مما يستفيد من إخوانه وأصدقائه .

ونحن أيضا ، على ما نحن عليه حتى الآن من إهمال للسجلات ، ومن عداء للوثائق ، ومن عدم اكتراث بالألواح ، التي هي لدى الغير محفوظة ، علينا أن نهتم بعد اليوم ، أكثر من ذى قبل ، بسجلات وجودنا بين الأمم ، وألا نهمل أوتادنا التاريخية ، وهي الأعمدة التي نستند اليها ، والركائز التي نتشبث بها ، وشهادة ميلادنا ، والسوابق العدلية لنا ، وبطاقة إنيتنا أو تعريفنا ، ووثيقة وجودنا في سجل الوجود .

وفي هذا السجل ، هل هناك أهم من التذكير بمختلف مراحل تاريخنا ، من عهود المحنة والمقاومة عبر الأزمنة ، وعصور البناء، والحضارة ، والفكر ، والمساهمة في التراث البشرى كله ، ولكن خاصة ، وبصفة أخص : بالمرحلة الأخيرة لكفاحنا التحريرى ، الذى عدنا به الى مجمع البشرية ، واسترجعنا بفضله مقعدنا في منتدى الأمم ؟

ومن هنا فلا يسعنا إلا الشكر للسيد رئيس الجمهورية ، الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطنى ، الأخ الشاذلي بن جديد،

على التعليمات التى أصدرها بهذا الشأن ؛ وللأخ محمد الشريف مساعدية ، عضو المكتب السياسى ومسئول الأمانة الدائمة للجنة المركزية ، على التسهيلات والإجراءات التى اتخذها لتحقيق المشروع ؛ وللأخ الشيخ يوسف يعلاوى ، أمين عام المنظمة الوطنية للمجاهدين ، على العناية التى أولاها هذه الفكرة وتحقيقها ، ولأعوانه الذين سهروا معه ؛ وجميع الأساتذة والإخوان الذين أعدوا إسهاماتهم فى هذه الدراسات والمناقشات.

ولا ننسى ، طبعا ، من بينهم ، قبلهم وبعدهم ، أولائك الإخوة الذين صنعوا هذا الحدث العظيم ، أول نوفمبر ، وشاركوا فيه بصفة أو أخرى ، من مسئولين ، ومجاهدين ، ومناضلين ، وتحياتنا العاطرة إلى شهداء كفاحنا التحريرى على مر العصور !

وسلام على رجال نوفمبر من مستشهد وحاضر وغائب ، من حى أو ذاهب إلى ربه ثائب ، جابه بالأمس الموت غير هائب ، بنية صادقة لا بغرض خائب !

ونكرر الشكر لمن اتخذوا للندوة هذه البادرة ، من نفذوها ومن كانت عنهم الصادرة ، وخاصة اذا أسندوها للكفاءات القادرة ، ذات الأفق الواسع والعزيمة النادرة ، لتصحيح تاريخنا والرد على الخطط الغادرة .

موضوع هام وحساس جدا وضعنى به الشيخ يوسف فى مصيدة ، ولم يدعنى إلى زردة فيها عصيدة ، تتخللها موسيقى وقصيدة ، وإن لم أقل إنها منه مكيدة ، إذ هى واجب مقدس ومهمة أكيدة ! (1)

(1) كان لى ، وربما كان علي ، ان ارفض ، شاكرا على الثقة والدعوة الكريمة إلى تناول هذا الموضوع ، مكتفيا بالسماع والاستفادة . ولكنى ما دمت قبلتها ، وإن على مضض ، وبعد تردد ، فلأقل الاشياء كما هى ، حسب المصادر المتوفرة =

فلا أقل علينا من تسجيل هذه البداية ، والله نسأل خير الهداية ! وإلا فكيف الكلام عن كم من غائب ، وليس فى هذه القاعة عنه من نائب ، اجتهد وظن أن رأيه صائب ، ولكنه إلى الحق سرعان ما هو عائد آئب ، وعن خطئه راجع مكفر تائب ، وفى الجبهة الموحدة منسجم ذائب ، وهو الآن متوفى أو لم يدع أو عاجز شائب ؟

ومع ذلك حقا فسأحاول ، والإنصاف قدر الإمكان ملتزم مزاول ، وبالنص لا أجازف ولا أقاول ، وبالحق لا أراهن ولا أطاول ، وإلا فالمنصة أدع والقول غيرى أناول ، وعلى رئيس الجلسة أن يداول !

فإن وفقت ، وكان لى أجران ، فكلاهما للشيخ يوسف ، وإن أخطأت ، وكان لى أجر واحد ، فهو أيضا للشيخ يوسف ، على أنه إن كان ذنب فالقسمة معه بالتساوى ، إذ لابد أن يشاركنى المساوى !

وقبل أن نتطرق الى ردود الفعل نتساءل : كيف كانت الأوضاع قبل فاتح نوفمبر فى العالم المستدمر المحيط بنا ؟ ثم

= القليلة ، واستعانة بالقرائن البليغة ، واستنادا الى ما نحتفظ به من ذكريات عن أحداث وحوادث عشناها ...

واذ نحلل فسيكون القول صريحا ، وبكل نزاهة ، مع الاقتناع مقدما بان هذا لن يعجب الكثير ... ولكن لا يمكن الجمع ، بالضرورة ، مع الأسف الشديد، بين ما نظنه الحقيقة وإرضاء الإخوة والأصدقاء !

والعزاء لنا هو فى أن الحقيقة أحق بان تراعى ، والحق اجدر بان يتبع ! والعذر للإخوة والأصدقاء ، وهو من كرام الناس مقبول ، وكل بنى آدم خطاء ، كما يقول صلى الله عليه وسلم ، خطأ فى التقدير ، أو فى التصرف ، او فى كليهما ، وان لم يقبل فبحار علينا وعليهم معا !

يبقى السؤال ، والتساؤل : هل أدركنا الحقيقة ؛ ومن الذى أدركها ؟ ولكن إذا كانت العهدة على الراوى ، فعلى المحلل محاولة مراعاة الصدق فى التحليل ... ونرجو أن نكون قد التزمناه .

ما هى الخلفيات ، أو الأسس السابقة ، أو الأوضاع فى الهيئات والفئات عندنا ؟

ونختتم ذلك ، بعد توضيح الأسباب ، ببيان المسببات ، التى هى بيت القصيد ، وهى ردود الفعل على أول نوفمبر داخل الجزائر وخارجها ، لنعرض مواقف الأمس منا ، وإن كانت غير شاملة طبعا لجميع البلدان ، لنقص الوثائق عنها عندنا .

ولئن كانت هذه النبذ التى آتى بها ستعطى فكرة مجملة فقط عن هذه المواقف ، فقد تكون منطلقا لأطروحات دكتوراه دولة لشبابنا ، أو على الأقل لبحوث مستقصية .

وليس ولن يكون القصد منها تذكير هذه الدولة أو تلك ، أو هذه المنظمة أو تلك ، ولا هذه الشخصية أو تلك،فى بلد ما ، بموقفها ، وتحديد موقفنا منها تبعا لذلك ، اذ علينا أن نكون واقعيين... ولكن معرفة هذه المواقف ، عندما تكتمل ، ستساعدنا، مع ذلك ، على الأقل ، على تجنب توزيع شهادات دكتوراه شرفية فى مساعدة ثورتنا على كل من هب ودب ، وعلى من لا يستحقونها بتاتا ، وأحيانا حتى على بعض خصوم قضيتنا ، كما حدث أحيانا كثيرة لبعضنا منذ 1962 ، ولا يزال يحدث . ثم إن هذا جزء هام من التاريخ !

ونبدأ بالأوضاع فى العالم المستدمر ، الذى يقال عنه خطأ إنه مستعمر ، والذى كان كله فى حركة ودوران ، وكانت الأفلاك فى دوران ، تتحرك فيه شعوب مستدمرة متراهنة ضمن الآخر ، ومتسابقة كأنها الأمواج فى البحر الزاخر ، لتعصور البون الشاسع والهوة السحيقة ، بين شعوب حية وأخرى يظن أنها المحيقة ، بعضها على ما حباها الله من حركة حامدة ، وأخرى مستكينة هامدة خامدة ، وبين منظور تلاحق الأحداث حولنا ، والشلل المخيم علينا مسكتنا قولنا !

بهذا نفهم بعض ردود الفعل الأولية على فاتح نوفمبر ، أى فى الأيــام والأسابيع الأولى ، بالنسبة للبعض ، والتى تأخرت أشهرا بل شهورا بالنسبة لآخرين ، قبل أن تنضم عندنا الأغلبية إلى الجبهة التى أصبحت حقيقة جبهة ، لا شك فى ذلك ولا جدال ولا شبهة ، وقبل أن يبــدأ البعض فى الخارج بالتحرك ، ولــو بمجرد الدعاء للتبرك !

الوضع فى سنتى 1953 ـ 1954

فى العالم المستدمر حولنا او المرتبط بنا بطريقة او اخرى

فى أوت 1953 ، بعد نفى المرحوم السلطان محمد الخامس ، كان الغليان يسود المغرب كله : مظاهرات صاخبة ، واضطهاد واعتقالات ، وأعمال فدائية على قــدم وســاق . وكان العالم العربى ، بل والإسلامى ، يموج بالمظاهرات والاحتجاجات ، أى كان اسم المغرب على جميع الألسنة ، وتجرى به سائر الأقلام ، ويدوى فى أجهزة الإعلام فى سائر الدنيا .

وفى تونس كان الكفاح التحريرى المسلح على أشده ، وكان اسم تونس أيضا في جميع أجهزة الإعلام، والمنتديات، والمحافل.

أما فى فييتنام ، حيث كانت الحرب الضروس دائرة ، فكان القبر الأول للاستدمار الفرنسى بصدد الحفــر والتعميق ، ولا يفصله عن حلول الضيف به فى ديان بيان فو إلا سنة بل أقل !

وفى 20 يوليو 1954 تم توقيع اتفاقيات جنيف ، التى تعترف بموجبها فرنسا للفييتنام باستقلاله وبجــلاء فلــول البطــش الاستدمارى الفرنسى عن أراضيه .

وبعد ذلك بأحد عشر يوما بالضبط ، أى فى يوم 31 يوليو 1954 ، حل بتونس رئيس الحكومة الفرنسية ، منديس فرانس ،

بتصريحه الذى « تكرمت » بــه فرنسا عــلى تونس بالاستقلال الداخلى ، وأحيط ذلك بدعاية واسعة من فرنسا عبر العالم .

وفى 10 أوت مــن نفس السنة دائما (1954) ، شــن الجيش الفرنسى حملة واسعة من الاضطهاد على الدار البيضاء ومكناس فى المغرب دام أكثر من أسبوع بالنسبة لفاس ، وزاد ذلك سخطا على فرنسا فى العالم العربى والإسلامى ، ودعاية للمغرب فى العالم كله .

وفى الرابع (04) من سبتمبر (1954 دائما) بدأت المفاوضات التونسية الفرنسية حول تحقيق الاستقلال الداخلى .

وفى 11 أكتوبر (1954) ، نشرت جريــدة « لومــوند » عــلى صفحتها الأولى مقــالا طويلا بحروف بارزة عنوانه : « نتيجة لاتفاقيات جنيف ، فقد انتهى الأمر ! علمنا قــد اختفى مــن هانوى ! وضباط فرنسيون كانوا يبكون ! » (2) .

"Conséquence des accords de Genève :
C'est fini ! Nos couleurs ont disparu de Hanoi ! Des officiers français pleuraient".

وهذا ما كانوا يخافون أن يقــع لهــم فى الجزائر ، جوهرة مستدمراتهم ، بل عاصمتهم الرسمية بعــد سقوط باريس فى الحرب العالمية الثانية !

وفى 19 أكتوبر (1954) تم توقيع المعاهدة المصرية البريطانية فى مصر بين الرئيس جمال عبد الناصر ووزير الدولة البريطانى أنتونى ناتنغ Antony Nutting ، التى تنص على خروج بريطانيا من قناة السويس ، وتم بهذه المناسبة إعلان « استقلال مصــر لأول مرة منذ 20 يناير 1517 » ، كما صرح بذلك أحد القــادة المصريين ، أى منذ حلول الخليفة العثمانى سليم الأول بالقاهرة !

(2) - Le Monde, 11 octobre 1954.

وفي 20 أكتوبر (1954) تم بين البانديت نهرو وسفير فرنسا في الهند توقيع الاتفاق الفرنسي الهندى على خروج فرنسا من بوندى شيرى ، وابتداء من فاتح نوفمبر 1954 تتولى الهند إدارة ولايتها ، ولم يعارض في فرنسا إلا جماعة ديغول ، وجلا الفرنسيون عنها بعد ثلاثة قرون ، فقالوا :«أوروفوار بوندى شيرى ! (3) (Au revoir, Pondichéry !)» وقالت هى : « أديوبور توجور مى شيرى » (4) . (Adieu pour toujours, mes chéris !)

وفي هذا الجو العام ماذا كان في الجزائر ؟ بماذا كانت تطالب المنظمات والهيئات ؟ وبماذا أخذت تنادى الأحزاب والفئات ؟ فلننظر إلى ما بقى لديها من شجاعة ، وظلت تدعيه من فعالية أو نجاعة ، بل وما كانت تهدد به الأمة من مجاعة ، من خلال مطالبها اللينة الخفيفة ، التي وإن صدرت عن النوايا العفيفة ، فقد كانت الضعيفة بل الطفيفة !

ففي الأسبوع الثالث من أكتوبر (1954) ، الذى استعرضنا منذ لحظة بعض ما وقع فيه من أحداث في العالم المحيط ، وقبيل فاتح نوفمبر بأسبوع واحد ، جاء وزير الداخلية الفرنسى ، فرانسوة ميتران ، في « زيارة » للجزائر ، فذهب إليه وفد مشترك من سائر الأحزاب والهيئات ، عدا المصاليين ، لطلب مقابلة ، فلما رفض استقبالهم ترك له الوفد الهمام رسالة ... وها هى قائمة المنظمات المشتركة في الرسالة ، حسب الترتيب الوارد فيها :

المركزيون ، والبيانيون ، والعلماء ، والشيوعيون ، والنقابة الشيوعية في الجزائر « وشخصيات أوروبية مستقلة » موجودة اسماؤها في القائمة المنشورة . (4 مكرر)

(3) إلى اللقاء !
(4) وداعا إلى الأبد ، بدون عودة ، يا « أعزائى » !
(4 bis) - La Nation Algérienne, 22 octobre 1954.

أما الرسالة ، فها هى زبدتها كما وردت فى الصحافة :

« ... اننا وإن كنا لا يستمع إلينا فى الدوائر الحكومية ، فنحن الأصوات **الوحيدة الممثلة أصالة للشعب الجزائرى .**

« وبقطع النظر عن معارضتنا للنظام الاستدمارى ، فها هى بعض مطالبنا المختارة والمستعجلة (choisies et urgentes) :

« 1 ـ إطلاق سراح المسجونين السياسيين الذين لم يفعلوا أكثر من استعمال حرية التعبير التى كانوا يظنون أن فرنسا جعلت منها قاعدة .

« 2 ـ حرية الانتخابات ومنع تزويرها ، مثلما حدث للمجلس الجزائرى ، الذى فقد قيمته ، مع أن البرلمان الفرنسى هو الذى أنشأه عن طواعية منه وحرية اختيار .

« 3 ـ احترام الحريات الديمقراطية ، وخاصة منها حرية الصحافة ، والاجتماع ، والنقابة ، والدين (الحريات الأربع !) .

« 4 ـ تطبيق النقاط التقدمية من دستور الجزائر مثل حرية الدين ، وإلغاء نظام الحكم العسكرى فى الجنوب ، وإلغاء البلديات الممتزجة ، وتعليم اللغة العربية ، كما نلفت نظركم إلى كارثة الزلزال فى الشلف ، التى لم تعمل الإدارة أى شىء لها » .

هذا فحوى ما كان فى الجزائر ، وكان كل من سمع بالجزائر ، ولم يكونوا كثيرين ، حتى فى العالم العربى ، يتساءلون : « والجزائر ؟ ».وربما كان أكثرنا حرجا ، وقد كنا إذ ذاك فى القاهرة ، هم أعضاء مكتبنا فى شارع عبد الخالق ثروت باشا ، ولم اقل إنهم قصروا وحاشا ! وكانت الدنيا كلها قائمة ،

وللجزائر عاتبة لائمة ، والأسئلة لهـا وعنها دائمة ، وهى عن الجواب عاجزة صائمة ، وفى خلافاتها غارقة عائمة ، وعن غير ذلك غافلة نائمة ، ساهية ضالة وعلى وجهها هائمة ، كمعتوهة ضائعة سائمة !

كان كل من يعرفونها وكانوا قلة ، من كل عنصر ولون ولغة وملة ، يشفقون عليها مما كانت فيه من مهانة وذلة ، ويتساءلون : كيف أضاعت كل ما كان لديها من مـزية وخلـة ، وتعبوا فى البحث ولم يجدوا لذلك من سبب أو علة ، وناداها كل محب لها فى الشارع والمسجد والنادى ، وكلت الحنجرة وبـح المنادى ، ولا جواب اذ لا حياة لمن تنادى !

نكون ظالمين للحقيقة لو قلنا إن شعبنا لـم يكن دقيق الوعى بذلك ، أو انه لم يكن يشعر بنوع من الحرج بل الخزى . وان الأحزاب المختلفة عندنا غير حاسة بدقة الموقف ، وبأنها فرصة ذهبية ربما ضاعت إلى الأبد !

ولكن لقد أسمعت لو ناديت حيا ، كأن لم يعد هناك حيـاء على محيا ، أسلخته أم شويته شيا ، أصرخت فى وجهه أم كويته كيا ! يأس وقنوط وتشاؤم لدى الشعب ، الذى أصبـح يسوى بين السهل والصعب ، سـواء فى ذلك الرجال وربات الكعب ، وتساؤل وسخط لدى كـل فاضل ، مـن شعبى عادى محـب أو مناضل !

فالأحزاب الثلاثة : حركـة انتصار الحريات الديمقراطية ، باسمها العلنى الرسمى ، أو حزب الشعب الجزائرى ، كما هو الأصل والمفضل لدى المناضلين والشعب ؛ والاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى ، والحزب الشيوعى الجزائرى ، التى أصبحت بقدرة قـادر أربعة ، بانقسام حركة الانتصار الى حزبين ، أو رأسين بجسم واحد ، قد أمست كلها فى غفلة عن العالم تقريبا ،

وعن نفسها بالذات ، وكل منها لا يرى إلا خصمه للسباب ، والشتم ، والنزاع ، والتهم المتبادلة ! وكيف لا يؤثر هذا كله بعد ذلك في ردود الفعل على أول نوفمبر ؟ هذا وحده ، فضلا عن المنطلقات المذهبية بالنسبة للبعض ، وحالتها النفسية ووضعها الجديد ، بالنسبة لأخرى ...

وكان معجزة فى هذه الحال أن يقوم أول نوفمبر ! نعم ، ماذا كان فى ساحة الجزائر فى صائفة 1954 فى المجال السياسى البحث ؟

نضطر ، مع الأسف ، بحكم الواقع إذ ذاك ، إلى أن نبدأ القائمة بـ :

1) **القوم التبع من اصحاب القنانير** ، عبيد الشوائع والدنانير ، النائمين وقوفا لا يطردون عن أعينهم الزنانير (5) ، سواء منهم المفتون و « شيوخ العرب » والباشاغاءات ، وسائر المندوبين والأعيان الببغاءات ، من النواب والديبوتيات والسيناطورات ، وترجمانات وخواجات الأدمنستراطورات ، والقياد والشنابط ذوى الطرطورات (6) ، سواء منهم الجهال المعممون المبرنسون ، أو الدكاترة المطربشون المفرنسون ، لأننا نجدهم دوما فى الميدان ، يمسحون الأحذية ويداسون كالديدان ، اذ كانوا كالألف لا شأن عليه ، كما يقول الكيسائى وسيبويه ، وتؤكده تجارب ابن مسكويه ! (6 م) .

---

(5) نوع من الذباب الصغير الملح فى التصاقه بالوجه .

(6) الطرطور فى الدارجة المصرية غطاء يوضع على الرأس مثير للسخرية والضحك ، ويقصدون به حامله الذى ينظر الى جميع الناس باستغراب وهو ماض لا يتأثر بشيء ولا يدرك شيئا !

(6) مكرر : تجارب الأمم .

2 ـ **أما الحزب « التقدمي » الأممي الشيوعي**، داعية الاندماج والذوبان الميوعي، والساعي الى المسخ والتجنيس (7) والانحلال الذيوعي (8)، فالوطنية والأصالة والشخصية لديه عين الرجعية (9)، شعرا كان التعبير عنها أو سهلا ممتنعا أو

(7) لقد طالب أمينه العام المرحوم عمر أوزقان سنة 1943 « بحق التصويت للجزائريين المتزوجين بالأوروبيات، إذ يعيشون على الطريقة الفرنسية، أولادهم فرنسيون بالضرورة تبعا للأم، ويتلقون تعليما فرنسيا ».

(Liberté, 30 décembre 1943)

(8) الذيوعي: كالشيوعي، مبنى ومعنى، أى داعية الانتشار والشيوع والذيوع لفكرة معينة، والسياق هنا معروف.

(9) الموضوع هنا ليس عن الشيوعيين، طبعا، ولا عن غيرهم، بل هو إعطاء لمحة تاريخية عن المواقف السابقة لأول نوفمبر لفهم ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر! ولهذا نكتفي هنا بإشارات فقط تعطى فكرة، وإن كانت هى فى نفسها لا تقل دلالة عن كتاب أو دائرة معارف.

فبخصوص موقفهم من الوطنية هاك هذا النص:

« تنبغى محاربة الاتجاهات الوطنية للأقلية الأهلية المثقفة بكل حزم، كما يجب فضحها بكل الوسائل فى أعين مواطنيهم من نفس الدين، وينبغى التنديد بكل عزم وتصميم بالوطنيين، وإعطاء الأهالى انطباعا راسخا من القوة ... وذلك أن قيام حركة أهلية حاليا سيكون لها فى حالة نجاحها أوخم العواقب على الأوروبيين.

« فالمسلمون، اذا ما انتصروا، لن يترددوا فى ذبح الرجال، وتحويل النساء والأطفال الى إماء وغلمان: أى الى رقيق. ففى حالة النجاح هذه ستكون النتيجة حتما هى انهزام الاشتراكية، وتقهقر الحضارة ». (انظر التحقيق الذى قام به فى ربيع 1921 المؤرخ الفرنسى شارل أندريه جوليان، فى كتاب زميله شارل روبير آجرون: السياسات الاستدمارية فى المغرب، مارس 1972، ص 187):

(Les politiques coloniales au Maghreb, Charles-Robert Ageron, mars 1972, p. 187)

أما عن الدين الاسلامى، فيكفى هذا النص (وهناك أخرى كثيرة):

« ان التعصب لا يزال اليوم لدى الاهالى (les indigènes) بنفس القوة كما كان فى الايام الاولى من الهجرة (النبوية). فأصغر مرابط يدعو اليوم الى الجهاد يجد انصارا ...

« ولهذا يجب علينا الاستحواذ على المرأة التى يغذى جهلها فى العائلة الاسلامية الحقد على الرومى. فبعد سبعين سنة من الاستدمار لا يزال العربى، كما كان، فطريا، بدائيا، فكره مقيد بالعرف، وترهقه كل التقاليد، تماما كما كان فى القرون الاولى من الهجرة ».

انظر نفس المرجع، وهناك نصوص أخرى اتخذت فى المؤتمر الاشتراكى (كما كان يسمى الشيوعيون حتى 1920) فى قسنطينة 1902 عن « اللغة القومية التى لا ينبغى أن تكون إلا الفرنسية حتى فى مجال الدين الاسلامى، كما يجب إغلاق المعاهد الاسلامية ». Paoli : (Les Congrès socialistes algériens).

بالمحاولات السجعية ، ثـم لم الاستقلال والمشكل كلـه مكافحة البطالة ، وأعز ما يطلب (10) الخبز فلم الإطالة (11) ؟

ثم انه كان رهين المحبسين ، وهما :

أولا : الأقلية الأوروبية التي يقوم عليها أساسا والمفروض عليه الارتباط بها ارتباطا وثيقا ، كما سيبدو ذلك واضحا من مثل واحد أو اثنين من نصوصه الرسمية .

وثانيا : تبعيته لحزب آخر خارج الوطن ، ويصفه هو نفسه في نصوص رسمية بالكبير ، ويفتخر في نصوصه بأنه يعمـل تحـت توجيهاته ومراقبته وإشرافه ، وهـو الحـزب الشيوعي الفرنسي ، الذى ظل يتولى عليه مدة طويلة الوصاية المباشرة ، وبقي أسـيرا لأطروحة أمينه العـام في ذلك الوقت ، موريس طوريز ، مقيدا بها طـوعا ، أو كرها ، حتى في أثناء الكفاح التحريري ، وليس فقط عند بزوغ أول نوفمبر ، كما سنرى .

وهذه الأطروحة هي تلك التي أطلقها موريس طوريز يوم 11 فيفرى 1939 في اجتماع له هنا في العاصمة ، وهي التي ظلت تتحكم في سلوك ومواقف الحـزب الشيوعي الجزائرى ، وظـل يرددها حتى بعد فاتح نوفمبر ، بل استمر طوريز نفسه يرددها ويرددها معه أصحابه حتى 02 مايو 1956 (12) ، إذ كتب إذ ذاك فقط بنفسه :

---

(10) أعـز مـا يطلب ، عنوان كتاب للمهدى بن تومرت ، مؤسس دولـة الموحدين مع عبد المؤمن بن علي .

(11) أوردنا في هذه الدراسة عدة نصوص عن الإلحاح على الخبز من هذا الحزب كشعار .

(12) - Jacques Duclos : La France et l'Algérie (p. 9-10).
Etienne Fajon : La lutte pour la paix en Algérie, 13 avril 1956 (brochure).
M. Egretaud : La réalité de la nation algérienne, Ed. Sociales 1959, chap. 5.
Bulletin de propagande, comité central du PCF,02 mai 1956, p. 2.

« والآن ، باتفاق مع التاريخ ، ومع الحياة التى تتطور وتتقدم ، فقد عدلنا عن صيغتنا ، وأصبحنا نتكلم الآن بحق عن الواقع الجزائرى ، وهى الأمة الجزائرية المتكونة .

« وإن إنكار وجود أمة جزائرية لهو الآن إنكار لما هو واضح بالبداهة » (13) .

ما هى هذه النظرية التى كان نادى بها هنا فى الجزائر يوم 11 فيفرى 1939 ، ويقول ، بعد 02 مايو 1956 ، إنه عدّل منها ، وأصبح يعدل عنها ؟

قال موريس طوريز فى خطابه فى عاصمة الجزائر ، يوم 11 فيفرى 1939 ، عن مفهوم الأمة ، بخصوص الجزائر ، ما ترجمته حرفيا ، وليس الخطاب كله طبعا :

« **هناك الأمة الجزائرية التى هى فى طور التكوين** والتى يمكن تسهيل تطورها ومساعدتها بمجهود الجمهورية الفرنسية . ألا يوجد فيما بينكم الآن أحفاد لتلك الشعوب التى لم تتطور تماما ، ولكنها على درجة من الحضارة بحيث جعلت من أراضيها مخزن القمح لروما القديمة ، اقصد أحفاد أولائك الأمازيغ الذين أعطوا الكنيسة الكاثوليكية القديس أوغسطين ، أسقف عنابة ، والقديس المتمرد دونا (Saint Donat) ؟

« وأحفاد أولائك القرطجيين ؛ وأولائك الرومان ؛ وأحفاد جميع أولئك الذين ساهموا طيلة أجيال عديدة فى ازدهار حضارة لا تزال آثارها تدل عليها اليوم فى تبسة ومداوروش ، اللتين زرناهما منذ أيام ؟

« وأبناء العرب الذين جاءوا حاملين راية الرسول ، وأيضا أبناء الأتراك ، الذين اعتنقوا الإسلام وجاءوا بعدهم كفاتحين

---

(13) - Maurice Thorez : Textes choisis sur l'Algérie, Paris ; Editions Sociales, p. 40.

جدد ؛ وأبناء اليهود الذين استقروا علـى هذه الأرض بأعداد كبيرة منذ قرون طويلة ؟

« جميع هؤلاء امتزجوا فوق أرض بلادكم ، الجزائر ، وانضم اليهم يونـان ، ومالطيون ، وأسبان ، وطليان ، وفرنسيون ، إيه ! يا لهم من فرنسيين ! إنهم فرنسيو جميع ولاياتنا ، ولكن بصفة خاصة فرنسيي أراض فرنسية هي كورسيكا ، والسافوة، وفرنسيي الأرض الفرنسية في الألزاس ، الذين جاءوا إلى هنا سنة 1871 كيلا يصبحوا ألمانا !

« مـن هؤلاء كلهم هناك أمة جزائرية في طـور التكوين ، خليطا من عشرين جنسا » (14) .

ولقـد ذكر لنا موريس طوريز هنـا أحـد عشر جنسا مـن « العشرين الذين تتكون منهم هذه الأمة الجزائرية » التي كانت إذ ذاك ، أي يوم 11 فيفري 1939 ، « في طور التكوين » !

ولم يقل لنا ما هي الأجناس التسعة الباقية ! أهي من الإنس أم الجن أم الملائكة ؟ فترك بدون تفصيل هذه الأطروحة الشائكة، التي استغلتها دولته التي كانت للمؤامرات هي الحائكة ، وللصيغ الباطلة منذ 1830 هي اللائكة !

وأضاف إلى هـذه المعلومات « القيمـة » في نفس الخطاب ما يلي :

« وعندما أقول : فرنسيي الجزائر ، فإني اقصدكم جميعا : أنتم الفرنسيين الأصليين ، وأنتم معشر الفرنسيين المتجنسين ، وأنتم الإسرائليين ، وأنتم أيضـا (et vous aussi) ، معشر المسلمين العرب والأمازيغ ، فكلكم أبناء الثورة الفرنسية الكبرى ، إن

(14) - Maurice Thorez : Oeuvres. Ed. Sociales, Paris, livre III, tome XVI, p. 174-186.

لـم يكن ذلك بدمائكم ، فبقلوبكم ، تلك الثورة التى لـم تكن تعرف أدنى تمييز بين الأجناس ، والأديان ، عندما كانت تؤكد أن الجمهورية الفرنسية وحدة لا تتجزأ » !

وزبـدة هذين النصين هى التى نجدها يتكرر التذكير بها ، نصا أو اشارة ، فى جرائد « الحزب الشيوعى الجزائرى »،مـع الشرح والتوضيح ، عـلى لسان اللجنـة المركزية للحزب ، أو ببادرة من جريدتيه «الجزائر الجديدة» بالعربية ، وكانت شهرية، و « الحرية » «Liberté» بالفرنسية ، وكانت أسبوعية .

فلقد ذكرت بذلك اللجنة المركزية في يوليو 1946 ، ثم ذكرت به جريدة « الحرية » «Liberté» ، ثم « الجزائر الجديدة »، بمناسبة عيد الميلاد الخمسين لموريس طوريز ، « اعترافا له من الجزائريين بجميله » (15) .

ثم ذكرت به « الجزائر الجديدة » مرة أخرى فى عدد شهـر ديسمبر تحت عنـوان : « الحزب الشيوعى والحـركة الوطنية الجزائرية » بحروف بارزة جدا فتقول :

« عرف الرفيق موريس طوريز الجزائر بقوله : « **إنها أمة فى طـور التكوين** » . وان الشعب الجزائرى ليعترف بفضـل الحزب الشيوعي الفرنسى ، ويقر بما لزعيمه الأكبر ، موريس طوريز ، من أياد بيضاء على الجزائر » (16) .

وفى روح تصريح طوريز عادت مرة أخرى فى نوفمبر 1953 إلى الموضوع ــ وربما عادت إليه مرارا أخرى قبل ذلك وبعده ولم أطلع عليه ، اذ لم أجد جميع أعداد الجريدة ، ــ وتقول فى افتتاحيتها : « وهكذا فإن الحوادث ترينا مرة أخرى أن طريق

---

(15) الجزائر الجديدة ــ ابريل 1950 .
(16) الجزائر الجديدة ــ ديسمبر 1950 .

الحرية يمـــر باتحاد الشعب الجزائرى ، وبكفاحه فــوق تــراب الوطن ، وباتحادنا مع الشعب الفرنسى » (17) . أما « الحرية » « Liberté »، الصادرة بالفرنسية ، فهى أوضــح بكثــير ، وينبغى الاعتراف لها حقا بهذا الوضوح وبهذه الصراحة !

والمقصد من هذه الأطروحة عن الأمـــة الجنينية ، فى طــور التكوين من عشرين جنسا ، هو أن الجزائر لــم تتبلور بعد لأن تكون أمة ، ولم تنضج ، ولا يمكن أن تكون جسما قائما بذاته ووحدة مستقلة ، وهى ذلك المزيج المزركش والخليط المتعــدد

---

(17) ونفس الشيء من حيث موقف الحزب الشيوعى الفرنسى من القضية الجزائرية نفسها حتى بعد فاتح نوفمبر : فزيادة عن تصريحه يوم 10 نوفمبر 1954 ، الذى سيأتى عند الكلام عن ردود الفعل على فاتح نوفمبر ، فقد ظــل يساند الحكومة الفرنسية فى سياستها العدوانية مدة ، ونورد هنا فقط مثلين اثنــين :

1 ـ صوتت مجموعة نواب الحزب الشيوعى فى البرلمان الفرنسى ، وعددهم 150 نائب ، أى الــربع بالضبط فى ذلك الوقت مــن مجموع الستمائة عضو المتكون منهم البرلمان الفرنسى ، صوتت بالإجماع ، بدون معارضة واحــدة ، ولا امتناع نائب واحد عــن التصويت ، صوتوا بالموافقة عــلى تخويل حكومة غى مولى « السلطات المطلقة فى الجــزائر » فى 12 مارس 1956 ، وجــروا فى تيارهم ، باسم التضامن الحزبى ، حتى الفيلسوف روجى غارودى Garaudy ، الاستاذ بجامعة باريس ، الذى كان اذ ذاك نائبا فى البرلمان وعضوا فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى ، بينما نجــد فيلسوفا آخــر ، سارتر Sartre ، ينتقد ذلك بشدة فى عدد مايو 1956 من مجلة Les Temps Modernes ، أى حتى بعد رد موريس طوريز على النقد الموجه إلى حزبه من أجل موقفه الشنيع المخزى هذا .

فإجابة على نقد هذا الموقف من جهات متعددة ، قال موريس طوريز ، الكاتب العام للحزب الشيوعى الفرنسى اذ ذاك ، مــا يــلى : « **ان الحــزب الشيوعى الفرنسى لم يــرد أن يضحى بالكــل من أجــل الجزء** ، بــل أخضع موقفه فى مسألة جد هامة حقا (وهى الجزائرية) ، ولكنها مع ذلك محدودة ، للاهتمام الجوهرى الذى يلهم مواقفه ، وهو : الحفاظ على امكانيات تطوير واسع للجبهة الموحدة مع العمال الاشتراكيين . (حزب غى مولى ، رئيس الحكومة الفرنسية) ، مما يؤدى الى نتائج كثيرة ، منها حتى إيقاف النار والحــل السلمى للمشكل الجزائرى .

« ومن هنا فالنواب الشيوعيون لهم الحق فى عــدم تعريض هذا التخطيط العام للخطر ، وفي عدم تعكير أفق التعاون مع الاشتراكيين من أجل نقطة خاصة من نقاط السياسة العامة لا يتفقون فيها معهم ». (انظر :

(L'Humanité, 27 mars 1956 :

من أجناس غير متجانسة بعد ، وأدنى تحريك قد يؤدى إلى تصادم ، وعرقيات ، ونعرات ، وعنصريات ، وحساسيات ، وتنافر ، وصراع .

ولذا فهى لا تزال محتاجة ، ولمدة ، إلى وصاية تضمن تمازج هذه المتنافرات وتماسكها ، بل وتضمن لها مجرد التعايش السلمى !

ماذا تقول اذن جريدة « الحرية » ، ومتى عادت الى قوله بالضبط للمرة الألف منذ 11 فيفرى 1939 ، وعادت إليه «الجزائر الجديدة» ، كما سنرى ، حتى بعد فاتح نوفمبر ، وتمسك به الحزب الشيوعى الفرنسى حتى 02 مايو 1956 ؟ كان ذلك فى عددها الصادر يوم 02 سبتمبر 1954 ، بأقل من شهرين من أول نوفمبر تحت عنوان :

« **الجزائر أمة فى طور التكوين** » تقول فيه ، مما تقول :

« **لا يقدّر أحد أحسن من الشيوعيين الجزائريين الواقع الجزائرى ، لأنهم يطرقونه من وجهة نظر ماركسية ـ لينينية ، أى بطريقة علمية .**

« **فالجزائر يسكنها حاليا عنصران أساسيان ، هما تسعة أعشار من المسلمين (من أصل عربى وأمازيغى) وعشر واحد من جزائريين ذوى أصل أوروبى ، وهؤلاء الأخيرون أقلية** هامة جدا يجعل وجودها من الجزائر الحديثة غير الجزائر التى كانت سنة 1830 !**

« إن الشيوعيين يأخذون أيضا بعين الاعتبار الماضى التاريخى للجزائر . فهم لا ينسون أن أساس سكان البلاد هم من الأمازيغ ، ولكن أثناء العصور تتابعت وامتزجت على هذه الأرض الجزائرية أجيال من بلدان عديدة ، وأجناس متنوعة ، وأديان مختلفة :

من فينيقيين، ورومان، وعرب ، وأتراك، وأسبان، وفرنسيين، وكاثوليك ، ومسلمين ، ويهود ...

« وهذه العناصر المختلفة قد أخصبت الجزائر بعملها ومعارفها . وليس هناك أحد من أحفادها يستطيع أن يدعى على أساس صحيح أن الجزائر له وحده .

« فمن منطلق هذه الحقائق الملموسة ينتهي الشيوعيون إلى تصور هذه **العناصر كلها على أنها أمة جزائرية في طور التكوين** » . (18)

هذا ما كتبته « الحرية » إذن في 02 سبتمبر 1954 شرحا وتوضيحا للأطروحة التى تقدم بها موريس طوريز في 11 فيفرى 1939 ، كمصنف وضع له الحزب شروحا وحواشي عدة مرات ، كما ذكرنا ، وكان هذه المرة أوضح من أى وقت مضى ، كما نرى .

وفى آخر هذا المقال ، الذى هو حلقة من سلسلة من المقالات تحت عنوان : « السياسة الوطنية للحزب الشيوعى الجزائرى »، بحروف هي أبرز عنوان على الإطلاق فى الجريدة بعد اسمها ، تذكّر الجريدة بشعار آخر ، صاغه موريس طوريز ، بنفس المناسبة ، هنا في الجزائر أيضا ، وهو « أن حق الطلاق لا يستلزم الطلاق بالضرورة » (19) . وضربت مثلا لهذه النظرية المخبوطة غير المضبوطة « بمقارنة بين البلدان الإسلامية التى اندرجت فى إطار الاتحاد السوفييتي وفنلندا . فكل من هذه وتلك كان لها الخيار فى الطلاق أو الالتحام . فالبلدان الإسلامية التى اختارت الالتحام مع روسيا هى الآن فى بحبوحة من العيش

(18) - Liberté,02 septembre 1954.

(19) وقد ظل يكررها حتى 10 اكتوبر 1955 . انظر :
(Le Monde, 12 octobre 1955)

السعيد   وفنلندا التى فضلت الطلاق لا يزال يثقل كاهلها استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، ولا تزال تعانى ما تعانى » (19 ـ 1) .

إن الغاية واضحة ، وإن من البيان لسحرا ! وهذا كله بأقل من شهرين قبل فاتح نوفمبر 1954 !

وفى هذا القدر أكثر من كفاية . وسأعرض ردود الفعل الأولى لدى الحزب الشيوعى الجزائرى غداة فاتح نوفمبر بدون أى تعليق ، اعتمادا على هذا الأساس العريض ، نوعا ما ، والضرورى ، اذ يختصر علينا الطريق ، فيما بعد ، ويشرح لنا لماذا كانت ردود الفعل كذلك، وما كان يمكن أن تكون غير ذلك!

3) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

وكانت هناك جمعية العلماء بطبيعتها ومهامها الروحية والتربوية التى كانت تكفيها ، وبمشاركتها فى الأحداث وميولها التى كانت تبديها أو تخفيها ، وما كان لها من تحالفات حزبية تثبتها أو ترد عليها بقوة أو تنفيها .

ولله در مفدى زكرياء اذ يقول فى رائعته « إلياذة الجزائر » : (19 ـ 2) :

وفى الدار جمعية العلماء   تغذى العقول بوحى السماء

وتهدى النفوس الصراط السوى   وتغرس فيها معانى الإباء

تواكب نجم الشمال اندفاعا   وتغمر أكوانه بالسناء

(1 - 19) Liberté,02 septembre 1954

(19 ـ 2) هى فى الجزء الأول من كتاب « الملتقى السادس للفكر الإسلامى » ، نشر وزارة التعليم الأصلى والشؤون الدينية ، مطبعة البعث ، قسنطينة .

ويعضد باديس فيها البشير ، فتزخر بالخلص الأصفياء
وتغزو الضلالات في التائهين ، مع الوهم ، في موكب الأغبياء
وترسي جذور الأصالة في الشعب ، تمحو بها وصمة الدخلاء

وتبني المدارس عرض البلاد فيعلي ابن باديس صرح البناء
ويرتاع مستعمر مستبد وتخشى الخفافيش نبع الضياء
ويرهب ظل الأسود ابن آوى ويؤذى المنافق صدق النداء
كذا عبد العلماء الثنايا بوحي السماء ، ووحي الدماء

شغلنا الورى ، وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر

4) الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائرى :

أما البيان ، فقد تطور رئيسه من حيث مفهوم الأمة (20) التى وجدها أخيرا عند بعض الأكابر (21) ، بعد أن بحث عنها طويلا في سائر المعابر ، ونبش سراديب وأعماق المقابر ، وما ترك حتى زوايا المخابر ، وناداها بقوة من أعلى المنابر ، وملأ في السؤال عنها كل المضابر ، بل واستنفد في بلاغات العائلات المحابر ، علها حشرت مع الأمم الغوابر ، وأرهق نفسه في ذلك

(20) انظر مثلا فى جريدة الجمهورية الجزائرية La République Algérienne بتاريخ 08 أكتوبر 1954 حيث كتب مقالا تكلم فيه عن الأمة Nation الجزائرية ، بعد أن انكرها مدة طويلة منذ 1936 م . وقال إنه بحث عنها الأحياء والموتى ، وسال عنها المقابر والتاريخ الخ - فلم يجد اى أثر ... لوجودها حاضرا ولا ماضيا ..

(21) نقصد هنا الرد المعروف للإمام عبد الحميد بن باديس عليه في الشهاب (ج 9 ، م 13 ، ص 403 ــ 406 ، عدد نوفمبر 1937) . حيث قال لـه فيه : « أن الامة الجزائرية موجودة » الخ . وكلمة « الأكابر » هنا مأخوذة من الصيغة التقليدية « أكابر العلماء » ، مدحا لا قدحا ، طبعا .

جسما وعاطفة وفكرا ، فلم يجد لها رغم كل ذلك أبدا ذكرا ، لا عجوزا ولا عانسا ولا عذراء بكرا !

أما من حيث الدولة فلم يبرح بعد اللاتينية (22) ، إذ ما زال عند مفاهيم أدركتها المنية ، وإن كان ذلك لا شك عن اجتهاد وحسن النية ، إذ رغم تلك اللائكية والعلمانية ، فالرجل مؤمن حقا بالروحانية !

أما في الجانب السياسي ، فقد ظل متعلقا بنجاعة الاستقلال الداخلي كمرحلة ، تاركا الدفاع ، والخارجية ، وسك العملة ، هذه الأمور كلها التي هي من صميم السيادة ومعالم الاستقلال ، للجمهورية الفرنسية ، التي ستقيم الجزائر معها نوعا من الاتحاد ، إذ كانت فرنسا تعلن ، من جانب واحد ، أنها « الأم المتبنية » ، مع علمها أنها كانت المتجنية ، وتعرف أن الإسلام لا يعترف بالتبني ، وأنه لا يرضى بذلك التدني ، وكنا لا نزال مسلمين على الأقل جزئيا وشكلا ، بدرابيك الأعراس وفي بعض الكلام وأكلا ، وما كنا نعاني اليتم وإن أشبعتنا شتما وركلا !

وبقي البيان بهذه المفاهيم والأفكار ، وظل يكررها كما تردد التراتيل والأذكار ، إذ عششت في أمخاخه التي أصبحت لها البؤر والأوكار !

وهنا أيضا لله در مفدي زكرياء إذ يقول في نفس الإلياذة :

أفاق من الوهم حزب البيان فأسلم للمخلصين العنان (1)
وزايله الشك في أصله فمدت لحزب البيان اليدان

(22) وهذا حتى بعد فاتح نوفمبر ! انظر مثلا La Rép. Alg., 12-11-1954 وسنعود إلى هذا في باب ردود الفعل على أول نوفمبر .

(1) إشارة الى إقلاع فرحات عباس عن تساؤلاته ، اعترافا بالحق ، والرجوع إلى الحق فضيلة .

وأوحى اندماج فرنسا اندما   جا لحزبين مرماهما توأمان(2)
فبارك باديس جمع الصفوف ،   ودشن باديس عهد الأمان
ويوليوز والملعب البلد   ى، وأحمد يعلن فيه(3) الأذان
ويصعق فيه بصوت جديد ،   فيصعق منه العتل الجبان
ولاذت فرنسا بأصنامها   تحاول بالدس كسب الرهان
فتغتال كحول تلقى دما   ه، على الطيب الواسع الصولجان
لئن خاننا الدهر في طيب   وأصغى مصالى لغدر الزمان
فلن يجحد الفضل تاريخنا   وهذى الدنا للرجال امتحان !

شغلنا الورى ، وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر

٥) حزب الشعب الجزائرى وحركة انتصار الحريات الديمقراطية :

وهنا أيضا لله درك يا مفدى زكريا في الإلياذة الخالدة :

جزى الله عنا الشدائد خيرا   وذكرى احتلال الجزائر (1) شكرا
وان ننس ... هلا نسينا الجرا   ح ، وما تزال الجرحات حمرا ؟

---

(2) أى أن المطالبة بالاندماج أوحت لحزب البيان بعد الاصطدام بالواقع بفكرة اندماج الحزبين : حزب البيان وحزب الشعب ، بعد اعتناق البيان لمبادىء حزب الشعب والتوبة من خرافة الوحدة الفرنسية .

(3) اشارة الى المفاجأة المدهشة التى قام بها أحمد مصالى الحاج جهارا لأول مرة بالجزائر في المطالبة بالاستقلال خلال الخطاب التاريخى يوم 14 يوليو 1936 م بالملعب البلدى بعاصمة الجزائر .

(4) الشيخ الطيب العقبى والشيخ كحول .

(1) العيد المئوى المشئوم سنة 1930 م .

وان آلمـــونـــا بمـــائـــة عـــام حفلنـــا بعيـــد الجـــزائر دهـــرا
وان رقصـــوا فـــوق أشـــلائنا وأحيوا على مذبح الشعب ذكرى
رقصنا عـــلى نغمـــات الرصـــا ص ، ورحنا نبث المقادير سرا
وان خسفوا نجم هذا الشما (2) ل ، فللشعب حزب مضى مستمرا
ضمائـــر أخلص فيهـــا البقـــا ء على العهد .. ما إن تباع وتشرى
اذا مـــا فيوليت (3) ضلل قـــوما وغر ضعاف العقول وأغرى !
وخـــدر قـــوما بمؤتمرات (4) فظنت سراب المتاهات نهـــرا !
فللشعب حـــزب يصون المبادىء وشعب الجزائر بالناس أدرى !

شغلنا الورى ، وملأنـــا الدنـــا
بشعـــر نرتلـــه كالصـــلاة
تسابيحه مـــن حنايـــا الجزائـــر

ذلك الحزب الذى كان عتيدا قويا ، وكان يسير بالشعب سيرا سويا ، وصوته يحدث لدى الاستدمار دويا ، وكان المنادى بنهاية الاستغلال ، وكان الأمل لاستعادة الاستقلال ، دعا اليه سراجهارا ، وعمل له ليلا نهارا ، ورفعه راية شعارا . وسلك من أجله سبلا وعارا ، ولله درك يا مفدى :

لئن بح صوت السيوف الصقال وأغفى صرير الرماح العـــوالى
فحرب اليـــراع أعـــاد الصـــرا ع، يقود سراياه نجم الشمال (5)

(2) حل حزب نجم افريقيا الشمالية .
(3) مشروع بلوم فيوليت .
(4) المؤتمر الإسلامي عام 1936م الذى جرف علماءنا للمطالبة بالاندماج والوحدة الفرنسية عن اجتهاد خاطىء ، وعن حسن نية وإخلاص بعيدين عن الدهاء السياسي .
(5) حزب نجم افريقيا الشمالية .

بأرض فرنسا ، يدك فرنسا   وينذر ساستها بالوبال
معاميد تزخر فيهم حنايا   بروح الفداء والأماني الغوالي
تباركهم صرخات الضمير ،   وتلهمهم ذكريات النضال
وقال الرعاديد : قوم رعاع   مجانين ، تجري وراء الخيال
وقال المناجيد : قوم كرام   صناديد ، من عظماء الرجال
وقال الفرنسيس : بئس المصير   اذا القوم لم يمحقوا بالنكال
وقال الألي ناصروا حزبنا   سنقضي على لعنة الاحتلال
وقال الذى خلدوا شعره   فداء الجزائر روحي ومالي (١)*

شغلنا الورى ، وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر

وكان بدأ يهيء له الرجال والعدد ، ويجند الروح والأعصاب والغدد ، وأقام منظمة للجهاد المسلح ، تمد ما استطاع : الجديد والمصلح ، ومن الغذاء الطازج والمحفوظ المملح ، وفداك يا مفدي :

وطالت خرافات حرب الكلام   وما بلغ الشعب فيه المرام
فآمن بالنار من عرفوها   ومن كاشفتهم بسر النظام (2)
الى أربعين وسبع سلامي   وقد بلغ الشعب فيها الفطام

---

*(١) نشيد الانطلاقة الأولى لمفدى زكريا ، وكان نشيد حزب الشعب الجزائري ، ويسمى اذ ذاك النشيد الوطني ، وبقي كذلك حتى خلفه في المجال الرسمي نشيد « قسما » لنفس المؤلف .

(٢) اشارة الى المنظمة السرية (ل'ح٥)عام 1947 . التي اكتشف امرها بتبسة في مارس 1950 .

فكانت شرارة حـــرب الخـــلا ص ، وان أخفتوها بلغو الكلام
رعى الله إمعاش (2) فى الخالد ين، وكحال(3)في السابقين الكرام
ورابح (4) تعبــق أنفاســـه وغرافة (5) الوطـــنى الهمــام
وعسلة (6) ينديــه طالب (7) فيلحقه ، بعــد مــر السقــام
ودوار (8) يستقبل الشهداء ، ومن أخلصوا للوفـــاء والذمــام
هـــم الثائـــرون الألى ولـــدوا نوفمبـــر من صلبهم فاستقــام
متى نزلت ثـــورة مـــن سمـــاء نزول المسيح ... عليه السلام ؟

شغلنا الورى ، وملأنـــا الدنـــا
بشعـــر نرتلـــه كالصـــلاة
تسابيحه مـــن حنايـــا الجزائـــر

هذا الحزب العتيد أين هو الآن ؟ أين الذى كان الأمل وبالأمل الملآن ، وكان المورد الموعود للشعب الظمآن ؟

نعم : أيـــن حزب الشعب أو الانتصار ، وقـــد كان صاحب القول الفصل والاختصار ؟ ومـــاذا كـــان يصنع عـــام 1954 فى الخريف ، وكان يقسم دوما بالمصحف الشريف ؟

---

(2) عمر إمعاش من المشاركين فى تاسيس حزب نجم افريقيا الشمالية .
(3) ارزقى كحال ، من الأبطال الذين خاضوا معركة النضال بحماس نادر فى صف نجم افريقيا الشمالية ، ثم كاتبا عاما لحزب الشعب الجزائرى .
(4) رابح موساوى ، من مؤسسى نجم افريقيا الشمالية ومن أبرز مناضليها .
(5) إبراهيم غرافة من طلائع الرعيل الأول فى النضال الوطنى ومن الأفذاذ القلائل الذين ذابوا فى معركة التحرير .
(6) حسين عسلة من اشجع وانشط أبطال حزب الشعب .
(7) محمد طالب من مفاخر النجم وحزب الشعب .
(8) محمد دوار من أبطال حزب الشعب الجزائرى ، كان نائبا واغتيل بيـــد الاستعمار الآثم ، ويضيق المقام عن ذكر سائر الأبطال الميامين . الأموات منهم والأحياء ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

لقد كان المغرب يموج ويفور ، وتونس يسودها نفير ونفور، وصدى دولى لنشاط موفور ! والهند تخرج الاستدمار من البوندى شيرى ، وتشطب من قاموسها بونجور وشيرى ، وان لم تتخلص بعد من كل نظام عشيرى !

وفى الهند الصينية يستقل فييتنام ، الكوشنشين منه والكمبودج والأنام (23) ، وتلتحق شعوبها بركب الأنام ، وهوشيمين وجياب يفرضان الجلاء ، ويخلصان البلاد من عين البلاء ، ومن الأفيون وأسباب الخلاء ، لتستأنف السير فى طريق العلاء ، وتزيل الانحلال وفحش الفلاء ، والزائف الدخيل وبريق الطلاء ، ولا تدين إلا لأصلها بالولاء !

ومصر تستكمل وتعلن استقلالها ، وتخرج بريطانيا العجوز واستغلالها ، التى كثيرا ما جرعتها استذلالها ! وهكذا عرضت كل هذه الأمم استدلالها ، وبدأت تحقق البراعة واستهلالها !

نعم : أين فى هذا كله حزب فداء الجزائر ؟ وأين الشعب صاحب الدماء الغزائر ؟ ذو الأصالة والعراقة لا الطيف الزائر ؟

تلك كانت مصيبة المصائب ، وشر البلايا وأعظم النوائب ، لولا أن ربك يحيى الأرض بعد موتها ، ويسمعها نفخ الصور صدى صوتها !

وذلك أن الأمل فى الانتصار تبخر ، إذ أن حزب الانتصار تأخر ، وسيف الاستقلال قد انقصم ظهره ، ورمز السيادة قد أفل دهره ، والصخرة الصماء أصبحت نخرة ، وكدنا نبيت فى الدار الآخرة ، والدنيا كلها منا ساخرة ، والصحف بالتهكم علينا كانت زاخرة ، وأحزابنا فى نومها غاطة شاخرة ، تخدر الشعب بوعود فاخرة !

---

(23) الأنام الأولى اسم شعب من شعوبها ، والأنام الثانية بمعنى الأمم .

فالوحدة ضد الاستدمار قد انتثرت ، والقلعة الشماء قد اندثرت ، والحزب العتيد قد انشطر شطرين ، وكأن البلاد أصبحت قطرين ، وإعلان موتها نشر في سطرين !

فمن الثالث عشر إلى الخامس عشر من يوليو 1954 انعقد مؤتمر من سموا فيما بعد بالمصاليين في هورنو (Hornu) ، في بلجيكا ، وسموه : « المؤتمر الاستثنائي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية »

Le Congrès extraordinaire du Mouvement du Triomphe des Libertés Démocratiques (MTLD)

والهيئة التي خرجت منه : « المكتب السياسي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية » ("Le Bureau Politique du MTLD") ، وطردوا في آخره من سموهم بـ « المركزيين »(Les "Centralistes") ، ومنحوا مصالي الرئاسة مدى الحياة ! (24) .

ومن الرابع عشر إلى السادس عشر من أوت من نفس السنة عقد المركزيون (25) في حي الثغريين (26) في الجزائر العاصمة

---

(24) الجزائر الحرة ، العدد 121 ، يوم 20 أكتوبر 1954 .
(24) - L'Algérie Libre n° 121, 20 octobre 1954.
(25) الأمة الجزائرية ، العدد 1 ، يوم 03 سبتمبر 1954 .
(25) - La Nation Algérienne, 1[er] numéro,03 septembre 1954.
(26) حي الثغريين ، حيث المكتبة الوطنية والفندق الأوراسي . هذا الحي سكن فيه مهاجرون ولاجئون أندلسيون من الثغور (أي المسلمون الذين يسكنون في شبه جزيرة ايبيريا Iberia (أي اسبانيا والبرتغال) سواء على المراسي او المناطق الجبلية والريفية عموما ، والمواجهون لاعتداءات الأسبان والبرتغال الذين كانوا يطاردونهم لإخراجهم من شبه الجزيرة La Reconquista ، مثل الأرغون Aragón ، وقطلونيا Cataluña ، اللتين كانت فيهما مملكة سرقسطة ، في الشمال على حدود فرنسا (وجزء من فرنسا !) ، وتسمى الثغر الاعلى ؛ أو في الوسط ، مثل قشتالية ، وطليطلة Toledo ، ومجريط Madrid ، أو في الجنوب خاصة ، مثل قرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ! وما أدراك ما غرناطة ، التي انشأها زاوي بن زيري الجزائري . شقيق بلكين بن زيري . مؤسس مدن الجزائر (العاصمة) والمدية ومليانة ! =

مؤتمرهم وسموه « المؤتمر الاستثنائي الحقيقي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية » ("Le *vrai* Congrès extraordinaire du MTLD")، والهيئة التي برزت عنه « اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية » ("Le Comité Central du MTLD")،وأقصوا في اليوم الثاني منه ــ ولم ينتظروا اليوم الأخير ! ــ رئيس الحركة أحمد مصالى ، ومن بقوا معه ، وسموهم بــ « المصاليين » ("Les Messalistes")..

ولكن كلا الطرفين احتفظا باسم الحــزب : حركة انتصار الحريات الديمقراطية ؛ فالمصاليون يمضون باسم المكتب السياسي لحركة الانتصار ، والمركزيون يوقعون باسم اللجنة المركزية لحركة الانتصار ، وبهذين الاسمين أصدر الطرفان بيانيهما عن أول نوفمبر ، كما سنرى (27) .

وهكذا قضى الطرفان شهرى سبتمبر وأكتوبر فى تنــازع السيارات والمكاتب والآلات ، بالعصى والسكاكين والمقالات ، فى الشوارع وفى سائر المجالات .

أما عن تبادل الاتهامات فحدث ولا حرج ، فالكل فى هــرج ومرج ، والشعب لا يرى من فرج ، فكل منهما طرد الآخر بدعوى الانحرافات ، وبالانسياق وراء الأخطاء والانحرافات ، وكــل

=نعم ، غرناطة التى سيحتفل فى 02 يناير 1992م بمرور خمسة قرون على طرد المسلمين منها ، وتسليم أبى عبد الله الصغير ، (الملك الصغير el rey chico)، آخر ملوكها ، مفاتيحها الى فرناندو وايسابيل يوم 02 يناير 1492م ، فى المكان الذى لا تزال فيه لافتة تحمل اسمه من تلك الحادثة : زفرة الأندلسى الأخيرة El-último Suspiro del Moro . فمن هذه المدن المذكورة ومن لشبونة أيضا (عاصمة البرتغال) ، ومن المرية ، وبلنسية ، ومالقة ، ومرسية ، وجيان Jaén ، بلد ابن مالك الأندلسى ، صاحب الألفية (الثانية) ، وقرطاجنة ، ولقنت Alicante، جاء الثغريون . وبالنسبة لمن سكن منهم الجزائر العاصمة أطلق اسمهم على الحى الذى سكنوه : حى الثغريين ، فحرفه الفرنسيون وسموه : "Les Tagarins" .

(27) - Messalistes : Bureau Politique - MTLD.
Centralistes : Comité Central - MTLD.

يتحدى الآخر ويطالبه بالاعترافات، تحقيقا منهما لمبدإ المساواة، ولا من سعى للمصالحة والمداواة !

بل قد بلغ الأمر بفريق منهما إلى حد التهكم على أحد قادة الفريق الآخر بأنه لا يحسن الفرنسية ، وينطق بها خلافا لقاموس ليترى le Littré !

وما على أحد منا الا الرجوع الى «الجزائر الحرة» (L'Algérie Libre)، لسان المصاليين ، و « الأمة الجزائرية » (La Nation Algérienne) ، لسان المركزيين ، وهما موجودتان في المكتبة الوطنية ، وفي قسم الوثائق بولاية الجزائر ــ أما الأعداد المصادرة من قبل الشرطة الفرنسية اذ ذاك ، فلا توجد إلا في الولاية ــ ليتمتع بكل تلك الصيغ من تبادل المجاملات ، وتلك العبارات الحلوة في المعاملات، وليرى أشد العجب ، ويصوم رمضان في رجب !

وتعلق الصحف الفرنسية (28) وتسخر وتتساءل : كيف تنقسم الحركة إلى قسمين متصارعين ، ثم لا يسميان ذلك انقساما، بل طردا متبادلا ، ويحتفظ الطرفان بنفس الاسم ، بينما الرأس في جهة ، والجسم في أخرى ، ويزعمون مع ذلك أن الكائن لا يزال حيا ؟

فأين الثورة المسلحة إذن لاسترجاع الاستقلال ؟ فالشيوعيون عندنا هم ضدها إيديولوجيا (أو فكرولوجيا ، كما يقول البعض) (29) ؛ والعلماء لم يسبق لهم أن قالوا بها ، وفي أداء

(28) لوموند في مقالين (12 و 13 أكتوبر 1954) ، والصحف الفرنسية الأخرى في الجزائر في هذا التاريخ وبعد فاتح نوفمبر مباشرة .

(29) قد يظن البعض ، عن جهل ، أن هذا تجن منا ، ها هي بعض نصوصهم ومواقفهم ــ زيادة على التي أوردناها والتي سنوردها عند عرض ردود الفعل على أول نوفمبر ــ.

وهنا يجب التذكير أولا بمنطلق الحزب الشيوعي الجزائري لفهم مواقفه : =

مهمتهم الثقافية والتربوية والروحية عمل جليل فى ذاته يعوقهم عنها ؛ والبيانيون لا يؤمنون بإمكانها ولا دعوا اليها .

بقي الانتصار بطرفيه، أو بشقيه ـ مع الأسف ـ وهو الوحيد الذى نادى بالثورة المسلحة لاسترجاع الاستقلال منذ العشرينات

= فقد كان مجرد اتحاديات (بالجمع fédérations) أو جهة (بالمفرد ، région) ، للحزب الاشتراكي الفرنسي ، الذى كان هو نفسه عنصرا فقط فى « المنظمة الثالثة للحزب الشيوعي الدولى Komintern » . وتحت هذا الاسم عقد مؤتمره فى قسنطينة سنة 1902 ، الذى تكلم فيه عن « الحضارة الإسلامية المتاخرة » ، و « الأفكار القديمة المسبقة » ، وعن ضرورة « تحرير الأفكار بالثقافة الفرنسية وإلزام الأهالى (الجزائريين) بألا يتكلموا إلا بالفرنسية ، حتى فى العبادات » ، وضرورة إنشاء المدارس للمسلمين « وإغلاق المعاهد الدينية الإسلامية » ، « على ألا يتجاوز مستوى التعليم لهم الثانوى المهنى ، وخاصة منه الفلاحى » ، انظر :
Paoli : Les Congrès Socialistes (La Revue Socialiste n° 25, 1903)
"Résolutions du Congrès de Constantine en 1902 et du Congrès d'El-Afroun en 1912", in Ageron : "Jaurès et la question algérienne", le Mouvement Social, 42, 1963, p. 8-21.
(وفيما يخص التعليم الإسلامى ، فربما كان مناسبا أن نذكر فى هذا السياق بالفرح الكبير الذى عبر عنه من يسمون أنفسهم : « الطليعة الاشتراكية » عندنا فى منشورهم بعد إلغاء التعليم الأصلى أو المعاهد الإسلامية . ذلك الإلغاء الذى أشادوا به وأبرزوه على « أنه إجراء تقدمي ثورى كبير » !) .
وفى مؤتمر تور Tours فى ديسمبر 1920 انفسم الفرع الفرنسى ، وبالتبعية له الجزائرى ، الى قسمين : أحدهما اشتراكى ، والآخر شيوعى ، وفيه مثل المؤرخ الفرنسى المعروف شارل أندرى جوليان Charles-André Julien شيوعيى الجزائر ، كما سبق أن ذكرناه فى مكان آخر من هذه الدراسة .
وحتى فى هذه الحال ظلت حركة الشيوعيين فى الجزائر اتحاديات فقط من الحزب الشيوعى الفرنسى ، وقد تفضلت اتحادياتنا.. هذه وتكرمت على تونس بان أرسلت اليها بأحد قادتها ، روبير لوزون Robert Louzon ، ليؤسس اتحادية تونس ... التى أصبحت فيما بعد الحزب الشيوعى التونسى ...
ولوزون هذا هو الذى كان يقول فى الجزائر ، قبل أن يرسل الى تونس : « يجب على الشيوعى الجزائرى أن تكون له عقلية (أو ذهنية) شيوعية وليس « عقلية جزائرية » ("Une mentalité communiste et non mentalité algérienne »)
= (Le Bulletin Communiste, p. 16, n° 3, 1923).
وفى المؤتمر الفيدرالى الشيوعى فى قسنطينة سنة 1921 جاء فى القرارات المتخذة هذا الدفاع الحار عن الاستدمار كمرحلة : « ان الاستدمار (الاستعمار) من وجهة نظر ماركسية **إطار ضرورى** تتطور فيه الأمم المتخلفة لترقى الى مستوى النظام الراسمالى ، الذى هو المرحلة الضرورية التى يتولد عنها الانفجار الشيوعى » ! وانظر أيضا هذا التنديد بالحركة الوطنية عند « الأهالى » : « ان=

في شخص أصله الأول : نجم الشمال ، وكان له نظام سرى فى أصله الثاني : حزب الشعب ، الذى خلف نجم شمال افريقيا فى ١١ مارس 1937 م ، كما هو شأن كل حزب ثورى قبل انتصار

= اى تهريج وطنى ستكون من نتائجه الحتمية الاستعاضة عن مجتمع قائم على الرأسمالية المتقدمة ، ذات الوعى الطبقى المعارض البارز . أى فى وضع ناضج للتنظيم الجماعى الثورى ، بنظام آخر تتناحر فيه الاجناس المتعادية فى صراع لا تستفيد منه إلا الطبقات المالكة ، أى الرأسمالية .» (Demain le 22 octobre 1921).

ثم تعزز هذا الاتجاه فى مشروع قرار قدمه فرع سيدى بلعباس ، التى سميت « مكة الحمراء » ، وقد وافق عليه مؤتمر الاتحاديات الشيوعية الثلاث (قسنطينة والجزائر ووهران) فى سبتمبر 1922 .

ومما جاء فيه :

« ان تحرير الطبقة « **الأهلية** » الكادحة فى شمال افريقيا لن يكون إلا ثمرة **الثورة فى فرنسا الأم** ، كما أن أية ثورة ناجحة للجماهير الإسلامية فى الجزائر ، اذا لم تكن تالية لثورة أخرى ناجحة للجماهير الكادحة فى فرنسا الأم تكون قد سبقتها ، ستؤدى حتما فى الجزائر الى رجوع نظام شبيه بالإقطاع .

« ومن هنا فاحسن وسيلة لمساعدة أية حركة تحررية فى مستدمرتنا (الجزائر) لا تكمن في الجلاء عنها ، خلافا لما ينص عليه الشرط الثامن من شروط الانضمام الى الدولية الثالثة ، بل بالعكس ، تتمثل فى البقاء فى هذه المستدمرة، وعلى الحزب الشيوعى أن يضاعف من دعايته لصالح النقابة والشيوعية والنظام التعاونى » .

(S. Bahne-Edition "Archives de Jules Humbert-Droz, vol. 1, Dordrecht, D. Reidel, 1970, p. 256-261).

واذا كان للاتجاه الشيوعى فى الجزائر بعض « العذر » ، وهو ملحق رسميا بالحزب الشيوعى الفرنسى ، ومجرد فرع منه région algérienne » فى شكل اتحاديات ثلاث fédérations ، فلم يعد له من عذر بعد أن استقل عنه رسميا ورقى الى مرتبة حزب قائم بذاته فى آخر المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى الفرنسى فى أكتوبر 1936 .

ولكنه كان حريصا على أن يبقى عالقا بأخيه « الأكبر » فى باريس ، كما يسميه هو نفسه le frère aîné ، أو كما قال عمر أوزڤان : « نطلب من الحزب الشيوعى الفرنسى أن يبقى دليلنا ومرشدنا » notre guide ، رغم هذا الاستقلال ... وهذا بمجرد الإعلان عن بلوغه « سن الرشد » ! وأضاف :

« إننا نقنع باستقلال داخلى للحزب "autonomie" عن أخيه الأكبر ، ولا نريده استقلالا تاما عنه » "indépendance". وظل يكرر تعلقه بتلك التبعية ... كما فعل فيما بعد عندما كتب فى : La Lutte Sociale, 15 septembre 1942 :

« ان حزبنا الشيوعى الجزائرى ، مراقبا ومشرفا عليه من الحزب الشيوعى الفرنسى الكبير le grand PCF » وايضا من الدولية الثالثة la 3^me Internationale ، هو الوحيد الذى يستطيع أن يقود المعركة للتحرر » !

ومن هنا لا نستغرب منه المواقف التى ذكرناها والتى سنذكرها فيما بعد ، اذ ظل يطالب « بالخبز والحقوق السياسية للمواطنين المسلمين (أى =

ثورته ، وبدأ أيضا قبل انكساره يعد للكفاح المسلح ما استطاع من قوة تكوينا وتجهيزا وتنظيما، وهذا معروف ولا نقوله إطراء وتعظيما !

=كالفرنسيين !) ولسنا بمحتاجين الآن الى برلمان » ، ردا على نجم الشمال الإفريقي الذى كان يطالب بالبرلمان والاستقلال (La Lutte Sociale,07novembre 1936).
ومن هنا أيضا نجد أحد أمناء الحزب الشيوعي الجزائرى ، قدور بلقاسم ، يصرح فى المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الفرنسى فى ديسمبر 1937 :
« اننا نعلم فى الوقت الحاضر أن اتحاد شعب الجزائر مع شعب فرنسا ضرورى وأنه سيبقى كذلك دائما.»
(PCF) : La France du Front Populaire et des peuples coloniaux, Paris 1938, p. 6).
مكررا ما قاله الكاتب العام للحزب الشيوعى الفرنسى ، موريس طوريز ، فى نفس المؤتمر (قبيل الحرب ضد الألمان والطليان) :
« ان المطلب الأساسى لحزبنا الشيوعى تجاه الشعوب المستدمرة هو التصرف الحر فى نفسها ، أى الحق فى الاستقلال . ولكننا فى الوقت نفسه نذكركم بشعار لينين ، الذى يقول : « ان حق الطلاق لا يستلزم الطلاق بالضرورة » .
«ولـذا قلنا للرفقاء التونسيين ، وقد وافقونا ، إن المسألة الفاصلة حاليا هـى الانتصار فى مكافحة الفاشية والنازية ، وأن مصلحة الشعوب المستدمرة هى فى اتحادها مـع شعب فرنسا ، وليست فى موقف قد ينقلب لفائدة النازية والفاشية » . (نفس المرجع) . وهذا فى سنة 1937 .
ومن هنا نجد حزبنا الشيوعى الجزائرى الصنديد يستعمل أعنف اللهجات وأوقحها ضد حزب الشعب الجزائرى الذى كان يطالب بالاستقلال التام فيقول عنه : « ان تصور الاستقلال بدون التحالف الفرنسي الجزائرى ، أمام فاشية دولية عدوانية ومتعطشة الى الغزوات الاستدمارية ، لهو جنون وإجرام ! انـه لمن التواطؤ مع الفاشية الدولية أن يعمد الوطنيون الى الاستفزازات بالمطالبة بالاستقلال » ! (La Lutte Sociale, 15 janvier 1938 et 19 mars 1938). !
ومن هنا أيضا وأخيرا ، لا آخرا ، نجد الحزب الشيوعى الجزائرى ظل يلوك بدون كلل ولا ملل تصريح موريس طوريز عن « الأمة الجزائرية ... فى طور التكوين من عشرين جنسا ... » فى 11 فيفرى 1939 ، كما رأينا ، ومن هنـا مواقفه الأخرى باستمرار : مواقف التبعية المطلقة لحزب آخر ، فى بلد آخر ، وان كان حقا ، كما يسميه هو ، « أخاه الأكبر » ، والله أكبر ، إلا أن هذا « الأخ الأكبر » كان فى بلد آخر ، وعالم آخر ، له ضروراته ، ومصالحه ، ومقتضياته ... خاصة أنه كان فى بلد المستدمر ذاته ! هذا « الأخ الأكبر » الذى لم يتردد فى إرسال الطائرات بأمر من عضو فى مكتبه السياسى ، وزير الطيران اذ ذاك ، شارل طيون ، للقنبلة ، بعد حوادث 08 ماى 1945 ، فى قالمـة ، وسطيف ، وبنى عـزيز ، وخراطة ، وحـزبنا الشيوعى الهمام ينـادى بضرورة « إعدام الوطنيين الفاشيين » !
ومن هنا أيضا ردود فعله الأولى على فاتـح نوفمبر التى ظلت كذلك حتى منتصف سنة 1955 فى المجال العسكرى ... وطوال الكفاح التحريرى المسلح=

أما وقد أصبح ما أصبح عليه من شقين ، وحقه انقسم إلى حقين ، وأمسى موزع الطاقة في زقين ، أحدهما ، وهو الطرف المركزي ، يقول بلسان الحال إنه لا يستطيع الثورة ، ـ حقا لقد كان لديه الجهاز والموجود من المال (30) ولكن لا رجال ، اذ بقى جميع المناضلين في فرنسا وأغلبهم في الجزائر مع مصالي ـ والطرف الآخر ، وهو المصالي ، يقول هو أيضا ، من جهته ، بلسان الحال ، اذ بات بلا مال ، وان ظل معه أغلب الرجال ، ولكن أيضا بفصيح المقال ، إنه هو أيضا لا يستطيع الثورة ، كما كتبه مصالي نفسه في رسالة طويلة الى مجلسه الوطني الثوري بتاريخ 02 أوت 1954 ، أي بأقل من ثلاثة أشهر قبل فاتح نوفمبر ، ردا على ضغط بعض أنصاره وإلحاحهم على ضرورة العمل المسلح ، يقول لهم ، فيما يقول ، ما يلي :

« إني أوصي أعضاء المجلس الوطني الثوري بالعمل المنهجي ، والتحليل ، والعمل بالنظام ، والانضباط .

« وحيث إن العمل مسطر ، فينبغي تجنب كل انتشاء واندفاع ، وكل ديماغوجية ، لنعمل فقط بالمبادىء الثورية ، وبالحكمة السياسية ، والدراسة الجدية لجميع القضايا قبل الشروع فيها .

=وحتى فيما بعد بكثير ... ولا يزال ... في المجال السياسي !

ولكن من الذي لا يخطىء ؟ وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل بني آدم خطاءون » ، كما يقول : « إنما الأعمال بالخواتم » ـ ضمن الله لنا جميعا حسن الخاتمة ـ ويضيف ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «وخير الخطائين التوابون » ! وهذا ما تقوله أيضا الحكمة اللاتينية :

(Errare humanum est, perseverare diabolicum !)

« الخطأ من طبيعة الإنسان ، ولكن الإصرار عليه من الشيطان ! » .

(30) وان كان أمد بجزء كبير منه محمد بوضياف ، منسق اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، التي هيأت اول نوفمبر ، كما أكد لنا ذلك احمد بودة بحضور مناضلين كثيرين ، وان لم يشر بوضياف الى هذا في كتيبه الذي لم يكن نموذجا للموضوعية ، والصدق ، والتجرد ، مع الأسف الشديد .

« وذلك ان المبادئ الثورية هي نقيض الديماغوجية ، وعكس الفرار إلى الأمام والمزايدة ، لأن الثورة لا تقوم في يوم معين بالذات ... بل هي نتيجة نشاط كبير ، وأحيانا يتطلب قيامها عدة أجيال » (31) .

وهنا أيضا لا فضت إلياذتك يا مفدى ــ ولن تفض ــ :

وان وزع الرأى حزبا عتيدا (1) ففي القصد، ما انفك حزبا وحيدا
وتأبى الزعامات كبح الطموح ، فتصنع للخلف شكلا جديدا
وتغرى الكراسى ضعاف العقول ، كنار جهنم ترجو المزيدا
وتغزو السياسة فكر الزعيم ، فيصبح فكر الزعيم بليدا
كأن الزعامة إعصار جان ولم أر للجان عقلا رشيدا
وما الانتصار(2) دخول انتخاب وضرب الموائد. ضربا شديدا!!
ولا كلمات على جدران هل الحبر في الحرب كان مفيدا؟؟
ولا بالهتافات : عاش .. ويحيا فما حرر القول يوما عبيدا !!
ولا بالوفود ... وسمع فرنسا أهال عليه الغرور الصديدا ...
ولن يغسل العار الا الدما وعاش الحديد... يفل الحديدا..!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر

(31) النص الكامل فى كتاب « وثائق الثورة الجزائرية » . نشر محمد حربى، ص 96 ، مطبعة جون أفريك ، باريس .
(31) Mohammed Harbi Les Archives de la Révolution Algérienne, p. 96, Editions Jeune Afrique, Paris.

(1) انقسام حزب الشعب .
(2) الانتصار للحريات الديمقراطية .

وفى هذه الظروف بالذات ، أصدر المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى 30 سبتمبر 1954 ، أى بشهر واحد لا غير قبل فاتح نوفمبر ، تعليقا بعنوان : « الحزب الشيوعى الجزائرى وانقسام حركة الانتصار للحريات الديمقراطية » ينتقد فيه الطرفين المتنازعين انتقادا مفصلا حادا ، ويضيف شيئا أهم ، وهو :

« ان الحزب الشيوعي الجزائرى يرى أن الذين يتهمونه بالمطالبة بالخبز فى كفاحه مخطئون . وذلك أن الخبز هام جدا فى تحسين حال الطبقة العاملة ، (والمقطع الرئيسى من نشيد الشيوعية الدولية يقول : « قوموا يا أشقياء الأرض ، قوموا يا مقهورى الجوع ! »).

« ثم إن اللجان التى أنشئت فى القاهرة قد فشلت كلها!» (32) (مشيرا الى مكتبنا ضمن لجنة تحرير المغرب العربى التى كان يرأسها المرحوم الأمير محمد عبد الكريم الخطابى (بضم الميم ، تمييزا عن أخيه امحمد ، بسكونها) .

ويختم المكتب السياسى للحزب الشيوعى بيانه بفصل عنوانه هكـذا :

« الحزب الشيوعى الجزائرى أمل الشعب » فيقول :

« ان الكفاح التحريرى كلما قاده الشيوعيون انتصر . مثلما هو فى الصين ، وفييتنام ، وفى كل مكان ، وحقق أعز المطامح الشعبيـة » .

(مع أن النظرية التى قال بها الكثير من الشيوعيين (33) هى أن الثورة يجب أن تنجح فى العواصم الامبريالية أو « البلدان

---

(32) - Liberté, 30 septembre 1954.

(33) ومنهم المؤرخ الفرنسى المعروف شارل أندرى جوليان ، الذى مثل الشيوعيين « الجزائريين » فى مؤتمر تور Congrès de Tours فى ديسمبر 1920.=

الأمهات » Métropoles ، أى فى البلدان الاستدمارية المصنعة ، ثـم تمتد الى المستدمرات) .

وفى هذه الظروف بالذات أيضا جاء وزير الداخلية الفرنسى إلى الجزائر ، ميتران ، والقى خطابا ، يوم 19 أكتوبر 1954 ، فى « المجلس الجزائرى » ركز فيه عـلى تحسـين وضـع « قدمـاء المحاربين » ، والسكن ، الخ ... ثم قال :

« ما هى الجمهورية الفرنسية ؟ يبدو أن بعض الناس ينسون ذلـك !

« إن الجمهورية الفرنسية ، حسب نصوص الدستور الفرنسى نفسه ، هى أرض فرنسا الأم ، ثـم العمـالات (الولايات) الجزائرية ، ثم عمالات (ولايات) ما وراء البحار !

« وان الجزائر لهى فى وسط مجموعنا الفرنسى الواسـع ، وهى قطب الرحا ، ومركز قوانا .

« ان فرنسا بالجزائر ، وبفضل الجزائر ، والجزائر بفرنسا .

«ونشر مقالين فى هذا المعنى فى جريدة الانسانية L'Humanité, 01-07 janvier 1921، لسان الحزب الشيوعى الفرنسى اذ ذاك ولا تزال ، وقد كتب فيهما طويلا عن الموضوع . وزبدة مقاليه هى : انه ورفقاءه الشيوعيين « الجزائريين » يعارضون كل تمرد او حركة وطنية فى المستدمرات (بفتح الميم) للأسباب الثلاثة التالية :

« 1) ان اى تمرد من هذا النوع ليس له اى حظ من النجاح ، وسوف ينتهى بمجزرة سخيفة .

« 2) وحتى على فرض نجاحه ، فان نتيجته لن تعدو ان تكون تعويض النظام الاستدمارى بحكـم إسلامى متغطرس (أوليغارشية oligarchie إسـلامية) سيزيد من استغلال الجماهير الاسلامية .

« 3) ثم إن دولة « مستقلة » من هذا النوع ستكون من الضعف فى السهر على مصالحها بحيث ستنتهى لا محالة إلى الوقوع فى مخالب دولة استدمارية أخرى تحل محل الأولى » .

« أما الذين يرفضون ذلك، فان قوة القانون وعظمة الجمهورية ستعرفان كيف تبرهنان لهم أن فرنسا سيدة مصير نفسها » (34).

وقبل ذلك بلحظات ، كان الرئيس الهمام « للمجلس العام» (Conseil général) ، صاحب الڤنور الكبير ، عبد القادر السياح ، محاطا بزملائه الميامين ، الذين أخذوا الميثاق وأدوا العهد واليمين ، آيت علي وشكّال وبلاّمين ، قد أكد فى خطابه الترحيبى أمام الوزير الفرنسى :

« إن الجزائر ستبقى فرنسية » طبعا !

ولدى امتطاء الوزير الفرنسى الطائرة فى عنابة ، يوم 22 أكتوبر ، عائدا الى باريس ، تفوه أمامه المسمى بنطلوني Pantaloni، رئيس « بلدية عنابة » والعضو فى البرلمان الفرنسى ، قائلا :

« إن الجزائر لم يكن لها اسم سنة 1830 ، وفرنسا هى التى أعطتها الاسم الذى تحمله اليوم : « الجزائر » !

أما الوزير الفرنسى ، فقد استخلص درس جولته فى الجزائر فيما يلى :

« إنى حريص على أن أقول إننى وجدت العمالات الفرنسية الثلاث فى حالة من الهدوء والازدهار ، وإنى أسافر وأنا مفعم أملا ». ورفض استقبال الوفد الجزائرى الذى ترك له رسالة. وكان هذا بأسبوع قبل فاتح نوفمبر !

وفى يوم 30 أكتوبر ، أى بيوم واحد قبل فاتح نوفمبر ، نشرت لوموند حديثا لروني ماير ، وهو نائب فى البرلمان الفرنسى ورئيس سابق للحكومة الفرنسية ، قال فيه :

---

(34) - a) Le Journal d'Alger, 20 octobre 1954.
b) Le Monde, 21 octobre 1954.

« ان تسربات الفلاقة التونسيين الى التراب الجزائرى لا يمكن ان يقبلها مواطنو مقاطعة فرنسية تبرهن منذ سنوات على حيويتها ، وتقدمها ، وتعقلها » (35) .

وهل كان على الوزير الفرنسي الملام ، وحزبنا قد انخرم وعليه السلام ، وأصبح يظن أنه يكفى السلام والكلام ، بعد أن خيم على رأسه شديد الظلام ، فيتقدم مع غيره بأضعف المطالب ، الى من يرفضهم ويظهر لهم المخالب ، وهي مطالب كانت لحزبنا شر المثالب (36) ، ثم انه ردهم ولم يطلب لهم طلابا (37) ، والدنيا كما نعلم تؤخذ غلابا ، وباب الحرية بغير المضرجة لا يدق ، والسلاح لا الكلام هو المحك المدق ؟

ولكن الله قد رزق فوجا من الحزب عزما وهدى ، وقدر ألا تذهب تضحيات سدى ، خرجوا كلهم من بين صلبه وترائبه ، لينهوا ما طرأ عليه من غرائبه ، فرأوا أن تكون الدماء الأولى من ضرائبه ، وقد اتسع الخرق على الراقع ، فصمموا على تغيير ذلك الواقع ، ووضعوا الجميع أمام الأمر الواقع ، ورأوا أن يخصبوا القاحلة بالتشجير ، حتى لا يبقى على الأمة التحجير ، وأن يردوا الغزاة بالتهجير ، ففجروها فى الفاتح ذلك التفجير ، فأضاء نورها الظلام الدامس ، وأربك الاستدمار والإعلام الطامس ، فكان من

---

(35) - René Mayer, le Monde, 30 octobre 1954.

(36) المثالب : ج مثلبة بمعنى النقيصة ، والسب ، والشتيمة . والمقصود هنا أن تلك المطالب التى قدموها كانت دون المستوى... بل هى تراجع وتقهقر.

(37) أطلب ، يطلب ، إطلابا : أجاب طلبا ـ والطلاب (بكسر الطاء) ... المطالبة بحق ـ ووفدنا الهمام ذهب يطالب بحق ولكنه رد ولم يستقبل حتى مجرد الاستقبال ، فكان وضعه اسوا من وضع « الوفد الاسلامى » الى باريس سنة 1936 ... فهذا على الأقل قد استقبل من طرف وزير الدفاع اذ ذاك ، دالاديي Daladier ... والظروف غير الظروف ، فسنة 1954 غير سنة 1936 ، ومع ذلك ... انظر ظروف ومضمون هذا الطلب فى بدء هذه الدراسة ..

تكوت الى سيدى علي عظيم اللهيب ، مزق دجى اليأس والصمت الرهيب . وعاد الشعب هو العزيز المهيب !

ورحمك الله يا مفدى اذ تقول في إلياذتك الخالدة خلـــود الإنســـان :

تأذن ربـك ليلـة قـدر (۱) وألقى الستار عـلى ألف شهـر

وقال له الشعب : أمرك ربى ! وقال له الرب : أمرك أمرى !!

ودان القصاص فرنسا العجوز ، بما اجترحت من خداع ومكـر

ولعلع صوت الرصاص يـدوى فعاف اليراع خرافات حبـر !!

وتأبى المدافع صـــوغ الكـلا م، اذا لم يكن من شواظ وجمر!

وتأبى القنابـل طبـع الحـرو ف، اذا لم تكن من سبائك حمر!

وتأبى الصفائح نشر الصحائف ، ما لم تكن بالقرارات تسرى !
ويأبى الحديد استماع الحديث ، اذا لم يكن من روائع شعرى !
نوفمبر غيرت مجرى الحياة ، وكنت ــ نوفمبر ــ مطلع فجـر !
وذكرتـنا ــ في الجزائر ــ بدرا فقمنا نضاهى صحابة بـدر !

شغلنا الورى ، وملأنـا الدنـا

بشعـــر نرتلـــه كالصـــلاة

تسابيحه مــن حنايـا الجزائــر

---

(1) ليلة القدر : يقصد بها هنا ليلة فاتح نوفمبر 1954 ، التي اندلع فيها الكفاح التحريري المسلح ، هذه الحلقة الجديدة من سلسلة طويلة من الثورات على الاستدمار والاحتلال الأجنبي ، منذ ماسنيسا ويوغورطا حتى استرجـاع الاستقلال في 05 يوليو 1962 م .

وما أروعن تلك اللازمة التى اخترتها بين كل مقطع وآخـر من رائعتك ، رائعة الجزائر ، رائعة المغرب الكبير ، رائعة الأمة الإسلامية ، رائعة البشرية :

شغلنا الورى ، وملأنـا الدنـا

بشعـــر نرتلـــه كالصـــلاة

تسابيحه مـن حنايـا الجزائـر

وعصفت رصاصة نوفمبر بذلك « الهدوء » عصفا ، وكانت السبع العجاف وازدادت نصفا ، التى فاقت كل ما قيل عنها نعتا ووصفا ، فداء وتعذيبا وقتلا وقصفا ، لاسترجاع الاستقـلال وكامل السيادة ، بفضل الله وعمل أهل الريادة ، ومن انضموا وبهم اكتملت القيادة ، والشعب البطل الذى ضحى وزيـادة ، ومن دعم ولو بالدعاء عند العيادة !

ورحمك الله يا مفدى وليست الأخيرة ، وكل من أسهم فكرا أو جسما أو بالذخيرة :

نوفمبر ـ جـل جـلاك فينـا ألست الذى بث فينا اليقينا ؟

سبحنا على لجـج مـن دمانـا وللنصر رحنـا نسـوق السفينا

وثرنـا ، نفجر نـارا ونـورا ونصنع من صلبنا الثائرينا !!

ونلهـم ثورتنـا مبتغانـا فتلهم ثورتنـا العالمينـا (I)*

وتسخـر جبهتنـا بالبلايـا فنسخـر بالظلـم والظالمينـا

*(1) إشارة إلى ان الثورة الجزائرية كانت السبب الرئيسى فى مطالبة كثير من شعوب ما يسمى بالأمبراطورية الفرنسية باستقلالها وفى حصولها عليه منها . وقد صرح مسئولون فرنسيون فى البرلمان الفرنسى بأنهم يفضلون منح جميع هذه البلدان استقلالها للتركيز على الجزائر ، وضمان الحفاظ عليها ، وهى التى كانت تعتبر جوهرة مستدمراتهم ومحمياتهم .

وتعنو السياسة ، طوعا وكرها لشعب أراد ... فأعلى الجبينا
جمعنا لحرب الخلاص شتاتا (2)* سلكنا به المنهج المستبينا
ولولا التحام الصفوف وقانا لكنا سماسرة مجرمينا !!!
فليت فلسطين تقفو خطانا وتطوى كما قد طوينا السنينا !!
وبالقدس تهتم ... لا بالكراسى تميل يسارا بها ويمينا ... !!
تبارك واديك صومام (1) إنا حفظنا عهودك أيان ثرنا
أصومام باسمك صمم شعب سياسة ثورته ، فانطلقنا
وجلجل صوتك ، بين الجبال يبارك وحدتنا ، فالتحمنا
وكانت شريعة حرب الخلا ص ، بوحى نظامك لما اندفعنا
خلقت كيانا لثورة شعب أراد الحياة ، ودعمت ركنا
وصغت وثيقتنا فى الجهاد ، دروبا معبدة ، فسلكنا
كأن لخمس وخمسين (2) نجوى لست وخمسين يوم اجتمعنا
وأصغى لنا المجمع الدولى (3) الأصم ، وأرهف للسمع أذنا

*(2) إشارة الى جبهة التحرير الوطنى التى ضمت جميع الحركات الوطنية بمختلف آرائها فى صهر الكفاح فى حركة واحدة مسلحة ، وقادت الجهاد حتى استرجاع الاستقلال ، ونصح للاخوان الفلسطينيين بتحقيق مثل هذا الانصهار.

(1) مؤتمر الصومام المنعقد يوم 20 أوت 1956 بوادى الصومام ، وكان أول مؤتمر وطنى عام يعقد بعد اندلاع الثورة ، واستمر ثمانية عشر يوما. وقد شكل المؤتمر مرحلة هامة من مراحل الثورة ، وكان نقطة انطلاق وتحول عظيم فى تاريخها أسفر عن وضع أسس ثابتة لمستقبل الثورة على نظام عسكرى وسياسى مدروس ، ونتج عنه تكوين مجلس وطنى للثورة وتاليف لجنة التنسيق والتنفيذ، واعطى المؤتمر لجيش التحرير دما جديدا، ونفسا طويلا ، واستراتيجية محكمة .

(2) كان تاريخ 20 اوت 1956 امتدادا لانتفاضة 20 اوت 1955 التى حطمت كبرياء العدو وسفهت أحلامه فى سكيكدة وفى الجزائر كلها !

(3) كانت أحداث 55 و 56 سببا لإدراج القضية الجزائرية فى جدول أعمال الجمعية العامة للامم المتحدة ، ونالت نجاحا كبيرا ، فعلا، وأدينت فرنسا على أعمالها الإجرامية فى الجزائر .

رأينـا السياسة دربـا طويلا فلذنا بساح الوغى ، فاختصرنا
وقـرر صومـام أهـدافنـا فسرنا على هديها ، فانتصرنـا
شغلنا الورى ، وملأنـا الدنـا
بشعـر نرتلـه كالصـلاة
تسابيحه مـن حنايـا الجزائـر

نعم وكان أول نوفمبر ، وكان أريج البارود عبيق العنبر ، وكان أول نوفمبر لنا هو شهر الشهور ، وكان البـدر المنـير لدياجير الدهور ، وكان مفاجأة للجزائر والدنى ، وكان مفتاح الفرج وبدء تحقيق المنى !

وفى صباح فاتح نوفمبر نشرت إذاعة القاهـرة نـداء أول نوفمبر ، وقال ممثل جبهة التحرير الوطنى فى «صوت العرب» ، مما قال ، حسبما نشرته جريدة الفيغارو ، ما يلى :

« أيها الإخوة ، إن الجزائر قد استأنفت الكفاح البطولى المجيد فى سبيل قضية العروبة والإسلام .

« فبعد انحراف أراده الاستدمار دام تسع سنين (منذ 08 مايو 1945 م) ، رفعت الجزائر اليوم رأسها ، شامخة بأنفها فى كلّ مكان بفخر واعتزاز !

« اليوم الخامس من ربيع الأول ، الموافق فاتح نوفمبر 1954 ، بدأت الجزائر تحيا حياة جديدة كريمة شريفة . اليوم أعلنت نخبة قوية مـن أبنـاء الجزائـر الأحـرار استئناف الكفـاح المسلح ! » (38) .

(38) - Le Figaro,04 novembre 1954.

الفصل الثاني

ردود الفعل الأولى على فاتح نوفمبر

والآن:كيف كانت ردود الفعل على أول نوفمبر ؟

1 ـ **لدى الجزائريين أولا :** جماهير ، وأحزابا ، ومنظمات ، وهيئات ، وصحافة ؟

2 ـ **ولدى الاستدمار الفرنسي في الجزائر :** إدارة، ومدمرين، ومنظمات ، وكنيسة ، وصحافة ، وشخصيات ؟

3 ـ **وفي فرنسا :** حكومة ، ومؤسسات ، وصحافة ، وكتابا ، وشخصيات ؟

4 ـ **وفي العالم العربي والإسلامي ؟**

5 ـ **وفي باقي الدنيا ؟**

1 ـ لدى الجزائريين :

كان رد الفعل عند جماهير الشعب مزيجا من الفرح والتساؤل : هل يصدقون بما يسمعون ويقرأون ؟

لقد كان التشاؤم مخيما . وكانت الـــروح المعنويـة فى الحضيض . وكان التخوف من المستقبل غالبا . بل وكان اليأس يدب الى نفوس الكثيرين ، كما سبق أن ذكرنا عند عـــرض الوضع السياسى في الجزائر سنة 1954 قبل فاتح نوفمبر . كما كان الجهل بالإعداد والاستعداد مطبقا ، طبعا ، ولم يعد الناس، حتى أكثرهم وعيا ، ينتظرون شيئا ، وما كانوا يتوقعون !

أما عند الأحزاب والهيئات ، (الجزائرية دائما) فكان الأمر يختلف قليلا : فالعنصر الأول من هذا المزيج ، وهو الفـــرح ، لا نجد له صدى ، أى أنه لم يكن هناك فرح لديها ، ولا حتى بين السطور ! اللهم إلا فرحة التشفى !

وفعلا فتكفى نظرة خاطفة ، بدون تحليل معمق، على البيانات التى أصدرتها الأحزاب والهيئات ، والمقالات التى نشرتها فى صحافتها ، لأخذ صورة تقريبية ، إن لم تكن واضحة دقيقة كل الوضوح والدقة ، عن مدى الشعور بالدهشة ، وأثر المفاجأة ، ولكن أيضا بنوع من الاستنكاف والتخوف من العواقب ، وخاصة من الفشل ، مع إلقاء التبعة على الاستدمار مقدما ، ولم تكـن حوادث 8 ماى 1945 ببعيدة عن الأذهان !

وقد يكون هناك أيضا من طرف هذه الأحزاب والهيئـات نوع من التهرب والتملص ، والتنصل من المشاركة فى المسئولية والتخلص، لأن بعضها كانت مبدئيا ضد تلك الأعمال، والأخرى لأنها كانت ترى أن لم يحن وقتها بعد ، أو لأنها وقعت بغـير علمها حتى لو كانت تعرف شيئا ما عنها ، أو لأنها ليست صاحبة البادرة فيها ، فلا تريد أن تشارك ، بتأييدها ، فى مسئوليتها بعد وقوعها .

على أن لسان الحال عند سائر هذه الأحزاب والهيئات ، زيادة على إلقاء التبعة على الاستدمار فيما وقع ، بل ولسان المقـــال

أيضا بصراحة ، عند الجميع ، كان يقول للإدارة الفرنسية الاستدمارية ، بكثير من النكاية والتشفي :

« ألم نقل لك ؟ » ، « ألم يسبق أن أنذرناك ؟ فذوقي الآن ثمرة تعنتك ، وتصلبك . وغطرستك ، وتصاممك ، وعنادك ! وكم كنا نود أن نصل إلى النتيجة بدون كل هذا ! » .

وذلك أنه ، باستثناء البعض القليل ، لم يكن يشك أحد بالأمس ، ولا يشك أحد اليوم ، في أن جميع هذه الأحزاب والهيئات ، بمختلف نوعياتها ، **باستثناء** الأوروبيين في هيئة معينة أو حزب معين من هذه الأحزاب والهيئات ، والجزائريين المنخرطين في أحزاب فرنسية بحتة ، والخونة المنغمسين في الإدارة الاستدمارية والمرتبطة مصالحهم بها ، نقول إن جميع تلك الأحزاب والهيئات كانت تريد الاستقلال طبعا . ولكن كيف ومتى ؟ وهذا كله هو ما يفسر لنا مقدما ردود الفعل عندها غداة فاتح نوفمبر ، بالرجوع دوما إلى منطلقاتها وخلفياتها .

2 ـ أما عند الأوروبيين ، من إدارة ، وهيئات ، وصحافة ، وشخصيات ، وسكان :

في الجزائر وفي فرنسا ، فكانت الصدمة العظمى ، وكان الاهتزاز ، وكان الفزع ، وكان الهلع ، وكان الخوف من النهاية ، واقتراب الساعة ، وانشقاق القمر !

والآن فإلى شيء من التفصيل ، ولنبدأ بالبداية : **في الجزائر !**

في الجزائر :

أ) لدى فدائيي أول نوفمبر : أحسن دليل على التزامهم ، وانضباطهم ، وحماسهم ، وروح التضحية لديهم ، لإيمانهم بما هم مقدمون عليه ، هو ذلك التنسيق المحكم للأعمال ، والتنفيذ

الصارم في الجملة لما تقرر ، والدقة في مراعاة التوقيت الملتزم به ، من أريس وإشمول شرقا إلى سيدى علي وترقة غربا ، في الساعة الواحدة ، والدقيقة الواحدة ، من الليلة الواحدة ، مما كان أكثر إثارة للدهشة ، والاستغراب ، والفزع عند الاستدمار ، كما سنرى في ردود فعل الصحافة الفرنسية في الجزائر وفرنسا ، التي سمت ما حدث ليلة فاتح نوفمبر **بالزلزال !**

ب) أما عند الأحزاب والهيئات عندنا ، فأول البلاغات Communiqués الصادرة كان للبيانيين (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائرى) ، والشيوعيين (الحزب الشيوعي الجزائرى) ، بتاريخ 02 نوفمبر ، ونشرا في « الجزائر الجمهورية » الشيوعية (39) يوم الثالث منه ، ثم نشر بلاغ البيانيين ، مرة أخرى ، وحده في جريدتهم « الجمهورية الجزائرية » (40) في أول عدد منها صدر بعد فاتح نوفمبر .

وفي العدد الصادر بتاريخ 04 نوفمبر من الجزائر الجمهورية (41) نشر تصريحان déclarations لشقي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (الانتصاريين) ، أحدهما للمصاليين ، باسم المكتب السياسي للحركة ؛ والثاني للمركزيين ، باسم اللجنة المركزية لنفس الحركة ؛ ثم نشرا من جديد في جريدة كل منهما بتاريخ 5 نوفمبر في : « الجزائر الحرة » (42) للمصاليين ، وفي « الأمة الجزائرية » (43) للمركزيين ، التي نشرت معه بلاغي البيانيين والشيوعيين ، ولم تنشر معهما بلاغ المصاليين ، الأشقاء الذين أصبحوا أعداء . أما « الجزائر الحرة »

(39) - Alger Républicain,03 novembre 1954.
(40) - La République Algérienne, 12 novembre 1954.
(41) - Alger Républicain,04 novembre 1954.
(42) - L'Algérie Libre,05 novembre 1954.
(43) - La Nation Algérienne,05 novembre 1954.

فلم تنشر إلا بيان المصاليين وحده ، لا تصريح «الإخوة الأعداء» ولا بلاغي « الأعداء الأعداء » .

أما بالنسبة للهيئات ، فقد أصدر الاتحاد العام للنقابات « الجزائرية » (UGSA - CGT) الشيوعية بلاغا يوم 4 نوفمبر ، نشرته « الجزائر الجمهورية » (44) في اليوم التالي ، لا يختلف في مضمونه عن بلاغ الشيوعيين .

فإذا أردنا أن نحلل هذه البلاغات والتصريحات وجدنا أنها متفقة في الصيغ التالية ، مع فروق دقيقة :

1 ــ أنها «حوادث خطيرة» "De graves événements", "Des événements graves"، بالنسبة للبيانيين والمركزيين ، و « حوادث مماثلة لحوادث تونس والمغرب » "Des événements semblables aux événements de Tunisie et du Maroc" بالنسبة للمصاليين

وأنها « حوادث » فقط "Des événements" بالنسبة للشيوعيين ، بدون صفة لها .

2 ــ أما الأعمال التي تمت في هذه الحوادث فهي في التصريحات والبلاغات « اعتداءات » "attentats" ، بالنسبة للمركزيين ، وهي « أعمال مسلحة » "actions armées" ، بالنسبة للشيوعيين ، وهي « أعمال » "actions" فقط ، بدون وصف ، للنقابة الشيوعية .

3 ــ **والأحزاب والهيئات كلها** : الانتصاريون بشقيهم ، والبيانيون ، والعلماء ، والشيوعيون ، والنقابة الشيوعية ، متفقون على أن أسباب هذه الحوادث هي القمع ، والاضطهاد ، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى أن هناك مشكلا سياسيا ، وليست المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فقط ، كما قال المسئولون الفرنسيون على سائر المستويات ، ومتفقون أيضا

(44) - Alger Républicain,05 novembre 1954.

على أن « الحل الوحيد هو فى الاستجابة للمطامح المشروعة للبلاد » .

4 — أما سكان هذه البلاد ، أصحاب هذه « المطامح » ، فينعتهم الانتصاريون بشقيهم بأنهم الشعب الجزائرى "le peuple algérien" ، أما الشيوعيون فنعتوهم حينا بأنهم الشعب الجزائرى ، وأحيانا كثيرة بأنهم « جميع سكان الجزائر » "toutes les populations d'Algérie" ، وأحيانا أخرى بأنهم « جميع السكان » فقط ، بدون وصف .

وأما البيانيون فلم يصفوهم . بل ذكروهم على أنهم «السكان» "populations" فقط .

5 — وأما « المطامح المشروعة» هذه فنعتها المصاليون بأنها « المطامح المشروعة لجميع المغاربيين (أو : الشمال افريقيين) » "Nord-Africains" ، ونعتها الشيوعيون بأنها « المطامح المشروعة والعادلة للشعب الجزائرى » ، وحينا آخر : « مصالح جميع السكان بدون تمييز فى الدين ولا العرق ، مع مراعاة مصالح فرنسا » .

أما البيانيون فلم يذكروا المطامح ، وإنما تكلموا عن : « حل مقبول من الجميع » . ثم إن هناك « نداء الى السكان » فى بلاغى المركزيين والبيانيين ، « لمراعاة الهدوء والتحكم فى الأعصاب » ...

6 — وفى جميع هذه التصريحات والبلاغات تهكم وسخرية من « السكون » أو الهدوء "le calme" الذى ظلت تشيد به السلطات الاستدمارية لتمييز الجزائر « الهادئة » عن تونس والمغرب اذ ذاك ، هذا « الهدوء » الذى كذبه أول نوفمبر ، وتلك السكينة وذاك السكون اللذان أصبحا فى خبر كان !

كما أن في جميع هذه البلاغات والتصريحات إلقاء التبعة على الاستدمار فيما وقع ، وتذكيرا بـ « مساوئه التى هي السبب » ، من جهل ، وفقر ، وقمع ، واضطهاد ...

7 ــ وباستثناء كلمة « الحرية » التى وردت مرة واحدة في بلاغ الشيوعيين وحده ، فلا ذكر للأمة ، ولا للدولة ، ولا للاستقلال ، ولا للسيادة ، ولا للكفاح ، ولا للعمل ، ولا للوطن ، ولا للوطنية في تصريحى المصاليين والمركزيين ، ولا في بلاغى البيانيين والشيوعيين ! مع أننا ، اذا ما رجعنا الى « نداء أول نوفمبر » ، الذى أصدرته ليلة فاتح نوفمبر جبهة التحرير الوطنى ، وجدنا فيه ذكرا للدولة الجزائرية مرة ، وللسيادة مرتين ، وللاستقلال الوطنى ثلاث مرات ، وللحرية والتحرير إحدى عشرة مرة ، وللأمة والوطنية أربع عشرة مرة ، وللكفاح تسع مرات ، وللعمل تسع مرات أيضا ، وللمبادئ الإسلامية مرة واحدة (45) .

---

(45) رغم أن كلا من المصاليين والمركزيين (في حزب الشعب) هم وحدهم الذين كانوا يتكلمون عن الاستقلال قبل فاتح نوفمبر ، وآخرها كان في رسالة مفتوحة من المصاليين باسم مكتبهم السياسى الى وزير الداخلية الفرنسى ، فرانسوة ميتران . مطالبين بإطلاق سراح « هذا الزعيم الجزائرى الكبير ، الحاج أحمد مصالى ، الرمز الحى للمقاومة الجزائرية والكفاح من أجل الاستقلال » . (الجزائر الحرة) (L'Algérie Libre n° 129, 15 octobre 1954) .

وفى جريدة المركزيين La Nation Algérienne ، في العدد الأول منها الصادر في 03 سبتمبر 1954 ، وفى الثالث منها الصادر في La Nation Algérienne, 17 septembre 1954 ذكر للاستقلال ، وفيها ذكر للأمة أيضا ، كما هو اسم الجريدة نفسها ، وتذكير أيضا بهدفه حسب المركزيين . الذى هو «إقامة جمهورية ديمقراطية اجتماعية» : « République démocratique et sociale » ، التى سنجدها فيما بعد في وثيقة مؤتمر الصومام بهذه الصيغة بالضبط .

كما أن المصاليين ذكّروا بالدولة الجزائرية قبل 1830 ، وبالأمة الجزائرية ، في جريدتهم بعد فاتح نوفمبر L'Algérie Libre,05novembre 1954 ، وهو آخر عدد صدر منها ومن جريدة المركزيين أيضا .

ولكنهم جميعا في بياناتهم وبلاغاتهم الرسمية باسم أحزابهم وهيئاتهم بعد فاتح نوفمبر لم يذكروا إلا المطامح المشروعة ، بدون أي بيان ولا توضيح . =

هذا بالنسبة لبلاغات وبيانات الأحزاب والهيئات الجزائرية فى الأيام الأولى ـ عدا نداءات جمعية العلماء التى لم يصدر منها اثنان إلا بعد ذلك بأشهر ، وثالث بأكثر من سنة ، وقد ورد فيها ذكر « الأمة » . أحدهما صدر فى فبراير والآخر فى مارس 1955 ، وثالثها هو المؤيد للكفاح والمكافحين، وان لم يذكر الجبهة بالاسم ، بل استعمل تعبير « جميع الممثلين الحقيقيين » ، صدر فى يناير 1956 ، كما سنرى ، إذ سنعود إليها فيما بعد .

8 ـ أما بالنسبة لصحافة هذه الأحزاب والهيئات فى الأيام الأولى ، فإنها فى الجملة موافقة طبعا للتصريحات ، ولكن بالنسبة لوصف أعمال ليلة فاتح نوفمبر والقائمين بها فيختلف من جريدة إلى أخرى .

فبينما لم يصفها البيانيون أصلا ، وإنما ذكروا «الأحداث» فقط ، وإن وصفها رئيس الحزب ومدير الجريدة ، فرحات عباس ، فى مقال له ، بطريقة غير مباشرة ، إذ كتب : « إن الهياكل الاستدمارية جعلت خزان الحرارة ينفجر وبذلك وضعتنا أمام الفوضى » (46) ... نجد الشيوعيين ، والمصاليين، والمركزيين يصفونها بأنها : « اعتداءات » "attentats" ، أى أنها « أعمال إجرامية يعاقب عليها القانون » ، حسب تعريف القواميس الفرنسية لكلمة : "attentat" . وانفردت جريدة المركزيين بوصف تلك الأعمال بأنها « إرهابية » "actions terroristes" ، ووصف القائمين بها بأنهم « إرهابيون » terroristes (47) .

= فإذا كان الشيوعيون همهم الخبز والفطيرة ، ويتحاشون ذكر الأهداف الخطيرة ، والبيانيون يؤكدون على إطار القانون ، ويتمسكون بالرفاهية حول الكانون ، La République Algérienne, 10 septembre et 12 novembre 1954. ، فلم وقف معهم دعاة الاستقلال عند « المطامح المشروعة»؟ سياسة جديدة أم من أثر المخاوف المزروعة ؟ هل شلت المفاجاة العزائم وجعلت منها الخائرة المصروعة ؟

(46) - La République Algérienne, 12 novembre 1954 :
("ont fait exploser la chaudière et nous ont mis ainsi face *au désordre*").

(47) - La Nation Algérienne,05 novembre 1954.

هذا وقد صودرت جريدتا المركزيين والمصاليين يوم 5 نوفمبر ومنعتا نهائيا ، كما حلت حركة الانتصار بشقيها .

أما البصائر ، جريدة العلماء ، فقد عنونت افتتاحيتها في نفس التاريخ المذكور بـ : « حوادث الليلة الليلاء » أول نوفمبر 1954 ، بدون أقواس ، وكتبت ما يلي ، ممتنعة عن التعليق واتخاذ موقف ، كما تقول هي بصريح العبارة ، بل وحتى عندما تعرض « الحوادث المزعجة » التي وقعت في تلك « الليلة الليلاء » ، تبرر ذكرها بأن « جميع الصحف العالمية تكلمت عنها » ، « وإلا فليس من شأن البصائر التسرع في مثل هذه المواطن ...! » (48) مع أن جميع الجرائد الصادرة بالجزائر عن الأحزاب الجزائرية وكذلك الهيئات والصحف الفرنسية قد اتخذت مواقف ، وعلقت على تلك الحوادث والأحداث ، والبصائر ، التي يلزمها اسمها بأن تكون بصيرة بالأمور قبل غيرها وأكثر ، لم ترد التبصر هذه المرة ، وها هو مختصر ما جاء في الأعداد الأربعة التالية منها لفاتح نوفمبر : ففي العدد الأول المذكور الصادر يوم الجمعة 5 نوفمبر :

« فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من **الحوادث المزعجة ، وقعت كلها** ما بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صبيحة **الاثنين** غرة نوفمبر ، وهو عيد ذكرى الأموات . ولقد بلغ عدد **تلك الحوادث** ما يزيد عن الثلاثين ، ما بين الحدود التونسية **وشرقي عمالة** وهران ، إلا أن عمالة قسنطينة ، وخاصة جهاتها **الجنوبية** ، كانت صاحبة المقام الأول فيها ، وكادت تتركز **الحوادث** في جهات جبال أوراس ، في خط يسير من باتنة إلى **خنشلة** ، ثم يشمل الجنوب . وتلي عمالة قسنطينة بعض جهات **العمالة** الجزائرية كبلاد القبائل والعاصمة وبوفاريك .

(48) البصائر 05 نوفمبر 1954 .

« إننا إلى حد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها ، وليس بين أيدينا إلا ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار .

« فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق ، إلى أن تتبين لنا طرق الصواب ، **فليس من شان البصائر أن تتسرع فى مثل هذه المواطن .**

« لكننا ، من جهة أخرى ، رأينا أنه لا يمكن أن يخلو هذا العدد من جريدتنا من ذكر هذه الحوادث ، التى تناقلت صحف العالم بأسره تفاصيلها ، فقررنا الاكتفاء بذكر أهمها ، تاركين للزمن كشف الحقائق عن أسرارها ، ولسوف نتتبع تلك الحوادث بغاية الدقة والاهتمام » .

انتهت الافتتاحية ، وتلتها مباشرة قائمة الحوادث ــ كما أسمتها الجريدة ــ كمجرد قائمة بأسماء الأماكن وما جرى فيها، بكل اقتضاب ، فى شكل برقيات صحفية .

وفى نفس الصفحة الأولى مقال ثان بنفس الحجم تماما تحت عنوان : « رفع مستوى العامل الجزائرى » . ثم أكملت فى الصفحة الثانية إحصاء الحوادث ، وأعقبته ببعض أقوال الصحف الفرنسية وبفقرة من تصريح « الحاكم » العام الفرنسى فى ندوته الصحافية عن نفس الموضوع ، وبفقرة أخرى أطول عن تعليقات الصحافة الفرنسية عن الوضع (49) .

وفى عددها الثانى التالى مباشرة ، وقد تعطل بسبب عطلتى المولد النبوى الشريف و 11/11/1954 ، نشرت البصائر مقالا طويلا وصفت فيه تلك « الحوادث » حينا بـ : «الأعمال الكبيرة»،

(49) البصائر 05 نوفمبر 1954 .

و « الحوادث الكبيرة » ، و « الوقائع » ، وأحيانا أخرى بـ : « الأعمال العسكرية المنظمة » ، وذكرت أيضا مرة « الذين رفعوا لواء الثورة » ، واستعرضت فيه ــ وردت على ــ تصريحات لرئيس الحكومة الفرنسية ، منديس فرانس ، ووزير داخليته ، والضابط الاحتياطي الفرنسي سرفييه ، المتخصص في علم الاجتماع ، الذى كتب في لوموند أن جمعية العلماء هى المسئولة عن هذه الحوادث ، ختمته بما يلى : وهو الخلاصة :

« إن السبب الوحيد فى هذه الحوادث هو الاستياء العام من الحالة الحاضرة : استياء سياسى ، واقتصادى ، واجتماعى ، واستياء دينى وثقافى .

« إنما الدواء الوحيد هو الإقدام بجرأة وصدق وصراحة على معالجة سائر القضايا الجزائرية ، بكل سرعة ، وإيجاد الحلول المرضية للجميع ، بصفة يتحكم فيها العقل والمنطق ، ولا تهيمن عليها العاطفة والأنانية » (50) .

وفى عدد ثالث كتبت البصائر ، مخاطبة وزير الداخلية الفرنسى ، تحت عنوان :

« كلا ، لا يجب أن تنتصر الرجعية ! » مقالا طويلا تندد فيه بمساوئ الاستدمار الفرنسي وتقول :

« لا يمكن بناء أمن وتضامن ومستقبل سعيد لقطر الجزائر إلا إذا أعيد النظر فى الدستور الجزائرى ، وهذب ونقح ، وأصبح دستورا حقيقيا كاملا ، يكون مجلسه تشريعيا ، وتكون الحكومة المشكلة من كل عناصر السكان مسئولة لديه ، وتكون الانتخابات فيه حرة نزيهة على قاعدة العدل والإنصاف » (51) .

---

(50) البصائر 19 نوفمبر 1954 .
(51) البصائر 26 نوفمبر 1954 .

وفى عدد رابع مقال افتتاحى تحت عنوان : « لا تلعبوا بالنار ! » تطالب فيه الجريدة « بفصل الدين الإسلامى عن الدولة وترك أموره لأهله » (52) ، ولا شيء إطلاقا عما سمى بـ « الحوادث » !

أما بالنسبة للأوضاع وللمواقف السياسية لهذه الأحزاب والهيئات بعد ردود الفعل الأولى فنجدها كالآتى :

الانتصاريون ، من مركزيين ومصاليين : المركزيون :

حل شقا الانتصاريين ، من مصاليين ومركزيين ، منذ الأسبوع الأول ، وأرسل المركزيون عدة برقيات إلى باريس يحتجون ويقترحون ، ويؤكدون « أن المشكل سياسى ، وأن الأحداث نابعة من الجزائر ، فلا روسيا، ولا أمريكا، ولا بريطانيا ، ولا مصر» (52 مكرر)، وشاركوا فى مساع مشتركة مع غيرهم فى الجزائر ، وفى وفد مشترك من جميع الأحزاب إلى باريس لشرح القضية ، إلى أن اعتقلوا ، ثم بعد إطلاق سراحهم انضموا فى أغلبهم إلى الجبهة ثم التحقوا بالقاهرة ، أو بتونس ، أو المغرب، وقاموا بأدوار كبيرة فى الكفاح التحريرى ، فى إطار الجبهة ، وتولى رئيسهم ، ابن يوسف بن خده ، رئاسة الحكومة الجزائرية المؤقتة الأخيرة ، وبهذه الصفة دخل عاصمة الجزائر لدى استرجاع الاستقلال .

المصاليون :

نجد أن المصاليين من البدء ناصبوا الجبهة العداء ، ثم انضم تدريجيا كثير منهم إليها ، وظل مصالى والأقلية الباقية معه على العناد حتى استرجاع الاستقلال ... وقدر له أن مات وهو فى

---

(52) البصائر 10 ديسمبر 1954 .

(52 bis) - Alger Républicain, 23 novembre 1954.

المنفى ... وفي فرنسا ... بالذات ... وفي عهد استرجاع الاستقلال ... وإن دفن في مسقط رأسه . تلمسان ... وهو الذى كان أول من نادى باسترجاع الاستقلال التام ، وظل كذلك حتى قرب اندلاع الكفاح التحريرى المسلح ... وهكذا لم يضمن له حسن الخاتمة ... « وهذى الدنيا للرجال امتحان » ، كما قال الذى كان كاتبه العام في وقت ما ، المرحوم مفدى زكرياء ، في إلياذته الخالدة خلود الإنسان . وينطبق على مصالي وعلى غيره ما قاله مفدى عن الأمير خالد :

تجارب خالد مهما تكن   فلم تك تمحط قدر الرجال !

أما البيانيون ، فقد واصلوا نشاطهم السياسي « القانوني »، وشاركوا فى انتخابات ، وظلوا مدة يقترحون حلولا سياسية ، ويتخذون مواقف علنية .

وقد نشر فرحات عباس ، رئيسهم ، في جريدته افتتاحية(53) يذكّر فيها بمشروعه القديم ، وأنه لا يزال حلا ناجعا ، وهو الاستقلال الداخلي ، تكون مهمته أساسا « تسيير الأمور الداخلية لكل جزء من أجزاء الوحدة الفرنسية . في إطار اتحادى (فيدرالى) ، يجعل الدفاع والخارجية والبنك من اختصاص فرنسا الأم » (54) .

ثم قاطع نوابه جلسات « المجلس الجزائرى » (55) بعد مشادات واصطدامات مع أغلب النواب الأوروبيين فى « المجلس الجزائرى » ، ومع رئيس هذا المجلس الذى سحب منه الكلمة . إلا أنه ظل يقترح حلولا علنية ، متدرجة قليلا ، ولكنها كانت لا تزال تدور فى الإطار العام المعروف لأفكاره السابقة (56) .

---

(53) - La République Algérienne, 12 novembre 1954.
(54) - La République Algérienne, 12 novembre 1954.
(55) - Le Monde, 10 décembre 1954.
(56) - La République Algérienne n°. 54, 25 février 1955

أى فى تلك الوحدة الفرنسية « فى إطار الديمقراطية الحقيقية والمساواة الفعلية » (57) ، حيث صرح فى منتصف 1955 فى باريس :

« فلقد اخترنا في حزبنا ، بدون أية خلفية ، وبكل حرية ، **التداخل** مع فرنسا (أو : توقف بعضنا على الآخر) (l'interindépendance) مع فرنسا الجمهورية ، أى الإطـــار الاتحـادى (الفيدرالى) كمجموعة موسعة » (58) .

وظل يردد تلك الأفكار مدة ، وبعد نصف سنة من تصريحه الأخير هذا استقال النواب المنتخبون التابعون لحزبه من جميع الهيئات (59) الفرنسية في الجزائر وفرنسا يـوم 23 ديسمبر 1955 ، وبدأ يدرك فعلا ألا فائدة من الانتظار . وفى 22 أبريل 1956 حل حزبه من تلقاء نفسه ، وانضم وأغلـب مساعديـه الأقربين إلى الجبهة ، والتحق بها في القاهرة . هو والمرحـوم الدكتور أحمد فرنسيس والأستاذ أحمد توفيق المدنى . وكان لالتحاق فرحات عباس دوى عظيم فعلا وصدى كبير فى الجزائر، وفي فرنسا ، ولدى سائر الأوساط الدبلوماسية ، والسياسية، والصحافية في العالم ، وكان له أسوء وقع على فرنسا ، وضربة كبيرة لها ، وكانت له مساهمته الكبيرة التى تقدر ولا تنكر .

العلمـــاء :

أما جمعية العلماء ، فقد أصدرت بيانا ونداءين وبلاغا ، أو أربعة نداءات ، بأسماء وعناوين مختلفة . الأول كان يوم 28 ينابر 1955م ، جاء فيه (60) :

---

(57) - La République Algérienne, 25 février 1955.
(58) - Le Monde, 09 août 1955
(59) - Le Monde, 28 janvier 1956.
(60) البصائر 11 جمادى الثانية 1374 هـ (04 فيفرى 1955 م) .

« فضح الأساليب الوحشية الفظيعة التى استعملتها السلطة لمحاولة قمع حركة الثورة بواسطة الإرهاب ، والبطش . وكانت الحكومة والسلط فى الجزائر وعدت ، منذ أيام الحوادث الأولى ، أن أعمال التأديب لا تصيب إلا الذين ثبتت إدانتهم خاصة ، لا تتعداهم إلى غيرهم . لكن سرعان ما ظهر أن تلك الوعود قد تبخرت على أيدى الذين يسيرون دفة الأمور فى البلاد .

« ونحن نرى أن نعلق من جديد بعد ما أفضنا في بيان أفكارنا الأساسية على صفحات البصائر ، وبحكم اتصالنا بالأمة الاتصال الوثيق الذى يجعلنا نفصح عن رغباتها ، ونعبر عن آمالها .

« إن البلاد فى حاجة أكيدة إلى تغييرات أصولية أساسية ، تتناول سائر الأسس التى بنى عليها النظام الجزائرى ، لا إلى إصلاحات صورية طفيفة تؤبد الحالة الحاضرة المنكرة .

« وإن برنامج التغييرات الأساسية الأصولية فى أمور البلاد لا يمكن أن يرتجل فى باريس ارتجالا ، بل يجب أن يكون نتيجة بحث ودراسة عميقة مع ممثلى الأحزاب والهيئات والمنظمات القومية .

« ولا تقبل الأمة بأية حال ولا ترضى عن برنامج إصلاحى إلا إذا حقق رغبتها التحريرية الكبرى فى كل ما يتعلق بالحكم، والإدارة ، والشؤون العامة ، وكل ما يتعلق بدينها ولغتها .

« وتتوجه الجمعية إلى الأمة بكلمة طيبة تستحثها فيها على التماسك ، والتكتل ، والوحدة المطلقة ، فى سبيل الدفاع عن حريتها المنتهكة ، وحقها المغصوب ، وكرامتها المهدورة ، وروحياتها التى امتهنت ، حتى تخرج من هذه الأزمة الطويلة المدى بتحقيقها أهدافها ، وبلوغ غايتها الكبرى ، وأن تصبر

الصبر الجميل على ما تعانيه من إرهاق ومظالم ، فساعة الفرج قريبة بحول الله » .

ووجهت في 2 رجب 1374 (25 فيفرى 1955) « نداء إلى الضمير الفرنسى » تندد فيه بالفظائع المرتكبة في البلاد ، وركزت فيه خاصة على منطقتى أوراس وجرجر (61) .

ثم نشرت البصائر في مارس 1955 على الصفحة الأولى « نداء إلى الشعب الجزائرى » (62) باسم الأساتذة والمعلمين الأحرار ، يتناقض في الواقع كل التناقض مع هذا البيان ، إذ يدعو إلى « التجمع فى حركة سياسية جزائرية واسعة » ، وإلى « النضال السياسى السلمى بتشكيل هيئة » ، ونحن في مارس 1955 ، و « الهيئة » كانت موجودة منذ ستة أشهر ، وهى جبهة التحرير الوطنى و « التجمع فى حركة سياسية واسعة » كان موجودا ، وهو نفس الجبهة ، و « النضال السياسى السلمى » ... كنا تعبنا منه ولم يفد ...

ولا يمكن أيضا أن يعترض على هذا ـ كما يقول أسلافنا من العلماء ـ بأن المقصود هو « هيئة سياسية سلمية » للجبهة ، لأن الجبهة نفسها كانت هيئة سياسية ... وهى التجمع الأكبر ، وهى بالدرجة الأولى سياسية ، أما الجانب العسكرى فكان جيش التحرير ... إذن ما المقصود بهذه الهيئة التي يقترح إنشاؤها ؟

فإذا كان لابد من نداء ، وكان لابد منه فعلا ، فهو إلى مساندة هيئة موجودة فعلا ، والدعوة إلى الانضمام إليها ، وليس « إلى تشكيل هيئة فى أقرب الآجال » !

وهاكم الفقرات الأساسية من هذا النداء الثالث :

(61) البصائر في02رجب 1374 هـ (25 فيفرى 1955) .
(62) 16 رجب 1374 هـ (11 مارس 1955 م) فى العدد 307 من السنة السابعة من السلسلة الثانية .

«آن للأحرار الجزائريين أن يتجمعوا فى حركة **سياسية جزائرية واسعة** ، فإن ساعة تحمل المسئوليات العظمى قد دنت. فليتقدم الأحرار الجزائريون بشجاعة وحكمة **للنضال السياسى السلمي بتشكيل هيئة فى أقرب وقت** تتولى الدفاع عن قضية بلادنا المقدسة ، وتبلغ صوت أمتنا المنكوبة بكل صدق وأمانة .

« فإلى تنظيم اتحاد وطني يتالف من الشعب ، ويسانده الشعب ، ويعمل لخير الشعب » .

ثم نشرت جمعية العلماء نداء رابعا واضحا إثر اجتماعها العام فى مقرها بالعاصمة يوم 7 يناير 1956 والذى عنونته هذه المرة بـ :

« بلاغ من الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الحالة الحاضرة فى القطر الجزائرى وموقف الجمعية منها » .

وأية مقارنة بين هذا البلاغ وما سبق من البيان والندائين لا تستطيع إلا أن تبرز فى الواقع أن موقف جمعية العلماء ، كجمعية ، لا كأفراد ، لم يتضح حقا ولم يتبلور فى مساندة الثورة إلا فى هذا النداء الرابع أو البلاغ ، بالنداء إلى الأمة وإلى العالم أجمع ، تنضم فيه إلى الكفاح ، وها هى الفقرات الأساسية منه :

« إن الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، إذ يترحم على الشهداء الأبرار الذين ذهبوا ضحية القمع الأعمى الفظيع ، ويدعو الأمة للقيام بواجبها نحو أبنائهم وعائلاتهم ، وكفالتهم كفالة يوجبها الإسلام ، وتفرضها المروءة والشرف ،

« يبعث بصادق الود وعظيم التقدير والعطف لسائر رجال الأمة الأحرار الأبرار الذين أوصدت عليهم أبواب السجون ، أو أطبقت عليهم الأسلاك الشائكة فى المحتشدات ، ويشاركهم

فى تلك المحن التى تقبلوها بثغور باسمة وصدور رحبة ، ويعلمهم أن الأمة الحية الشاعرة لن تنسى لهم تضحيتهم ، وأنهم سيكونون غدا فى طليعة العاملين على إنشاء الهيكل الوطنى العظيم »

« ويرفع عظيم الامتنان ووافر التقدير لسائر الأحرار فى كل أقطار الدنيا ، ولجميع الصحف العالمية النزيهة ، ولسائر الحكومات الحرة التى أيدت الأمة الجزائرية فى نضالها الشريف، ودافعت عنها ، ومدتها يمين الأخوة لمبادىء الحق والعدل والتحرير ، ويرجو أن يشارك كل شعب حر ، وكل حكومة حرة ، وكل صحيفة نزيهة فى هذا الكفاح الميمون ، لفائدة الحق والعدل والحرية بالبلاد الجزائرية .

« ويعلن ، مرة أخرى ، أن كل سياسة مبنية على ترقيع الماضى ، وإجراء « إصلاحات » على قاعدة النظم الاستعمارية الحالية ، مهما تغير اسمها ، إنما هو من قبيل العبث والاستهتار، والإمعان في الزج بالأمة الجزائرية في مضيق اليأس الذى لا يحدث إلا الانفجار .

« ويقول كلمة صريحة علنية ، يرجو أن يسمعها المسئولون فى باريس ، وأن يسمعها العالم أجمع وهى أنه لا يمكن حل القضية الجزائرية ، بصفة سلمية وسريعة ، إلا بالاعتراف العلنى الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحر ، وجنسيتها الخاصة، وحكومتها القومية ، ومجلسها التشريعى المطلق التصرف ، فى دائرة احترام مصالح الجميع ، والمحافظة على حقوق الجميع .

« ويؤكد أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة ، والإقدام على بناء النظام الحر الجديد ، إلا بواسطة التفاهم

الصريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائرى، من رجال الحل والعقد الذين أظهرهم الكفاح الجزائرى » (63) .

عن الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الكاتب العام	الرئيس
أحمد توفيق المدنى	**العربى التبسى**

وفى الأخير نداء إلى الشعب للوحدة ، والتكاتف ، ونبذ الخلافات . وكان البيان بإمضاء الشهيد الشيخ العربى التبسى رئيسا والأستاذ أحمد توفيق المدنى أمينا عاما، حيث كان المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمى ، رئيسها الشرفى ، إذ ذاك فى القاهرة ، منذ بداية الخمسينات .

وقد علقت جريدة لوموند على هذا البلاغ بغاية البذاءة ، والسخف ، والوقاحة ، حيث اتهمت الجمعية بجهل تاريخ الجزائر وتجاهل كل ما أنجزته فرنسا فيها من خيرات ... (64)

ومما يؤكد أن هذا البلاغ كان الموقف الأول المناصر من جمعية العلماء،كجمعية،للكفاح المسلح ، أن البصائر نشرت بعد ذلك افتتاحية تحت عنوان : « فأخذتهم الصيحة » (65) نشرت فيه أصداء هذا البلاغ ، ومنها الصدى فى الاكسبريس الباريسية التى كتبت :

« إن لهذا البلاغ الذى ينشره العلماء أهمية عظمى ، لأنه يعتبر أول تأييد دينى رسمى للثورة الجزائرية » ، بدون أى

---

(63) البصائر العدد 349 ، فى جمادى الأولى 1375 هـ (13 يناير 1956 م) السنة الثامنة من السلسلة الثانية .

(64) - Le Monde, 17 janvier 1956.

(65) البصائر العدد 351 من السنة الثامنة من السلسلة الثانية ، 14 جمادى الثانية 1375 هـ (27 يناير 1956 م) .

تعليق منها (من البصائر) ، كأن ترد عليه مثلا ، أو تكذبه وتقول إنه لم يكن الأول ، أو غير ذلك .

ومما يؤكد هذا أيضا حديث الشيخ العربى التبسى مع جريدة لوموند ورده على سؤال الجريدة ... :

« س : متى انضممتم إلى هذا الموقف الوطنى المتشدد ؟

ج : أما كشخص فقد كان هذا موقفى دائما . وأما كجمعية، فعزمنا هذا أعلنا عنه منذ يناير الأخير » (66) .

وقد اعتقل الاستدمار الفرنسى رئيسها الفعلى الشهيد الشيخ العربى التبسى، بعد إصدار هذا البلاغ ، ثم اغتاله ، وانضم الأستاذ أحمد توفيق المدنى ، أمينها العام ، وأغلب أعضائها إلى الجبهة ، التحق منهم الكثير بالقاهرة ، أو تونس ، أو المغرب ، واستمر وجود الجمعية « قانونيا » ، ولم تحل إلا بعد استرجاع الاستقلال ...

الشيــوعيــون :

وأما الشيوعيون ، فقد ظلوا ، هـم أيضا ، مثل البيانيين ، مدة بعد فاتح نوفمبر يمارسون نشاطهم « القانونى » فى إطار « المؤسسات » الاستدمارية الرسمية،وكحزب أيضا ، يشاركون فى الانتخابات ، ويحتجــون ، ويتخذون مواقف علنيــة ، ويقترحون حلـولا سياسيـة ، إلى أن حـل وزيـر الداخليـة الفرنسى حزبهم فى سبتمبر 1955 ، وأوقف جرائدهم الثلاث : « الجزائـر الجديدة » ، و "Liberté" و « الجزائـر الجمهوريـة » "Alger Républicain" ، ولكن نائبهم الوحيد فى « المجلس الجزائرى »،

(66) - Le Monde, 16 février 1956.

جوستر ابو Justrabo ، عن بلعباس ، لم يستقل إلا فى بداية يناير 1956 ، أى بعد استقالة النواب البيانيين بشهر (67) .

ولئن التحق منهم (من الشيوعيين) شباب مناضلون ، بصفة فردية ، بجيش التحرير الوطني ، فكحزب وصحافة احتفظوا بحزبهم ، ولم يندمجوا فى الجبهة ، وكانت لهم مواقف أخرى ، هى التى كانت لهم دوما فى الواقع ، خاصة فى الشهور الأولى بعد فاتح نوفمبر !

فبعد أن نشروا البلاغ، الذى ذكرناه آنفا، بتاريخ 3 نوفمبر، ها هو الحزب الشيوعي الفرنسى فى باريس يصدر هو بدوره بلاغا عن أول نوفمبر ، ويضطر الحزب الشيوعى فى الجزائر إلى المراجعة والتراجع عن خطه الأول ، الذى لم يكن فى ذاته رمزا للجرأة والبطولة ، ولكن كان أحسن بكثير من ردته ، وما أسبغ عليها من شدته وحدته !

فلقد اتخذ الحزب الشيوعى الفرنسى يوم 9 نوفمبر قرارا بشأن فاتح نوفمبر ، نشره فى جريدته « الإنسانية » (68) فى اليوم التالى ، جاء فيه كلام طيب عن « أن المشكل فى الجزائر استدمارى » ، وأن «هناك مطالب وطنية للأغلبية الجزائرية»، وأن « هناك قضايا سياسية ذات طابع وطنى » ، وأن « هناك إرادة شعب كامل فى أن يحيا حرا ، ويسير أموره ديمقراطيا » ، وأنه « يجب الاعتراف بترعية مطالب الشعب الجزائرى » ، وأنه « لابد من مناقشة هذه المطالب مع الممثلين المؤهلين لمجموع الرأى العام الجزائرى من أحزاب ، ومنظمات مهنية ، وثقافية ، وشخصيات ، للوصول إلى حل يضمن أيضا مصالح فرنسا » ، « وبهذا يبرهن الحزب الشيوعى الفرنسى

(67) - Le Monde,08-09 janvier 1956.
(68) - L'Humanité, 10 novembre 1954.

مرة أخرى على أنه مترجم أممية العمال ، التى لا تنفصل عن المصلحة الوطنية » ، اقول : بعد هذا كله يضيف ما يلى :

« وفى هذه الظروف ، فإن الحزب الشيوعى الفرنسى ، وفاء منه لتعاليم لينين ، لا يمكنه أن يوافق على **استعمال التصرفات الفردية** (أى الأعمال الفدائية) ، التى يمكن للأعداء الأمبرياليين أن يقلبوها لصالحهم ، هذا إذا لم يكونوا هم الذين دبروها فى الخفاء » .

وها هو حزبنا الشيوعى « الجزائرى » الهمام يستخرج من مضابره بيانه الذى كان قد أصدره منذ أيام فقط ليراجعه بإمعان وبنظارة مكبرة ، وإذا به يجد فيه ما يستحق التعديل فعلا ، ويستغرب من نفسه ، متسائلا :

كيف انفلتت منه مثل تلك الانزلاقات ؟ وكيف نسى تلك المبادىء النيرة ، حتى اضطر « الأخ الأكبر » إلى أن يذكره بها، فيسرع إلى القلم والقرطاس ، وتجتمع لجنته المركزية يوم 14 نوفمبر ، وتتخذ القرار التالى الذى تصدره فى جريدتها « الحرية » (69) فتقول :

« بعد تحليل النداء السياسى الذى صاحب هذه الأعمال المسلحة ، (أى بيان أول نوفمبر) ، تؤكد اللجنة المركزية للحزب الشيوعى أنها تميل كل الميل إلى الاعتقاد أن هذه الأعمال ليست صادرة عن استفزاز أو مؤامرة من الاستدمار، ولكنها صادرة عن حركة جزائرية ، وذلك أن الجزائريين لم يعودوا قابلين بنظام استدمارى » .

هذا كلام طيب يذكر فيشكر . ولننظر الآن إلى ما يتلوه، إذ تضيف متسائلة :

---

(69) - Liberté, 18 novembre 1954.

« ولكن ما هى السياسة الشيوعية تجــاه التصرفات (أو الأعمال) الفردية ؟ » (هذا بيت القصيد !) وتجيب :

« إن الشيوعيين لم يسبق لهم أبدا أن وافقوا على الأعمــال الفردية . لم ؟ لأن هذه الأعمال تنم عموما عن انعدام ثقــة بالجماهير ، عاجزة عن أن تجعل وحدها قضايا الشعوب تتقدم إلى الأمام .

« وذلك أن العمل الفردى يمكن أن يضر بقضية الشعب إذا ما أدى إلى تأخير عمل الجماهير وتعريضها للاضطهاد » .

وكان أول نوفمبر كان مجرد « اعتداءات فردية » ... ولم يكن ميلاد جيش تحرير وطنى ، وجبهة تحرير وطنية !

ثم ها هى لجنته الموقرة ، أى اللجنــة المركزية للحــزب الشيوعى « الجزائرى » ، تعود إلى الموضوع ، فى بيان لها إثر اجتماعها يوم 09 يناير 1955 ، نشرته في جريدتها «الحرية» (70) ، جاء فيه :

« وذلك أن الواقع هو أن الجزائريــين ، مــن مسلمــين وأوروبيين ، يريدون أن يعيشوا فى سلام ووئام ، وفى بلد هو تراث مشترك لهم جميعا .

« إنهم يريدون أن يسيروا شؤونهم ، وأن يتحرروا مــن الشركات الاستدمارية الكبرى ، ويتخلصوا من وصاية أمثال بورجو ، وورونى مايير ، وعبد القادر السايح ، وبلاشيط ، وغــيرهم .

« إن الحزب الشيوعى الجزائرى حارب دائما الانتظاريــة والجمـــود .

(70) - Liberté, 13 janvier 1955.

« وهو أيضا قد تحاشى **دوما الشعارات المرتجلة والأعمال الفردية** ، التى لا تستجيب لإرادة الجماهير الواسعة للسكان ، وتتجاوز إمكاناتها ، والتى قد تصبح أداة تفريق لصفوف العمال الجزائريين ، أى فى صالح المستدمرين .

« إن تطور **الكفاح السياسى** للجماهير الذى يفرض نفسه يستلزم اتحاد جميع القوى الوطنية الديمقراطية . فلابد من ربط هذا الكفاح بحلفائنا الطبيعيين ، وبالإطار العالمى ، الذى توجد فيه بلادنا ، والتضامن مع الطبقة الشغيلة ومع الشعب الفرنسى .

« هذا هو شرط تقدمنا إلى الأمام » .

ثم عادت اللجنة فى فصل خاص ختامى من هذا البيان إلى « المجلس الجزائرى » لتقول إنها :

« تؤيد إقامة جمهورية جزائرية ديمقراطية ، بمجلسها الوطنى ، وبحكومتها ، والعلاقات مع فرنسا ستكون على أساس المساواة فى الحقوق ، والاحترام المتبادل لمصالح كل منهما.

« وللوصول إلى هذا الهدف ، ولفتح آفاق واضحة ، واقعية، وممكنة التحقيق ، أمام الجزائريين فى أجل قريب ، فإننا نقترح انتخابات حرة لتعيين المجلس الجزائرى الذى لا يمثل الشعب حاليا .

« وهذا المجلس **له تسيير الشؤون الداخلية** ، الشىء الذى يفترض التوسيع من اخصاصاته .

« وفى الظروف الخاصة بالجزائر ، واعتبارا للتجربة الجارية حاليا فى تونس (المفاوضات على نزع السلاح ثم على الاستقلال الداخلى !) ، فإننا نرى أن هذا الاقتراح منا يمكن أن يساعد على حل المشكل الجزائرى » .

وتذكّر بذلك مرة أخرى في مقال من نفس العدد تحت عنوان : « في سبيل جزائر موحدة ومتآخية » ، فتقول :

« إن الحزب الشيوعي الجزائري ، الفخور بكونه الحزب الوحيد الذي يجمع في صفوفه الشغالين المسلمين والأوروبيين، دونما تمييز في العرق ولا في الدين ، لمتحقق من أنه بعمله هذا يبين السبيل الوحيد الذي يؤدي إلى تحقيق التعايش السلمي بين جميع الجزائريين الذين يعتبرون هذه البلاد موطنا لهم ـ مهما كان أصلهم ـ ، بوجه العموم جميع الذين يودون الاحتفاظ بصفة المواطنة الفرنسية ويريدون العيش هنا بسلام .

« وإنه لواع بأنه المعبر المخلص عن أماني ومصالح الأكثرية الواسعة من الجزائريين ، تلك المصالح والأماني غير المتعارضة مع المصالح الحقيقية لفرنسا ، بل بالعكس تماما » .

ثم تضيف في مقال آخر. من «الجزائر الجديدة»،تحت عنوان :

« الحزب الشيوعي الجزائري هو الأمل الوضاء للجزائريين » فتقول : إنه « البوتقة التي ينصهر فيها جميع السكان . ولذا يمكننا القول بأن الحزب الشيوعي الجزائري هو الأمل الوضاء لكافة الجزائريين »(71).

ثم عادت لجنتنا الموقرة ، وهي القيادة العليا للحزب الشيوعي في الجزائر ، إلى الموضوع من جديد بعد أقل من شهر واحد ...

فقد عقدت اللجنة المركزية لهذا الحزب « اجتماعها الهام » يومي : 5 و 6 فيفري 1955 ، أنهته « بتقرير به تحليل دقيق للحالة الحاضرة في بلادنا ، وتعيين برنامج العمل

(71) الجزائر الجديدة ، فيفري 1955 ـ العدد 91 ، السنة التاسعة .

للمستقبل » (72) ، وضعت له هذا التقديم البارز ، بحروف كبيرة داكنة مشبعة حبرا ، تقول فيه ، مما تقول ، ما يلي :

« وقعت حوادث أول نوفمبر في وقت هدوء عام ، ووقت ترقب وانتظار . وقد كان وقع هذه الحوادث كبيرا جدا على المستوى العام للجماهير الواسعة .

« وعدا المناشير التي وزعها القائمون بالحركة في البدء ، لم يظهر لهذه الحركة أى هدف سياسى ، لا من قريب ولا من بعيد » .

الله ! الله ! ألم ينص بيان غرة نوفمبر على أهدافه القريبة والبعيدة ، التى هى « استرجاع الحرية والاستقلال والسيادة، وإقامة جمهورية ديمقراطية اجتماعية ، فى إطار المبادىء الإسلامية » ؟ إنها القريبة والبعيدة ، وجوف الفرا ، وبيت القصيد !

أما الهدف القريب فى نظر الشيوعيين ، فهو الخبز ... ومكافحة البطالة ، فضلا عن مطالب 1943 بخصوص الجنسية الفرنسية وحق الانتخاب لبعض الجزائريين !

وأما الهدف البعيد ... كل البعد ... فهو انتصار الثورة العالمية للبروليتارية، أو على الأقل في العواصم الأمبريالية،... « العواصم الأمهات » ، ليمتد خيرها فيما بعد إلى البلدان المتبناة ، الموصى عليها . ومن الموصى ؟ . ويستمر التحليل فى التقرير :

« ومن جهة أخرى ، فقد وقعت هذه الحوادث فى وقت لم تتحد فيه القوى الوطنية والديمقراطية بعد » .

(72) الجزائر الجديدة . مارس 1955 ، العدد 92 ، السنة التاسعة ، ص 3 .

(وهنا أيضا : الله الله ! أو كما يقول الإسبان : « Ojalà ! » للتمنى ، التى جاءت من « الله الله » : للإعجاب ! وذلك أن بيان فاتح نوفمبر نص أيضا على أن من أهدافه ، أو الوسائل لتحقيق أهدافه : توحيد القوى المشتتة ... التى ما كانت لتتحد أبدا لو لم تفرض رصاصة أول نوفمبر ذلك الاتحاد !) ويستمر النص :

« لقد بحث التقرير بعض الضعف الذى لوحظ فى البلاد ، ونص على أنه يجب أن يتجه اهتمامنا إلى مشكلتين أساسيتين ، وهما :

« 1 ـ الأفكار الخاطئة عن الكفاح المسلح .

« 2 ـ والأوهام حول سياسة مجددى الاستدمار .

« لقد فاجأ الكفاح المسلح الكثير من الأوساط . وكثيرون هم الجزائريون ـ لا سيما من بين الفئات المتوسطة ـ الذين يتساءلون عن أصل هذه الأعمال ، (أعمال فاتح نوفمبر) ، وقارنوها بحوادث 8 ماى 1945 .

« وهذا ما دعاهم إلى الحذر ، والحيطة ، والتحفظ . فلدى الطبقة العاملة من المسلمين نجدهم يتحدثون (أى يتساءلون) عن لياقة هذه الأعمال . أما عن الأوروبيين منهم ـ أى من العمال والنقابات ـ فلقد أثر فيهم شعار المدمرين (هكذا أترجم كلمة colons ، ولا أقول « المعمرين ») والإدارة :

« لا تعينوا الفلاحة ! » ولهذا نجد هؤلاء العمال الأوروبيين لم يحركوا ساكنا من أجل مطالبهم » .

وهذه العبارة تبدو لنا غامضة ، وربما كان القصد من اللجنة المركزية أن النقابات والعمال الأوروبيين أثرت فيهم نداءات

الإدارة الاستدمارية والمدمرين أنفسهم ، وذلك تفسيرا من اللجنة الموقرة لموقفهم العدائى من فاتح نوفمبر .

فربما أرادت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى بهذه الصيغة أن تقول :

« إن العمال المسلمين يتساءلون عن مبرر فاتح نوفمبر ، خوفا من 8 ماى جديد ... أما العمال الأوروبيون فهم متأثرون بدعاية الإدارة الاستدمارية والمدمرين ... إذن : فلن يتضامن أحد مع فاتح نوفمبر ، طبعا ! » .

وانتهى الأمر ، والسلام على أهل الكلام !

ثم قسم تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى «الجزائرى» « **مهام الساعة الحاضرة** » إلى ثلاث :

« 1) الحملة الوطنية ضد القمع ومن أجل العفو عن المسجونين .

« 2)الكفاح ضد إعادة تسليح ألمانيا الغربية **الذى لا نزال متاخرين فيه** ، وحملة توقيع العرائض **ضد الحرب الذرية** (العالمية) ! (الله الله مرة أخرى ! أين أذنك ؟ !) .

«3) والكفاح من أجل المطالب ، كإعادة المفصولين عن العمل، ومطالب قدماء المحاربين، ومطالب المهنيين والتجار...».

وهذا فى فيفرى 1955 !

ولم يتطور الحزب الشيوعى الجزائرى إلا فى صيف 1955 ، حيث اقتنع، بعد سبعة أشهر من فاتح نوفمبر واستمرار الكفاح، **بأن العمل السياسى وحده** لم يعد يكفى ، خلافا لما كان ادعاه فى الأول ، حتى صيف 1955 ، كما سبق أن ذكّرنا بذلك . وكما

اعترف بذلك البشير الحاج علي ، الشخصية الثانية فى الحزب الشيوعى إذ ذاك (73) ، أو لأن أغلب أعضائه من الجزائريين بدأوا يفرنقعون عنه لموقفه المعادى ، أو على الأقل السلبى ، من فاتح نوفمبر ، أو لأنه اقتنع بأن نسبة النجاح أكبر من خطر الفشل ، فخاف أن يفوته القطار ، فسمح بتكوين جماعات مسلحة التحق افرادها ، كافراد ، بجيش التحرير الوطنى ، بعد أن شمل الكفاح المسلح لجيش التحرير الوطنى ، تحت قيادة جبهة التحرير الوطنى ، البلاد كلها ، كما كتبت ذلك فيما بعد جريدة « العامل الجزائرى » (الشيوعية) :

« لقد تغير الوضع منذ فاتح نوفمبر 1954 تغيرا كبيرا . فما أبعدنا اليوم عن الأعمال الفردية ، المتباعدة فى الزمن ، التى كانت تقع فى عدد قليل جدا من الأماكن فى البلاد !

« أما اليوم ، فمن مرتفعات مغنية وتلمسان حتى الحدود التونسية نجد الكفاح عارما . فهناك معارك حقيقية تدور رحاها . إنها الحرب ! » (74) .

أما الحزب ، كجهاز ، فقد استمر سريا بعد أن حل ، ولكنه رفض الذوبان في الجبهة ، خلافا لغيره من الأحزاب والهيئات الجزائرية الأخرى ـ عدا المصاليين ـ ، حتى استرجاع الاستقلال . وحتى فيما بعد .

وقبل أن نعرض ردود الفعل لدى الفرنسيين ، وأعوانهم ، ومنظماتهم فى الجزائر ، نذكر فقط بإيجاز أن وفدا جزائريا من جميع الأحزاب والهيئات (عدا العلماء) قد قام بزيارة إلى

(73) - Bachir Hadj Ali : « Quelques leçons du combat libérateur en Algérie », in Nouvelle Revue Internationale, p. 35, janvier 1965.
(74) - Le Travailleur Algérien, 17 mai 1956.

فرنسا بدعوة من هيئات فرنسية لشرح الوضع في الجزائـــر والدفاع عن وجهة النظر الجزائرية (75) .

كما أن بعض حركات الشبيبـــة والكشافة الجزائريـــة ، والفرنسية في الجزائر ، قد بعثت رسالة مفتوحة إلى « الحاكم » العام الفرنسي في الجزائر تقول فيها إنها :

« تأسف من الاعتداءات التي وقعت ، والاضطهادات الـتي تبعتها . ولكن الأسباب تعود إلى ما قبل فاتـح نوفمبر : إنهـا الجوع ، والبؤس ، وقلة العلاج الطبي » ! (76) .

ردود الفعل لـدى الاستدمار والمدمريـن

أما وقع المفاجأة على الاستدمار الفرنسي في الجزائر وفي فرنسا ، إدارة ، ومدمرين ، ومنظمات ، وشخصيات ، وصحافة، فقد كان لا يوصف ، إذ شبه لديهـــم أول نوفمبر بالزلزال ! بل أكثر !

وذلك أن الاستدمار في الجزائر وفي فرنسا كان يمني نفسه بنتائج الاجتماعات المتكررة على الحدود بين « المقيم » العـام الفرنسي في تونس ، الجنرال بوايي دو لاتور ، و « الحاكـم » العام الفرنسي في الجزائر ، روجي ليونار ، للتنسيق وإحكام إغـلاق الحـدود أمام تسربات مـــن سموهم بـ « الفلاقـة » التونسيين (77) إلى نواحي سوق أهراس للتموين والراحـة .

(75) - Alger Républicain, 1er décembre 1954.
(76) - Alger Républicain,03 décembre 1954.
(77) والحقيقة ، كما يرويها ويؤكدها مجاهدون من جيش التحرير الوطني الجزائري ، مثلا : عبد الله نواورية ، نائب رئيس سابق للمجلس الشعـبي الوطني ، أن ذلك كان بداية نشاط مجاهدينا قبل فاتح نوفمبر ، وكانوا مـن بقايا المنظمة السرية (l'OS)، التي كان حزب الشعب الجزائري قد كونها سنة 1947م.

وكان الاستدمار يظن بهذا الاجتماع أنه وضع حدا لما كان في الحدود ، وانتهى الأمر ، وكفاه ذلك شر الفلاقة وغيرهم !

فلو اقتصرت هذه الحالات ليلة أول نوفمبر علــــى النواحي الشرقية فقط من البلاد ، أو حتى على شرق البلاد كله ، لعزوا أنفسهم ، وهدأوا من روعهم ، واعتقدوا أنها من فعل إخواننا مجاهدي تونس .

فقد كانت الجرائـــد ، وآخرها « الجنرنال دالجـــى » (78) ، خصصت قبل ذلك بثلاثة أيام فقـــط صفحتها الأولى لتسربات « الفلاقة » التونسيين إلى سوق أهراس . وكان جاك شوفاليي ، كاتب الدولة الفرنسي للحرب و « نائب » الجزائر في البرلمان الفرنسي و « رئيس بلدية » العاصمة ، قـــد عقد اجتماعا في باريس مع قرينه في تونس ، الجنرال بوايي دي لاتور ، تحت رئاسة كريستيان فوشيه ، الوزير الفرنسي للشؤون التونسيـــة والمغربية ، قبل ذلك بأيام قلائل ، للتنسيق ومنع « التسرب » إلى الجزائـــر ....

ولكن ما الحيلة ؟ فلا من سلوى ، ولا من عزاء ، ولا من تخدير للذات ، وقد امتد الانفجار ، كما سموه ، ليلة فاتح نوفمبر ، من الشرق إلى الغرب ، مـــن أريس ، وإيشمـــول ، وتكوت ، وخنشلة ، في أوراس ، مرورا بباتنة ، والخـــروب ، ويوسف زيغود ــ (أو: سمندو "Condé Smendou" كما كانت تسمى إذ ذاك) ــ ، إلى عزازقة ، وثيقزيرث ، وبغلية "Rebeval" ، وسيدى داوود "Abbo" ، وذراع ابن خدة ، وبرج منايل ، في جرجـــر ، إلى العاصمـــة نفسها ، وبوفاريك ، والبليدة في متيجة ، لتصل إلى سيدى علي "Cassaigne" ، وترقة "Turgot" ، في مستغانم وبلعباس ، في الليلـــة الواحدة ، وفي الساعة الواحدة ، وبنفس الطرق والوسائل !

(78) - Le Journal d'Alger, 27 octobre 1954.

فليسوا إذن « فلاقة » تونسيين ، وإنما هـم « فلاقـة » جزائريون ، ومنظمون ، ووراءهم نظام وتنظيم ، ومن هنا هول اليقظة المرة والمفاجأة العظمى !

2 ـ الإدارة الاستدمارية في الجزائر

أما السلطات الاستدمارية الفرنسية فى الجزائر فلقد نشر « الحاكم » العام ، روجى ليونار ، بلاغا يوم 2 نوفمبر ترجمته كما يلى :

« فى الليلة الماضية اقترف نحو ثلاثين اعتداء فى عدة جهات من القطر ، وخاصة فى عمالة قسنطينة وفى جهة أوراس ، على خطورة متفاوتة ، من طرف عصابات إرهابية صغيرة ، فقتـل ضابط وجنديان فى خنشلة وباتنة ، وكذلك حارسان ليليان فى القبائـل .

« وقد أطلقت عيارات نارية على الدرك ، كما استعملـت مفرقعات ومحرقات بدائية لم تنشأ عنها خسارات غالبا .

« وقد اتخذت إجراءات الحماية والقمع الـتى يستلزمهـا الموقف ، من طرف الولاية العامة ، التى طلبت وسائل عمـل إضافية وحصلت عليها حينا .

« إن السكان الذين يبرهنون حاليا ، فى جميع الأوساط ، على هدوء كبير ورباطة جاش ليستطيعون أن يطمئنوا إلى أننـا سنتخذ جميع التدابير اللازمة لضمان أمنهم ، وقمع التصرفات الإجرامية المرتكبة » (79) .

وأصدرت اتحادية « رؤساء بلديات القطـر الجزائرى » توصية وقدمت طلبا إلى « الحاكم العام » الفرنسى تطلب فيهما

(79) - a) Le Journal d'Alger,02 novembre 1954.
b) Alger Républicain,03 novembre 1954.

منه « خنق التمرد قبل استفحاله . فالخنق ثم الخنق ! » (ولم يشاركهم زملاؤهم المسلمون ، « رؤساء المراكز » البلدية ، فى هذا النداء إلى «الخنق ثم الخنق والمطالبة بتكوين فرق الحماية»):

« إننا لا نتجه إلى الولاية العامة فحسب، بل نستغيث بباريس، لاتخاذ الإجراءات الصارمة والتدابير الحازمة » .

وفى اليوم التالى ، الثالث نوفمبر ، أقام « الحاكم العام » ، ليونار ، ندوة صحافية ذكر فيها للصحفيين هذه الفقرة من نداء أذاعه « صوت العرب » قال فيه :

« فى هذا اليوم ، الخامس من ربيع الأول ، الموافق فاتح نوفمبر 1954 ، بدأت الجزائر تحيا حياة كريمة شريفة » .

علق ليونار على هذا فقال :

« يبدو أن هؤلاء المحركين من الخارج يقصدون بهذه العملية أن تساعدهم على عرض قضية الجزائر على هيئة الأمم المتحدة قريبا ، ضمن ملف المغرب الفرنسى » .

وأضاف :

« وحيث إن ملف الجزائر أبيض ، فارغ ، لا مظالم فيه ، ولا شكاو ، بل ليس فيه شيء إطلاقا ، فقد أرادوا اصطناع انتفاضة مثيرة فيها للفت النظر وإضافتها إلى ملف مغربنا الفرنسى فى هيئة الأمم المتحدة » (80) .

أما «الجرنال دالجى» ، فقد أوردت هذه الفقرة الأساسية من الندوة هكذا :

---

(80) - Alger Républicain,03 novembre 1954.

« إن أوراس،القريب مباشرة من تونس ، وفي موقع ليست فيه للحدود إلا قيمة اعتبارية ، قد أصبح ملجأ ، حسب تقاليده، للفلاقة ، المضيق عليهم فى تونس .

« وإلى هؤلاء ، انضمت عناصر محلية يهمها السلب والنهب، أكثر من الإيديولوجيات السياسية .

« وإذا أضفنا إلى هذا الوضع الجغرافى المناسب ، الذى جعل من أوراس نقطة الارتكاز لأخطر أحداث فاتح نوفمبر ، كون هذه الأحداث قد وقعت كلها في وقت واحد ، سهل استخلاص نتيجة ، وهى أن وقوع هذه الأحداث فى الجزائر له هدف .

« ولنتذكر أيضا أن هذا الهدف ، كما وضحته جليا إذاعة « صوت العرب » يوم فاتح نوفمبر على الثامنة والنصف مساء ، هو تغذية ملف الجزائر ، حتى يمكن أن تعرض على دورة هيئة الأمم المتحدة قريبا قضية شمال افريقيا فى جملتها » (81) .

أما جاك شوفالييه Jacques Chevalier ، « رئيس بلدية الجزائر ونائبها » فى البرلمان الفرنسى و « كاتب الدولة » للحرب ، فقد صرح فى خنشلة يوم 2 نوفمبر :

« إن الحكومة لن تقبل ، بأية صفة كانت ، بأى إرهاب فردى ولا جماعى ، وإن جميع التدابير الصارمة ستتخذ » (82) .

كما صرح « بريفى » (والى) الجزائر ، تريمو Trémaud، فى « المجلس العام » (Conseil général) يوم 2 نوفمبر :

« إن هذه الاعتداءات ، التى لا يقوم بها إلا جبناء ، قامت بها حفنة من المتعصبين لا يمكن الخلط بينهم ومجموع السكان. فهؤلاء هادئون فعلا وبقوا هادئين » (83) .

---

(81) - Le Journal d'Alger, 03 novembre 1954.

(82) نفس المصدر والتاريخ .

(83) نفس المصدر والتاريخ .

وفي السادس نوفمبر صرح المتحدث باسم «الولاية العامة» في مؤتمر صحافي فقال :

« إذا كنا لا نستطيع الآن أن نعبر عن تفاؤل مفرط ، فإننا نستطيع ، بعد خمسة أيام فقط من استعمال الإرهاب في الجزائر، أن ننظر إلى الوضع بثقة . وذلك أن الشرطة قامت بعمل جبار ، لا نود أن نبوح بتفاصيله الآن ، حتى لا نعوقها في عملها . ولكننا مع ذلك نستطيع أن نقول إن أغلب المحركين والمسئولين هم الآن رهن الاعتقال ، وفي عجز تام عن مواصلة تصرفاتهم الإجرامية » (84) .

أما الباشاغاوات ، والأغاوات ، والقياد ، والشنابط ، والمفتون ، وشيوخ الطرق الصوفية ، وقدماء المحاربين ، و « النواب » في المجلس المسمى بالجزائري وفي البرلمان الفرنسي ، وغيرهم من الحيوانات وكم من حيوان هو منهم أوفى وأشرف ، أنفع لجنسه وأحسن أخلاقا وأظرف ، والحديث عنه ألذ وأطيب وأطرف ، فسلوكهم في الواقع لا يستحق الذكر ولا الدراسة ، وإنه لظلم للكلب أن يسمى الخونة كلاب الحراسة، وليس لهم ما لها من الوفاء لأهلها وصدق الفراسة ، إذ يتذللون للرومي وهم لأهلهم رمز الشراسة ، والشوك بالمقارنة معهم للأمة خير الغراسة ، فقد أغرقوا الحكومة الفرنسية بالبرقيات، طمعا في طول البقاء وفي الترقيات ، ومجت الأسماع ما تبرعوا به من تدخلات ، وما تذللوا به إلى الاستدمار من توسلات ، ليبقى خوفا مما قد تأتي به الرياح من تبدلات !

فلقد ظلوا ينبحون مستنكرين « عوج » هؤلاء « الناكرين لجميل فرنسا » ، ومجددين لها التعبير عن ولائهم (85) حتى

(84) - Le Journal d'Alger,06 novembre 1954.
(85) - "Profonds sentiments de loyalisme et d'indéfectible attachement !"

لا تنسى ، متبرئين من هؤلاء « الضالين » من بني جلدتهم ، يدلون العدو عليهم في حيهم وقريتهم وبلدتهم ، ويطلبون أن يستعمل ضدهم أقصى الصرامة ، بالإبادة أو السجن وأثقل الغرامة !

ومن يريد دراسة ذلك فما عليه إلا أن يراجع جريدة لوموند، والجريدة الرسمية الفرنسية ، والجرائد الفرنسية الصادرة في الجزائر إذ ذاك ، ليجد « العجائب » و « الغرائب » ، كما يقول أبو زكرياء القزويني في كتابه المعروف !

ولا شك أن الهلع الذي استولى عليهم ، والفزع الذي أمسك بتلابيبهم، كانا لا يقلان إطلاقا عما ضغط على خناق الأوروبيين إدارة ومدمرين ، من الخوف وتصور النهاية ، لربطهم مصيرهم بالاستدمار الفرنسي .

ومن هنا هذا الغليان من التصريحات والإلحاحات من هــذه النوعيات . ولا بأس بإيراد بعضها ، تمثيلا لا حصرا ، وهــذا أيضا من صميم باب ردود الفعل على أول نوفمبر :

عبد القادر السايح ، رئيس « المجلس العام » (Conseil général) لعمالة الجزائر ، يوم 2 نوفمبر في جلسة استثنائية :

« لقد أغرق عمل إرهابي فريد من نوعه عمالتنا الجزائرية كلها في الدم .

« فباسمكم وباسمي الخاص أود أن أعبر عن تأثرنا وسخطنا ، وعن استنكارنا المطلق لهذه الجرائم ومقترفيها .

« وإننا لنؤكد أن سكاننا لا علاقة لهم بهذه التصرفات التي تفوق كل وصف ، والتي دافعها الحقد ، ووسيلتها القتــــل ، ونتائجها الفوضى والبؤس .

« كما أوجه نداء إنسانيا إلى عنصرى السكان عندنا حتى يبقى كل واحد منا رابط الجأش ، ويكون الاتحاد والتفاهم جواب الجميع على معكرى الجو ودعاة الفوضى » (86) .

ابن شنوف : رئيس بلدية خنشلة ، وعضو « المجلس الجزائرى » : « أجدد التعبير عن تعلقى الذى لا ينفصم بفرنسا، وولائى العميق لها ، وأندد بهذه الأعمال التى تستنكرها أغلبية السكان المسلمين » (87) .

الدكتور ابن جلول : (فى البرلمان الفرنسى) :

« أرجو أن لا يلحق القمع إلا المجرمين (أى المجاهدين) ، ثم لابد من تحقيق الاندماج تماما وفورا . لتصبح الجزائر فرنسية حقيقة وعمليا » (88) .

ابن قانة :

« ليست هناك ثورة ، وإنما هى أعمال مسلحة موجهة من الخارج لخلق جو يسمح بعرض القضية أمام هيئة الأمم المتحدة .

« وتنبغى مساعدة الجماهير الجائعة والشباب المتسكع ، كما يجب تطبيق الدستور الجزائرى » (89) .

سيد قارة :

« انى متأكد من أن الأمر لا يعدو عددا قليلا من الضالين . إن الجزائر ليست محمية (مثل تونس والمغرب) ، ومصالى يتصور الجزائر مستقلة ! إنه لم يبعث برسالة لا من الله ولا من الناس !

---

(86) - Le Journal d'Alger,03 novembre 1954.
(87) - Le Journal d'Alger,03 novembre 1954.
(88) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.
(89) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.

« انه يريد طرد الفرنسيين لإنشاء جمهورية جزائرية ، ويقول طبعا إنها ستكون ديمقراطية ! ولكننا نعرف من يمسك بالخيوط ! » (89 م) .

قاضي (ديغـولي !) :

« أعبر عن ثقتي بوزير الداخلية ليعيد الأمن بكل الطـرق والوسائـل » (89)3 .

ابن باحمد (اشتراكي !) :

« ان الشر كله جاء من إذاعة القاهرة العربية ، وإذاعة المجر الشيوعية ، ولكن أيضا من إذاعة اسبانيا الفاشيستية ، وإذاعة أمريكا الديمقراطية .

« إننا لنعبر عن عرفان السكان الجزائريين بالجميل للحكومة الفرنسية (!) ، التي عرفت كيف تقدر حركة التمرد حق قدرها ، وكيف تضعها في مكانها ، وعن تقديرنا لسلوك الجنود الشبان المرسلين إلى الجزائر ، وعن تأثرنا وانزعاجنا عندما سمعنا اليوم أثناء المناقشة أنه من غير الممكن وضع الجزائر وفرنسا على نفس القدم (أي عدم تسوية الجزائر بفرنسا تماما وعدم اعتبارها جزءا لا يتجزأ منها !) .

« وقد بلغ بنا التأثر إلى حد التفكـير لحظـة قصـيرة في الاستقالة » ! 4(89) (يا لها من نخوة !) .

إسماعيل (راديكـالي !) :

« احتج ضد أية فكرة ترمي إلى انفصال الجزائر عن فرنسا .

« إن التعاون الفرنسي الجزائري ينبغي أن يكون أوثق من أي وقت مضى .

(89 bis) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.
(89) - 3) Le Monde, 14-15 novembre 1954.
(89 - 4) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.

« ولكن يجب الإقلاع عن إعطاء أعضاء منظمات سياسية صدر الأمر بحلها أية قيمة ، وعن إعارتها أى شأن . (الشأن لعظيم الشأن ، أى للراديكالى ! استغفر الله !) .

« كما تجب زيادة القوة الشرائية للجماهير . ثم إن الاستثمارات الفرنسية ستفيد فى الجزائر أكثر مما تفيد فى مصر » (90) .

كما أرسل الشيوخ بالحملاوى ، وزوانى ، وعثمانى ، والتيجانى ، والأمين الحافظى ، ومفتى قسنطينة (ولم يذكر اسمه) ، والدكتور ابن جلول ، والنواب « المستقلون » إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ورؤساء المجالس الكبرى فى فرنسا برقيات « يؤكدون فيها ولاءهم لفرنسا ، وتعلقهم بها ، ويطلبون العقاب الصارم للمتمردين » (91) .

حالة فريدة :

قائد دوار خضارة (دائرة سوق أهراس) ، محمد الصالح كشريد :

« أوقف من مهامه بقرار من الوالى العام لتقصير خطير فى أداء مهامه » (92) .

وهذه الحالة الأخيرة هى الإيجابية الوحيدة التى عثرنا عليها فى الصحافة الفرنسية ، إذا ما فرضنا أنه أوقف لسبب سياسى نظرا ربما لموقف قد وقفه فى الأيام الأولى من فاتح نوفمبر .

---

(90) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.

(91) - Le Dépêche Algérienne,02 novembre 1954.

(92) - La Dépêche Quotidienne,09 novembre 1954.

الكردينال دوفال : أما رجال الدين النصراني في الجزائر ، فقد أصدر الأسقف دوفال ومساعداه في وهران وقسنطينة بيانا عن الوضع في البلاد ، يؤكدون فيه :

« أن أحد شروط السلم هي العدالة الاجتماعية ، ولا ينكر أحد أن جهودا قد بذلت في هذا السبيل . كما لا ننكر الصعوبات التي تعترض الذين يعكفون على تحسين مصير المستضعفين من الفقراء والمساكين .

« على أن أحدا لا يستطيع أن يبقى جامدا أمام الوضع المأسوى الذى يوجد فيه جزء هام من السكان الذين يعانون الجوع ، والحرمان من أبسط الأشياء ، وخاصة في ضواحي بعض المدن الكبرى والجهات المحرومة من الجزائر .

« وكما قلناه عدة مرات ، فمن المستعجل زيادة الجهود في مكافحة الفقر ، والبؤس ، والبطالة ، كما يجب الحفاظ على روح المحيط ، ونؤكد ضرورة رفع مستوى المعيشة » (93) ! وكأن هذا كل المشكل والسلام ! ولم يوضح لنا من يدّعون أنهم وكلاء المسيح روح الله عليه السلام في هذه الأرض ما نوعية هذه الجهود التي بذلت ، وأين عكف هؤلاء العاكفون على تحسين مصير المستضعفين ...ولإزالة هذا البؤس وذلك الوضع المأسوى، اللذين يعترف بهما البلاغ ، وفيما إذا كان الإنسان يحيا بالخبز فقط ، أو أنه حيوان فقط ، يعيش ... بعد أن تتوفر له وسائل العيش ، إذا ما توفرت يوما ما ، يعيش ، ولا يحيا ... وما لنا والحرية ، والاستقلال ، والسيادة ، والكرامة الإنسانية، وغيرها من الأفكار المستوردة ، التي هي ترف وبذخ وأوهام ، صعبة الاستيعاب على بعض الأفهام !

---

(93) - Alger Républicain, 30 novembre 1954.

ردود الفعل لـدى المدمرين والسكان الأوروبيين والصحافـة الفرنسية فى الجزئـر :

ولكن أحدا ربما لم يعجز عن السيطرة على مشاعـر الخوف والاضطراب كما عجز المدمرون والصحافة الفرنسية اليمينية فى الجزائر .

المـدمـرون :

فقد وقعت مفاجأة ليلة فاتح نوفمبر عـلى المدمرين مثـل الصاعقة ، وأصبحوا ، خاصة فى المناطق الجبلية فى أوراس ، حيث حوصرت إشمول وبلدة أريس ، أو فى جـرجـر ، حيث حوصرت قرى بغلية (Rebcval) ، وسيدى داوود (Abbo) ، وثيزى غنيف ، وبلدة ثيقزيرث فى ولاية ثيزى وزو ، وسيدى عـلي (Cassaigne) فى ولاية مستغانم ، يصرخون مستنجدين ، فى هلع لا يوصف ، طالبين الأسلحة !

وهكذا كتبت « الجرنال دالجى » عـلى الصفحة الأولى مقـالا طويلا مدعما باستجوابات وصور :

« السكان الأوروبيون يطلبون من الجيش والدرك الحماية من الإرهابيين » (94) ، واصفة هلـعالمدمريـن « الذين شاهـدوا بأعينهم مراكز الدرك تحاصر فى ثيقزيرث ، التى احتلت مدة ساعة ، وغيرها من الأماكن التى ذكرناها آنفا » .

وكتبت نفس الجريدة على الصفحـة الأولى أيضا وبصـور مضخمة يومين بعد ذلك :

« فى أريس المحاصرة من الإرهابيين » :

(94) - Le Journal d'Alger,03 novembre 1954.

« يقول السكان لمندوبنا : لا تتركونا لمصيرنا ! » (95)

كما كتبت « لوموند » أياما بعد ذلك :

« لقد عرف المدمرون الهلع والفزع ! فطيلة الأيام التى تلت انفجار الإرهاب تراكمت طلبات رخص حمل السلاح من طرف الأوروبيين على مكاتب محافظى الشرطة ورؤساء الدوائر الممتزجة (administrateurs de communes mixtes) . وإن علامات الوهن والخوف لبادية فى أوساطهم ، ويخافون تجدد الحريق .

« وهذه المخاوف المبهمة ، وتلك التهديدات غير الواضحة ، كل ذلك يجعل الكثير منهم ينظرون إلى المرحلة الجديدة على أنها فاصلة فى تاريخ العمالات الثلاث (أى الجزائر بكاملها » (96) .

ولقد أصيبت الصحافة الفرنسية اليمينية الصادرة فى الجزائر بالجنون والهلع ، وأجمعت كصوت واحد على المناداة بضرورة خنق « الفرخ فى البيضة » ، أو فى المهد ، أو «بتحطيم التمرد بكل الوسائل» ، وهذا من "La Dépêche"و"La Dépêche Algérienne" ، والجرنال دالجى "Le Journal d'Alger" ، إلى "L'Echo d'Alger"، أو « الجريدة الكبرى للأقدام السود » ، كما سماها ديغول ! (97) .

ولكن ربما عبرت عن ذلك الهلع أفصح من غيرها جميعا جريدة « الجرنال دالجى » ، وقد كانت كلها جرائد « الأقدام السوداء » ، فقد كتبت ، فيما كتبت ، فى افتتاحيتها تقول :

« ها نحن قد وصلنا إلى ما تنبأ به منطقيا أناس متبصرون ، وتصوره كل من كان يحتك بالواقع اليومى ، ممن يملكون غريزة الأحداث !

(95) - Le Journal d'Alger,05 novembre 1954.

(96) - Le Monde, 16 novembre 1954.

(97) - Charles de Gaulle: Mémoires d'Espoir, p. 84, "le grand journal des pieds noirs, l'Echo d'Alger".

(أى المدمرين الأوروبيين القاطنين فى الجزائر منذ الغزو الفرنسى) .

« ان الجزائر قد حركت أمس ! وليست الأرض هى التى زلزلت ، كما حدث ذلك يوم 9 سبتمبر فى الشلف ، لا ! وليست الجماهير هى التى ثارت . بل إنه شيء أسوأ من هذا كله :
« إنه الإرهاب ! » (98) .

أما الديبيش كوتيديان ، الصادرة بالجزائر أيضا ، فقد كتبت فى اليوم الثانى من نوفمبر أيضا ، فيما كتبت ، فى افتتاحيتها ما يلى :

« إن الذى يلفت النظر أكثر من كل شيء فيما حدث ، أكثر من الخسارات المادية الباهضة فى كل مكان ، هى فجائية هذه الأحداث ، وتزامنها الدقيق، مما يدل على وجود مخطط تنفيذى صممته وأنجزته منظمة منضبطة » .
وتكرر :

« فهذه الفجائية ، وذلك التزامن الدقيق فى التنفيذ ، أى فى وقت واحد ، يدلان على وجود منظمة منضبطة هى التى تحير أكثر من الخسارات المادية والبشرية .

« إن جزائرنا التى كانت مثال الرصانة والهدوء بين قطرين مضطربين قد لحقها بدورها ذلك الاضطراب .

« وإن هذا التنظيم ، وهذه الدقة ، وتلك الشمولية ، وهذا التزامن ، إذ وقعت هذه الحوادث كلها فى الدقيقة الواحدة والساعة الواحدة ، أى على الساعة الواحدة والربع بالضبط صباحا (15 ، 01) من ليلة الاثنين فاتح نوفمبر ، أى يوم الأحد ليلا ، إن كل هذا هو المحير فعلا ، وإنه لأهم من كل شيء ! » (99) .

هذه نماذج من جريدتين يمينيتين عن ردود فعلهما الأولى تجاه وقع الحدث نفسه .

---

(98) - Le Journal d'Alger,02 novembre 1954.
(99) - La Dépêche Quotidienne,02 novembre 1954.

أما طريقة معالجته من هاتين الجريدتين وغيرهما من جرائد اليمين ، فهى متفقة كلها على ضرورة الضرب بقوة ، كما هـو معلـوم ، ولا مشاكل ، ولا حلول ، والسلام ! أو « الخنـق فى المهد » ، أو « فى البيضة » .

ولنأخذ الآن بضعة نماذج من ثلاث جرائـد يسارية ، هى ألجى ريبوبلكان ، و «الحرية » Liberté ، و « العامل الجزائرى »، فالأولى كتبت (100) بتاريخ 2 نوفمبر عنوانا ضخما ، بحروف كبيرة مشبعة حبرا ، على سطرين يمتدان من الطرف إلى الآخر من عرض الصفحة ، فوق اسم الجريدة على الصفحة الأولى :

« اعتداءات attentats خلال الجزائر أمس ! » .

مع العلم أن كلمة « اعتداء » attentat هذه تعرفها القواميس الفرنسية بأنها « تصرفات إجرامية » ، أى يعاقب عليها القانون، طبعـا .

تقول الجريدة فى افتتاحيتها تحت عنوان :

« حلـول واقعية » :

« اعتداءات فى تونس ، واعتداءات فى المغرب،وقيل إذ ذاك إنها مفاجأة. ولكن لا ينبغى أن يقال هذه المرة أيضا إنها مفاجأة!

« ولئن كانت هناك اختلافات فى الوضع الخاص لكـل مـن الأقطار الثلاثة ، فالأسباب واحدة ، والقمع لن يحل المشاكل .

« فلا سياسة النعامة ولا سياسة البندقية تفيدان . فالسياسة الوحيدة التى ستفيد هى الحل الديمقراطى للمشكل » (101) .

---

(100) - Alger Républicain,02 novembre 1954.
(101) - Alger Républicain,02 novembre 1954.

أما « الحرية » فقد نشرت ، إلى جانب بلاغ الحزب الشيوعي، شبه افتتاحية ليس فيها من إشارة إلا إلى الماديات : البطالة ، الاستثمارات ، الحالة المادية السيئة عموما في الجزائر ، صمم « الإدارة » أمام جميع الطلبات ، والتحذيرات ، والتنبيهات ، وتذكير بسوابق سياسية فيمختلفالمستدمرات الفرنسية .»(102)

وهناك عنوان ثان عن أول نوفمبر بجنب العنوانين المذكورين ، وهو أصغر ثلاث أو أربع مرات من عنوانين مجاورين عن الطماطم وحوادث السيارات !

أما جريدة « العامل الجزائري »، لسان حال النقابة الشيوعية، فافتتاحيتها كانت تحت عنوان :

« نريد العمل والخبز ! » "Du travail et du pain"

وفي صلب المقال تقول الجريدة :

« ان الشعب الجزائري يريد العمل والخبز ، وليس القنابل والرشاشات » (103) .

ثم كان السطر الأخير منه هكذا :

« العمل والخبز ، هذا ما تريده الطبقة العاملة في الجزائر » !

وأما المقال الأكبر على الصفحة الأولى ، بعد هذه الافتتاحية ، فعنوانه كان : « الأجور المنخفضة والمعيشة الغالية » .

ولنعد الآن إلى الجريدة المركزية الرسمية لهذا الحزب ، وهي الحرية "Liberté" ، التي كتبت شهرين بعد فاتح نوفمبر :

واكتفي هنا بالعناوين ، وهي في نفسها ذات دلالة ومغزى !

(102) - Liberté, 04 novembre 1954.
(103) - Le Travailleur Algérien, 23 novembre 1954.

ثلاث مقالات عن « مشاكل اليوم المستعجلة » ، وهي : « مشكل البطالة » ، و « أضواء في الاحياء الجميلة ولا شيء في الاحياء القصديرية ! »، باستعمال الجناس أو التلاعب بالألفاظ :

"*Néon* pour les beaux quartiers" "*Néant* pour les bidonvilles !"

وثالث ــ وهو أهمها ! ــ كان بحروف مكبرة مشبعة حبرا يقول :

« إن المعركة مستمرة (ضد أي شيء ؟ أو ضد من ؟ تنبأوا ، حضرات المستمعين ، ويأيها القراء الكرام ! إنها :) ضد إعادة تسليح ألمانيا » ! (104) .

ونشرت « ألجي ريبوبلكان » مقالا غريبا عجيبا لكلود برديه، الذي يعرفه الكثير منا ، يتساءل فيه عما إذا لم تكن الشرطة الاستدمارية هي التي حاكت مؤامرة أول نوفمبر اتخلق ذريعة تحطم بها الحركة التحريرية (105)، وإن كان صدر له يومين قبل ذلك مقال آخر بمعنى آخر سنجده في الصحافة الفرنسية الصادرة في فرنسا وسنذكره فيما بعد .

ردود فعل المدمرين في المغرب

وفي المغرب نجد المدمرين « يطالبون الحكومة الفرنسية بإحكام التنسيق بين السلطات الفرنسية في كل من المغرب والجزائر وتونس لمحاربة الإرهابيين » (106) .

ردود الفعل في فرنسا

فإذا كانت ردود الفعل الأولى في الجزائر لدى اليساريين ، من أوروبيين وجزائريين ، بل حتى لدى الوطنيين ،

(104) - Liberté, 30 décembre 1954.
(105) - Alger Républicain, 06 novembre 1954.
(106) - Le Figaro, 06-07 novembre 1954.

(ونعنى هنا الأحزاب والهيئات) ، هى التردد ، والشك ، والتذبذب ، وإلقاء المسئولية على فرنسا فيما حدث ؛ وإذا كانت لدى اليمين (الأوروبى) فى الجزائر ، من إدارة ، وصحافة ، ومدمرين ، وخونة جزائريين ، هى : « الضرب ثم الضرب بقوة ! » . لا غير ، فإن هذه الردود فى فرنسا كانت تختلف قليلا ، وهى تتشابه عند كل من الحكومة الفرنسية ، والشخصيات ، والصحافة ، لدى جميع الأحزاب الفرنسية ، باختلاف طفيف يخص ذاتية أو استقلالية حركة أول نوفمبر فى نظر الحكومة واليمين ، اللذين ينكرانها ، وينسبان ما حدث إلى محركين من الخارج ؛ واليسار الذى لا ينكر ذاتيتها . أما الحلول المقترحة فلا تختلف كثيرا فى الجملة ، نقول : فى الجملة :

فاليسار المتطرف تكلم حقا عن ضرورة إرضاء « المطامح المشروعة » للجزائريين ، ولكن بدون ذكر نوعية هذه المطامح، فضلا عن نقد طبيعة العمل الثورى ، الذى ندد به بصفته « أعمالا فردية » ، كما سنرى .

أما الحكومة واليمين ، فلا مشكل فى نظرهما ، عدا الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، التى يلوحان ببعض الوعود بشأنها. أما الحركة نفسها « فليست جزائرية ، وإنما هى من إيجاد ، وتدبير ، وتنظيم الخارج ، والجزائر مقاطعة فرنسية ، ولا مفاوضات إلا الحرب!» . **والأعمدة الخمسة للحكمة الفرنسية فى الرد على فاتح نوفمبر** (أى النقاط الرئيسية في ردود الفعل الفرنسية الأولى لدى الحكومة الفرنسية نفسها ، ولكن خاصة عند شخصيات فرنسية « متفتحة ») هى :

1 ــ أن الحركة من الخارج ، (من القاهرة بالنسبة للأكثرية ، وأيضا من العالم الشيوعى عن طريق بودابيست للبعض القليل)،

وأن ليس في الجزائر إلا حفنة من المتمردين العملاء تحركهم هذه الأيدي الخارجية .

2 ـ أن الجواب يكون بإظهار القوة والعزيمة démonstration de notre force et de notre résolution.. لخنق ادعائهم ، بإحكام العمليات البوليسية opérations policières في جبال أوراس وجرجر ، ولا شيء غير ذلك إطلاقا !

3 ـ وفي الوقت نفسه : تحسين الوضع المادي ، بإفساح مجال العمل ، وتوفير الخبز ، وتحقيق المساواة في الحقوق والواجبات ، وإصلاح الطرق ، والري ، ونشر التعليم .

4 ـ تطبيق دستور الجزائر Statut de 1947 ، بترسيم اللغة العربية، (والبعض يضيف : احترام الدين الإسلامي) ، وإلغاء الأحواز الممتزجة Communes mixtes ، وإلغاء نظام الحكم العسكري في جنوب البلاد ، وانتهى الأمر ، والسلام ، ولا كلام !

5 ـ أما الباقي : فلا مشكل سياسي ! إذ الجزائر فرنسية ، ولا مفاوضات ، إذ لا يتفاوض الانسان مع نفسه ! ولا تفاهم مع حفنة المتمردين ، والمفاوضات الوحيدة هي الحرب ! ومن أنذر فقد أعذر !

3) تفصيل ردود الفعل في فرنسا

1 ـ فلدى الحكومة الفرنسية :

بلاغ وزارة الداخلية الفرنسية :

أصدرت وزارة الداخلية الفرنسية البيان التالي :

« لقد حدث عدد من الاعتداءات فى الليلة الماضية فى عـدة نقاط من الجزائر . وهى من اقتراف أفراد أو عصابات صغيرة معزولة. وإن الهدوء التام ليسود الآن بين مجموع السكان»(107).

كاتب الدولة للحرب :

كما صرح جاك شوفاليه ، كاتب الدولة للقـوات المسلحـة (Jacques Chevalier) :

« إن الوضع يتطور بسرعة في صالحنا . إنى متفائل » (108).

وإن لم يذكر إذ ذاك ذلك الربع ساعة الأخير le dernier quart d'heure الشهير المحبوب لدى روبير لاكوست ، الذى لم يتحقق أبـدا ، وحل محله وتحقق فعلا ، بعد عدة سنوات ونصف ، ربع ساعة آخر ، وهو ربع ساعة رابلى le quart d'heure de Rabelais ! أى حلول وقت الدفع ... والوقوع فى حيص بيص ! وحزم الحقائب !

رئيس الحكومة الفرنسية :

وفي البرلمان الفرنسى صرح بيير منديس فرنس، رئيس الحكومة الفرنسية ، ردا على« نواب»خونة جزائريين « طلبوا منه ، بلهجة حب عميق لفرنسا ، أن يستعمل الشدة والصرامة ، ويحقـق الإدماج الكلى للجزائر فى فرنسا » (109) قائلا :

« لا تخافوا ، إن الأمة لن تسمح لأحد بأن يخاطر بوحدتها ، وأن ليس هناك انفصال ممكن للجزائر عن فرنسا » (110) .

« وهاجم الحكومة المصرية بأدب ، ولكن بحدة وقوة » ، وقال :

---

(107) - Le Monde,02 novembre 1954.
(108) - Le Figaro, 10 novembre 1954.
(109-110) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.

« إن الصداقة الفرنسية المصرية تعود إلى قرن ونصف » ، كما أكد « أهمية وحجم مساعدة فرنسا لمصر اقتصاديا وفنيا وبرؤوس أموال مستقبلا » وأضاف :

« إنه لمن الخطر أن تشبه حال الجزائر بتونس ، وسنضرب بشدة . وبعد عودة الأمن والنظام ، سنزيل البؤس عن العمال الجزائريين في فرنسا ، وعن الجزائريين في بلادهم . فالمشكل هو قبل كل شيء اقتصادى واجتماعى .

« وسنخلق ظروفا في الجزائر تساعد على ضمان الحياة الرغدة التى تريدها فرنسا لجميع أبنائها .

« هناك مواطنون شنوا حربا على وطنهم patrie ، ولكن الشعب لم يتبعهم . وقد اتخذنا الإجراءات الصارمة التى يقتضيها الموقف ، وأعددنا وجندنا جميع الإمكانات حتى تتغلب قوة الأمة .

« إن الجزائر هي فرنسا . ومن الفلاندر حتى الكونغو des Flandres au Congo ليس هناك إلا قانون واحد ، وأمة واحدة ، وبرلمان واحد . هذا هو الدستور ، وهذه إرادتنا ، ولا حق لأى أحد أن يشك فيها .

« إن الاحتفاظ بالمجال الفرنسى فى افريقيا ، بقدر ما تسمح لنا به التصفية المحزنة لمصالحنا فى آسيا (فييتنام وبوندى شيرى) ، لهى إرادة فرنسا .

« أما فى المجال السياسى ، فقد حللنا حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، وشنت الشرطة حملة واسعة من الاعتقالات لأعضاء هذه الحركة وقادتها في الجزائر ، وفى فرنسا نفسها . لأننا متأكدون الآن من أنها ، إذا لم تكن لها المسئولية المباشرة

فى التمرد ، فهى على الأقل صاحبة القيادة الإيديولوجية ، إذ هى التى زودته بعناصره الأكثر تعصبا .

« وسنواصل اتخاذ الإجراءات الصارمة . وذلك أنه من غير المعقول والمقبول أن يثور مواطن على وطنه . فاعتمدوا على الحكومة ، وعلي بالذات » .

وأضاف :

« لقد أصبنا أخيرا بكارثة زلزال الشلف . (9 سبتمبر 1954) . وها هى محنة جديدة عابثة ، تسببت فيها هذه المرة **بلادة عمياء** . فعلى الأمة أن تبرهن على وحدتها وتضامنها . ففرنسا كلها مضروبة مع فرنسيى الجزائر ، من مسلمين وأوروبيين .

« ولن نرحم المتمردين . فلن يكون هناك تساهل . فلا يمكن التساهل عندما تكون وحدة الجمهورية والسلم الداخلى للأمة معرضين للخطر . وذلك أن العمالات (الولايات) الجزائرية جزء من فرنسا منذ مدة طويلة ، وسكانها يتمتعون بالجنسية الفرنسية ، ولهم تمثيلهم فى البرلمان . وقد برهنوا بكفاية عن تعلقهم بفرنسا ، بحيث لا يمكن أن تسمح فرنسا لأحد بأن يعرض وحدتها للخطر .

« فبين الجزائر وفرنسا الأم لا يمكن أن يكون هناك أى انفصال . وينبغى أن يكون هذا واضحا لجميع الناس ، وفي جميع الأمكنة والأزمنة : فى الجزائر ، وفى فرنسا ، ولكن أيضا فى الخارج » (111) .

وفى خطاب فى واشنطن ، كرر رئيس الحكومة الفرنسية تأكيد هذه النقاط ، فقال :

(111) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.

« إن بلدان شمال افريقيا متعلقة بفرنسا الأم ، التى يربطها بها التاريخ والجغرافيا .

« فافريقيا الشمالية هى الساحل الجنوبى للبحـــر الأبيض المتوسط ، مثلما تمثل مقاطعة بروفانس Provence ساحله الشمالى.

« ومصير شمال افريقيا هـــو الارتباط بأوروبا جغرافيـا وتاريخيا ارتباطا عضويا لا انفكاك له .

« وقد كان الجو هادئا ، وكل الشر جـاء فجـأة من إذاعتى بودابيست (أى العالم الشيوعى) والقاهرة (أى العالم العربى)، وهذا الوضع مثار قلق دائم لنا .

« فمن هذين العالمين أيضا يفد المهرجون والمشاغبون. ومنهما أيضا تتسرب الأسلحة ، التى بها تجد الحرب الكلامية امتدادها فى الحرب الدموية (112) .

« والعلاقات الجديدة التى سعينا إلى إقامتها مع هذه البلدان المغربية تأخذ بالاعتبار حقائق العالم المعاصر والمطامح المشروعة لجميع سكانها ، الأوروبيين منهم والأفارقة » (113) .

ثم ذكر بـ « مساوئ » إذاعتى القاهرة وبودابيست وأعاد :

« ولن تتسامح فرنسا أبدا فى هذا المبدإ ، ولا البرلمـان ، ولا أية حكومة .

---

(112) وهذا هو منديس فرانس الذي يقول عنه الاستاذ الدكتور آندري مندوز «إنه لـو بقى فى الحكم حتى ربيع 1956 ، وكان هـو الذى تلقى عرض المفاوضات مع جبهة التحرير الوطنى الجزائرية ، لتغـير الوضع بكثـير » ! :
André Mandouze : Le Témoignage Chrétien, 23 novembre 1981.
بل وهناك نص آخر منه أكثر صراحة من هذا : فحتى في رسالة استقالتـه التي ارسلها إلى غي مولى كتب ما يلي (أي منديس فرانس) : « ان هذا البؤس الذي فيه الشعب الجزائري سيفقدنا هذا الشعب ، وبفقدانه سنفقد الجزائر لا محالة ، مما سيؤدى إلى فقدان ممتلكاتنا فى افريقيا كلها ! » (113 م) .
فالذي يخاف عليه ومنه إذن هو فقدان الجزائر وافريقيا كلها !

(113) - Le Monde, 21-22 novembre 1954.

(113 bis) - Pierre Mendès-France, in Le Monde, 25 mai 1956.

« إنه مبدأ أساسي . فالجزائر هي فرنسا ، وليست بلدا أجنبيا نحميه » (114) .

ولنلاحظ هنا أنه نفس منديس فرانس الذي قال في خطابه في تونس ، أمام الباي ، يوم 31 يوليو من نفس العام ، 1954 :

« إن القوة لا تحل المشاكل » هو الذي يقول هنا إن وضع الجزائر يختلف عن تونس . . .

وهذه النظرية : « أن الجزائر ليست محمية . بل هي مقاطعة فرنسية ، وجزء لا يتجزأ من فرنسا » . هي التي غرسوها لا في فرنسا فحسب ، لدى الجميع ، بدون أي استثناء بل حتى في الخارج ، وفي العالم العربي والإسلامي بالذات ، ولدى بعض الجزائريين أنفسهم ، أكثر من أي أحد آخر ، كما سنرى !

وسنجدها عائقا دبلوماسيا كبيرا أمامنا . كما سنبينه لدى ردود الفعل الأولى في الخارج .

وآخر نص نورده هنا لمنديس فرانس ، رئيس الحكومة الفرنسية إذ ذاك ، هو تصريحه في البرلمان الفرنسي ، مباشرة قبل تدخل النائبة الشيوعية عن وهران ، أليس سبورتيس :

« إنه لم ينتقد أحد رد فعل الحكومة ضد المشاغبين (أي المجاهدين) ، الذين لا تهمهم الإصلاحات إطلاقا ، بل يبذلون جهدهم لعرقلة مسيرة التقدم .

« وسنحارب بقوة جميع المحاولات الرامية إلى خلق الفوضى » (115) .

(114) - Le Monde, 12-13 décembre 1954.
(115) - Le Monde, 12-13 décembre 1954.

ردود وزير الداخلية الفرنسي ، فرنسوا ميتران

أما وزير الداخلية الفرنسى ، فقد صرح أمام لجنة الشؤون الداخلية فى البرلمان الفرنسى (لأن الجزائر من الشؤون الداخلية !) بما يلى :

« لا يمكن أن تكون هناك محادثات بين الدولة والعصابات المتمردة التى تريد أن تحل محلها » .

وعلقت جريدة الفيغارو على حديثه هذا بقولها :

« لقد حرص وزير الداخلية مدة ساعتين أمام لجنة الشؤون الداخلية على توضيح الفرق بين الأعمال الإرهابية الفردية والتمرد » .

وتضيف الجريدة : « هل كانت المفاجأة تامة كما قيل ؟

« وزير الداخلية يجيب بالنفى : « وإنما كانت الأحداث المتوقعة سابقة للميعاد المقدر لها » (116) .

وأضاف وزير الداخلية الفرنسى :

« حقا كانت هناك شعارات سببا لهذه الأحداث الإرهابية وللتمرد . ويبدو أن قرب دورة هيئة الأمم المتحدة قد دفعت بالمسئولين المتمردين إلى التصرف بسرعة .

« ومن بين هؤلاء هناك تونسيون وجزائريون فى حزب مصالى الحاج . ولقد لعبت إذاعتا القاهرة وبودابيست الدور الذى نعرفه » .

«وأضاف ، إجابة على النواب الفرنسيين الشيوعيين فيما يخص الوطنية الجزائرية ، قائلا :

---

(116) - Le Figaro, 06-07 novembre 1954.

« إنه إذا كنا نقبل الحوار مع الوطنيين فى البلدين المحميين (تونس والمغرب) ، اللذين هما دولتان بالمعنى القانونى للكلمة (أى لا بالمعنى الفعلى العملى) ، فإن ذلك غير ممكن مع الجزائر ، التى هى مقاطعة فرنسية وجزء لا يتجزأ من فرنسا .

« وكل الذين يتظاهرون بشىء ضد سلامة الأمة ووحدتها سيتعرضون لصرامة القانون .

« إن المفاوضات مع هذا البلد (أى الجزائر) فى هذه الحال ستكون الحرب . إذ لا يمكن أن تكون هناك محادثات بين الدولة والعصابات المتمردة التى تريد الحلول محلها » (117) .

وجدد أمام نفس اللجنة تأكيده :

« وجميع الذين يساندون مطالب وطنية فى الجزائر هم أعداء ، علينا أن نشن عليهم الحرب ! » (118) .

وفى التاسع من نوفمبر صرح وزير الداخلية الفرنسى فى الإذاعة :

« إن القوة الفرنسية ستحافظ على الوحدة الوطنية والمتمردون ، المشاغبون ، بمهاجمتهم مواطنينا الجزائريين ، قد استفزوا ضدهم القوة الفرنسية . وهذه القوة ستدافع عن العدالة بالمحافظة على الوحدة الوطنية .

« وإذا كان المتمردون قد أرادوا أن يلفتوا نظر الرأى العام الدولى ، عشية انعقاد دورة هيئة الأمم المتحدة ، فإنهم مخطئون ، وذلك أن الجزائر هى فرنسا ، وفرنسا لن تعترف لديها بأية سلطة أخرى غير سلطتها » (118 م) .

(117) - Le Figaro, 06-07 novembre 1954.
(118) - L'Humanité, 06 novembre 1954.
(118 bis) - Le Figaro, 09 novembre 1954.

وردا على «نواب» إمعات فى البرلمان الفرنسى . هم « الدكتور ابن جلول ، وقاضى ، وابن قانة ، وتـارون ، وابن باحمـد ، الذين طالبوا بالصرامة والضرب بقوة فى عقـاب المتمردين ، وأكدوا من جديد ، مـع زمـلاء لهـم فرنسيين ، أن الجزائـر فرنسية » ، جدد وزير الداخلية الفرنسى التعبير عن « عـــزم فرنسا على المحافظة على الجزائر الفرنسية ، » وطمأنهم ، وذكر لهم حجم القوات المرسلة إلى الجزائر ، ثم أضاف :

« وإذا كانت نوعية المشاكل تختلف فى الجزائر عنها في تونس والمغرب ، فالتدابير الواجب اتخاذها هى من عدة جوانب نفس التدابير . ولئن كان علينا أن نكون فى الجزائر أكثـر تفهمـا وسخاء وكرما ، حيث إننا هناك مع مواطنين فرنسيين ، فإنـه يجب علينا فى الوقت نفسه أن نكون أكثر حزما وشدة . وإن الحكومة لساهرة وحريصة على أن يعلم مواطنونا فى الجزائر أن لهم أملا أمامهم ، وأن هذا الأمل فرنسى !

« ولكن التدابير العسكرية وحدها لا تكفى ... فعلينا أن نستثمر أكثر من أربعين مليار فرنك ، حتى يعلم كل جزائرى أنه محل العناية القصوى من فرنسا .

« وإن المجهود الذى شرعنا فيه ، والذى سيرتكز خاصة عـلى الطرق والمدارس ، ينبغى أن يتواصل طيلة سنوات عديـدة . فهناك مجال للعمل يستحق الإعجاب ، وجدير حقـا بالشعـب الجزائرى ، الذى برهن على كل هذا الوفاء .

« وسنعمل كل شيء حتى يشعر الشعب الجزائرى ، الذى هو جزء لا يتجزأ من الشعب الفرنسى ، أنه فى وطنه مثلنا تمامـا وبين ظهرانينا ، بفضل الوجود الفرنسى الـذى سيجعل مـن افريقيا كلها أصدق شهادة على خلود الحضارة الفرنسية »(119) .

(119) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.

وفى اليوم التاسع عشر من نفس الشهر ، صرح وزير الداخلية الفرنسى بما يلى :

« وسنعاقب بكل صرامة وبدون أية شفقة ولا رحمة كل عمل إرهابى .

« أما فيما يخص المستقبل السياسى للجزائر ، فنحن حريصون على التطبيق الكامل للدستور الجزائرى المقرر منذ سنة 1947 ولم يطبق شىء منه . وسنزيد من عدد المنتخبين المحليين ، وسنوسع من مسئولياتهم ، وسنرفع من حجم الاستثمارات ، وسنركز على التعليم ، كما سنحترم المعارضة السياسية عندما تبقى فى إطار القانون » (120) .

وقال فى اليوم التالى :

« إن المشاكل المطروحة في الجزائر والمغرب وتونس بينها نقاط مشتركة عديدة ، ولكنه ليس صحيحا أن يقال إن الفلاقة التونسيين يحتلون جبل أوراس . فريق صغير منهم فقط يتعاون مع العصابات الجزائرية ، ولكن العمالات (أى الولايات) الجزائرية الثلاث هى أراض فرنسية .

« والحكومة لا تستطيع ولا تريد أن تسمح بأن تتجاوز المطالب التى يعرضها السكان فى الجزائر بعض الحدود مثل وحدة الأراضى والسيادة الوطنية . فمفاوضات من هذا النوع، إن كانت ممكنة فى تونس والمغرب ، مستحيلة بالنسبة إلى الجزائر » (121) .

ثم صرح وزير الداخلية الفرنسى ، ردا على النائبة الشيوعية عن وهران ، آليس سبورتيس ، التى احتجت على

---

(120) - Le Monde, 19 novembre 1954.

(121) - a) Le Parisien Libéré, 20 novembre 1954.
b) Le Monde, 21-22 novembre 1954.

تدابير القمع القاسية المتخذة في الجزائر ، وطالبت في البرلمان الفرنسي بإقامة جمهورية جزائرية ، فقال (122) :

« إن الشعب (أى الجزائرى ، عادة يكتفى بكلمة السكـان ("populations" في غالبيته ضد الإرهابيين . ونحن نستعمل القوة لتبقى الجزائر في فرنسا .

« إنك ترين أنه من الطبيعي أن تكـون للجزائريين مطالب وطنية ، وأن يسعوا إلى تحطيم وحدة الأمة الفرنسية .

« إنك تعتبرين أن الشعب الجزائرى كيان متميز ، ومن حقه أن يكون له مصير مستقل عن مصيرنا .

« ولكن هدفنا نحن مختلف تماما عن هذا . إن الذى نريـده نحـن هـو أن يدمـج الشعب الجزائرى أكثر فأكثر في الأمـة الفرنسية . ولأننا لا نستطيع أن نقبل انفصاله عنها نعمد إلى القوة كآخر وسيلة للحفاظ على الوحدة الوطنية » (123) .

تصريح جاك شوفالييه :

وفي هذه المدة بالضبط صرح جاك شوفالييه ، كاتب الدولة الفرنسى للدفاع و «رئيس بلدية الجزائر العاصمة» و « نائبها » في البرلمان الفرنسى ، بما يلي :

« لقد قررنا استعمال جزء من القوات العسكرية الراجعـة من الهند الصينية (بعد هزيمة ديان بيان فو) . فبها سنقوى ، بل سنؤطر، فرق القومية والحركية التى ينبغى أن تكون الطليعة

(122) وإن استنكرت هى أيضا ، وفقا لموقف حزبها وموقف الحزب الشيوعى الفرنسى ، « الأعمال الفردية » ، أى العمل المسلح ... وهو ما يندرج فعلا في « منطق » تلك النظرية الشيوعية التى شرحناها فى مكانها من هذه الدراسة. انظـر :

Le Journal Officiel (Français), p. 6068, du 10 décembre 1954, 2e séance...

(123) - Le Monde, 24 novembre 1954.

والعمود الفقرى المعول عليه فى إعادة الأمن إلى شمال افريقيا كلــه » (124) .

تصريح جديد لوزير الداخلية الفرنسي :

ورداً على النائبة الشيوعية جيرول Gérault ، التي انتقدت في البرلمان الفرنسي حل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، أجاب وزير الداخلية الفرنسي :

« إنه لعجيب ، حقــا ، ألا تكوني متذكرة أن زملاء لك مــن حزبك (الحزب الشيوعي الفرنسي) قد كانوا فى الحكومة عندما اتخذت ضد الوطنيين الجزائريين تدابير صارمة بعد الثامن ماي 1945 ! » (125) .

وعندما رد عليه النائب الشيوعي شانترون Chaintron بــأن وزارة الداخلية لم تكن إذ ذاك فى أيدي الشيوعيين ، أجابه وزير الداخلية الفرنسي :

« إنكم تعلمون جيدا أن المسئولية جماعية داخل أية حكومة كانت » .

ثم رد على الذين أخذوا عليه عدم حل حركة الانتصار قبل نوفمبر بأنه كان على الأحزاب التي كانت في الحكومة قبلــه أن تحلها . « أما نحن ففي الاجتماع الأول للحكومة الفرنسية بعد فاتح نوفمبر اقترحنا حل هذه الحركة وتم ذلك فعلا »

ثم أضاف ، رداً على الاتهام الموجه إلى المخابرات الفرنسيــة بالتقصير حتى فوجئت بفاتح نوفمبر ، فقال :

(124) - Le Monde, 25 novembre 1954.
(125) - Le Monde, 26 novembre 1954.

« إننا كنا نعلم بالاجتماعات شبه السرية التي كان يعقدها زعماء حركة الانتصار . وكنا نعلم أن قادتها مختلفون في الرأي حول المنهج الذي ينبغي اتباعه ، مع الاتفاق فيما بينهم حول الهدف .

« وانتصر المصاليون ، وطردت الأقلية من الحزب . وهنا رأت جماعة من الشبان المندفعين أن يوحدوا الحركة في الدم والعمل، فقرروا أن يقدموا ميعاد الانطلاق إلى أول نوفمبر ، بعد أن كان مبرمجا لشهر يناير » (126) .

وفي جواب عن سؤال آخر بهذا الصدد ، اكتفى وزير الداخلية الفرنسي بقوله :

« إن الجزائر هي فرنسا ، والأجانب هم الذين يحركونهم » (127) .

وتصريح آخر لوزير الداخلية الفرنسي في هذه العجالة هو هذا الآتي الذي رجع فيه إلى موعد انطلاق حركة فاتح نوفمبر، وأكد فيه من جديد حرصه على « الحفاظ على الجزائر ، كجزء لا يتجزأ من فرنسا » ، فقال :

« ولقد حصل إجماع في كل من المجلس الجزائري والبرلمان على أنه لا يمكن توجيه أي لوم أو اتهام بتقصير إلى مصالح الأمن بخصوص هذه الأحداث (أول نوفمبر) .

« فقد كان الأمر مفاجأة فعلا . وذلك يرجع إلى انقسام حركة انتصار الحريات الديمقراطية وإلى رغبة جماعة الشبان المندفعين فيها في ألا يتركوا الفرصة تفوتهم لتحقيق آمالهم . ولذا سعوا إلى إعادة توحيد حركتهم في الدم . فإذا كان اختصاصيو التكتيك

(126) - Le Monde, 26 novembre 1954.
(127) - Ibid ——— 09 décembre 1954.

الثوري يرون أن اندلاع هذه الحركة تم قبل الموعد المتوقع له ، فقد كنا نحن نتوقعه لينابر المقبل .

« ينتقد البعض استعمالي المجندين الفرنسيين الشبان إجباريا لمحاربة التمرد في ظروف تذكر حقيقة بظروف الحرب ، وهم يجابهون خصماً لا يرحم ، وعلى أرضية صعبة .

« واقول : نعم ! لدي الحق المعنوي في أن افعل هذا للمحافظة على وحدة الأمة ، التي هي الواجب الأساسي للمواطنين . واظن أن واجبنا جميعا هو أن نعمل كل شيء للمحافظة على وحدة الجمهورية .

« إنه المذهب التقليدي الدائم للجمهورية .

« وإن وحدة الأمة لهى التي تملي علينا واجبنا . ولا يشك أحد هنا في أننا سنواصل بذل جميع الجهود للحفاظ على وحدة فرنسا » (128) .

نكتفي بهذه الأمثلة بالنسبة لردود الفعل لدى الحكومة الفرنسية على أول نوفمبر .

ردود الفعل لدى الشخصيات

أما فيما يخص الشخصيات الفرنسية ، من رؤساء حكومات سابقين ، وكتاب ، ومسيري صحافة ، ونواب برلمانيين ، وغيرهم ، فنحاول أن نورد بضعة نماذج لكل نوعية منها :

ميشيل دوبري :

فقد صرح ميشيل دوبري ، رئيس حكومة سابق في عهد الجنرال ديغول ، قائلا :

(128) - Le Monde, 12-13 décembre 1954.

« إن الخطأ كل الخطإ الذي نرتكبه هو الاعتقاد بوجود فرق بين تونس ، والجزائر ، والمغرب . فهذا الفرق غير موجود . إنها كلها شيء واحد . وإنه لمن الخطر أن نضع لها حلولا مختلفة . فإما أن نخلق في شمال افريقيا وحدة فرنسية إسلامية كاملة ، وإما أن نفقد كل شيء » (129) .

وهذه النظرية لميشيل دوبرى هي عكس نظرية أخرى لرئيس حكومة سابق آخر ، هو إدغار فور ، الذي صرح ، رداً على منتقديه الذين اتهموه بالتساهل في تونس والمغرب ، فقال إنه يسلم في تونس والمغرب للتركيز كل التركيز على الجزائر للاحتفاظ بها (130) .

كما سبق له أن قال :

« وذلك لأن الجزائر لحمنا ... ودمنا وعظمنا » (131) . "L'Algérie, c'est notre chair". فإدغار فور وميشيل دوبري مختلفان في المنهج ، ولكنهما متفقان في الهدف ، وهو الاحتفاظ بالجزائر :

فإدغار فور كان يود التخلص من مشكلتي تونس والمغرب للاحتفاظ بالجزائر ، وميشيل دوبري كان يريد الاحتفاظ بتونس والمغرب لضمان الاحتفاظ بالجزائر .

والجزائر لدى الاثنين ـ ولدى غيرهما ! ـ هي القلب ، والأهم ، وبيت القصيد ! ولا غرو ... فقد كانت عاصمة فرنسا المضادة للمريشال بيتان والألمان أثناء الحرب العالمية الثانية ، بعد سقوط باريس ، وهي « جوهرة الممتلكات الفرنسية » ، كما كانوا يقولون ويكتبون ، أو « لحم فرنسا » أي لحمها ودمها ، كما قال إدغار فور ...

(129) - Le Monde, 26 novembre 1954.
(130) - Le Monde, 29 novembre 1955.
(131) - Le Monde, 25 février 1955.

ردود فعل أو مواقف بعض رجال الفكر في فرنسا من فلاسفة، وكتاب، ورجال فكر عموماً، ممن كانت لهم ردود فعل، ووقفوا مواقف. فمثلا:

فرانسوة موریاك : François Mauriac ، عضو الأكاديمية الفرنسية ومناصر الجنرال ديغول، ممن كانت لهم مواقف مزدوجة ...

فقد صرح الكاتب الكاثوليكي المحافظ، في الأيام الأولى بعد فاتح نوفمبر، أنه لا يمكن ألا يتضامن مع دستور بلاده، الذي ينص على « أن الجزائر فرنسية »، ولكنه غير مرتاح إطلاقاً، ويحذر خاصة من استعمال التعذيب. وها هى زبدة هذا الموقف:

« إن الذين انطلقوا إلى الهجوم في الجزائر لا يشكون في طبيعة جواب الحكومة الفرنسية، وذلك أن هناك أمراً واقعاً مستقلا عنا جميعاً، وهو أن الجزائر جزء من أراضي فرنسا قانونياً.

« فليس لأحد إذن أن ينتظر مني أن أعاتب رجالا، ولو كانوا وزراء، على فعل شيء لا يمكن ألا يفعلوه بدون الإخلال بمهامهم. ولكن كوني الآن طريح الحزن والاكتئاب يعلمه أصدقائي.

« إن مسئولية الفلاقة في هذه اللحظة لا تخفف أبدا من تلك التي تثقل كواهلنا منذ 120 سنة، بازدياد مطرد من جيل إلى جيل.

« إن الفظاعة التي ستشن (على الجزائريين) ينبغي أن يخفف من وطئها هجوم منسق على الأجور المنخفضة، والبطالة، والأمية، والبؤس المادي، وأن يعزز ذلك بالإصلاحات الهيكلية التي ينادي بها الشعب الجزائري.

« ومهما يكن، فينبغي أن نمنع الشرطة من التعذيب »(132).

---

(132) - L'Express, 13 novembre 1954.

جـول رومـان : Jules Romain

وموقف يختلف عن هذا تماماً في وضوحه هـو ذلك الـذي اتخذه كاتب آخر ، عضو أيضاً في الأكاديمية الفرنسية ، وهـو جول رومان ، الذي كتب مع مدير الفيغارو ، بيـير بريسون Pierre Brisson ، في هذه الجريدة :

« إن الوضع خطير ، وإنه لمن الواجب العمل عـلى أقصى الاستعجال لإنقاذ سمعة فرنسا في العالـم ، بتحطيم المتمردين والمتآمرين عليها في الجزائر .

« وستصبح فرنسا مهزلة وعرضة للهزؤ والسخرية في العالم، إذا ما فقدت الجزائر ، وسيجرها ذلك إلى الانحطاط ! » .

على أن مواقف رجال الفكر عموماً لم تكن فكرية ، أي لـم تكن في مستوى الفكر ، عدا استثناءات قليلة ، بل نادرة .

ســارتــر : J.P. Sartre

فباستثناء الفيلسوف الكبير سارتر ، الذي ظل طوال كفاحنا التحريري يؤيد موقفنا بمختلف الطرق ، وقال أمام المحكمـة في باريس :

« إني مستعد لأن احمـل حقائب جبهـة التحرير الـوطني الجزائرية ! » "Je suis prêt à porter les valises du FLN !" ، واضطر الجنرال ديغول إلى أن يبعث له برسالة خطية يعاتبه فيها على هذا الموقف، ويخاطبه بالأستاذ Maître ! أقول إذن : فباستثناء سارتر ، وبعض الشباب حوله ، لا نجد كثيرين استعملوا فكرهـم ، وناصروا الفكر الحـر !

ماسينيون : L. Massignon

وموقف مبهم مزدوج هو ذلك الذي وقفه المستشرق المعروف لويس ماسينيون ، الذي نشرت المنظمة التي يرأسها : « لجنة الصداقة الفرنسية المغاربية » (بمعنى بلدان المغرب) بلاغاً نصحت فيه هي أيضاً ، على غرار الرسميين الفرنسيين ، بضرورة بعث ذلك « المجلس الجزائري » من مدفنه ، وذكروا ما يتصل منه بتعليم العربية ، وفصل الدين عن الدولة ، وإلغاء نظام الأحواز الممتزجة، ونظام الحكم العسكرى في الجنوب (133).

النواب :

لقد سبق لنا أن ذكرنا على الأقل ثلاثة من النواب الشيوعيين في البرلمان الفرنسي . ونذكر هنا بضع عينات من اتجاهات أخرى :

وشبيه بموقف منظمة ماسينيون من حيث الإبهام الواضح كان موقف « الحاكم العام » الفرنسي السابق في الجزائر والمشهور بتزوير الانتخابات ، النائب « الاشتراكي » إذ ذاك :

نيقلان : Edmond Naegelen (**تنطق ق ، من** : Naegel ge : **الأظفار**) .

لقد ذكر هو أيضاً بوجود ما كان يسمى إذ ذاك بـ « المجلس الجزائري » ، ونصح بتطبيق نصوصه ، وبالعناية بالميدان الاقتصادي (134) .

وهناك استجوابات في البرلمان الفرنسي في غاية الغرابة ، وأشبه ما تكون بالنوادر المضحكة ، وشر البلية ما يضحك !

(133) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.
(134) - Le Monde, 14-15 novembre 1954.

إذ نجد أسئلة توجه إلى الحكومة الفرنسية عما منعها « من القضاء على المتمردين **حينا وفي الدقيقة** بالذات ! » كما تمحق البقة بالحذاء !

فاتوان : Gatuing

وهكذا يسأل النائب المسيحي (MRP) قاتوان ، ممثلا لفرنسيي المغرب في مجلس الجمهورية الفرنسية ، متوجها إلى وزير الداخلية الفرنسي ، عن « السهولات التي استطاع بها الأعداء الداخليون والخارجيون للوحدة الفرنسية أن يضعوا جهازاً ثورياً ويفجروه في جبال أوراس ؟ ... » (135) .

باردو Jacques Bardoux من الفلاحين :

يستجوب وزير الداخلية الفرنسي ويود أن يعرف « لماذا لم تحطم الحكومة **حينا** العدوان والمؤامرة المحيكة والمنفذة في محميتينا في تونس والمغرب ، ثم ها هي تنفذ الآن بعيداً حتى إلى قلب ولاية فرنسية ؟.. » (136) .

وهناك استجوابات أخرى ، وإن كانت قليلة جداً ، مثل استجواب النائب الكاثوليكي (MRP) المعروف :

اسبرابير : Fonlupt Esperaber

الذي اقترح التعجيل بتغييرات في بلدان المغرب كلها ، وفي الجزائر أيضا وبالذات ، وقال :

« لابد لنا من سياسة جريئة في كل من تونس والمغرب ، بل وحتى في الجزائر أيضا لابد من تغيير عميق في سياستنا ،

(135) - Le Monde, 20 novembre 1954.
(136) - Ibid——09 novembre 1954.

بتطبيق صادق لدستور 1947 ، الذي لـم نـزل نتحايل به على الناس ! ولابد أيضاً من مجهود اقتصادي واجتماعي » (137) .

فيوليت الابن : Violette fils

ابن المعروف بمشروعه المسمى « مشروع بلـوم فيوليت » اللعـين :

« حقاً ، إن الإرهاب لم ينشأ في الجزائـر ، وانما أتى مـن الخارج . فعلينا أن ننقذ الجزائر . ولكن لابد من أن نزيل من عـلى وجهها البؤس الشديد ، برفع الأجور ، وتوزيع الأراضي على الفلاحين ، وربما لن نستطيع تجنب الإصـلاح الزراعي ، إذ هناك من ليس لهم شبر ، وآخرون تبلغ ملكيتهم سبعين ألف هكتـار » (138) .

فـال : « الخبز والضرب » ! Valle (مدمر) :

ونختم هذه العينات عن النواب الفرنسيين بهـذا الإلحـاح الأخير الموجه إلى وزير الداخلية الفرنسي من النائب فال عن « **فلاحي قسنطينة** » :

« ينبغي القضاء عـلى المتمردين بالقوة . وينبغي أن تعلـن الحكومة عزمها على عدم التسليم في الجزائر ، كما ينبغي أيضاً ، إزاء هذا ، إعطاء الجزائريين العمل والخبز ! » (139) وانتهى المشكـل !

الأحـــزاب :

والحزب الوحيد الذي أصدر بياناً في فرنسا عن فاتح نوفمبر هو الحزب الشيوعي الفرنسي ، والمنظمة الوحيدة هي النقابة

---

(137) - Le Monde, 03 novembre 1954.
(138) - Ibid———12-13 décembre 1954.
(139) - Ibid———12-13 décembre 1954.

الشيوعية (CGT) الفرنسية . فلئن كان بيان الحزب بين بين ، وقد لخصناه في البدء عند الكلام عن الشيوعيين في الجزائر، فبيان نقابته كان لا بأس به في الجملة ، إذ تكلم **عن المطامح الوطنيـة للشعب الجزائري** ، وعن حقه في تحقيق مطالبه (140) .

أما الحزب الشيوعي الفرنسي فقد ظل يتأرجح بين الاستنكار للقمع والاضطهاد،من جهة ، والاستنكار « للأعمـال الفردية »، من جهة أخرى ... ولهذا نجـده يتذبذب ... ونـرى لجنتـه المركزية تنادي ، من جهة ، بضرورة الاعتراف السريع بالواقع الجزائري le fait algérien ، أو ما يشبه الكيان ، ومن جهة أخرى تقـول إنها « مـن أجـل اتحـاد فرنسي حقيـقي » (141) . "Le Comité Central du PCF est pour une véritable Union Française" في مـــايـــو 1956 ! (141).

أم هل يوجد تفسير لذلك في تصريح سابق للكاتب العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ، خروشتشوف ، الـذى قال ، جواباً عن سؤال بخصوص الجزائر :

1 ـ « إن موقف **الشعب السوفييتى** هو موقف التأييد المعنوى للجهود الرامية إلى التحريـر الوطـني والتعاطف مع مطامـح الشعـــوب .

2 ـ « أقول إن **الاتحاد السوفييتي** لا يتدخـل في الشـؤون الداخلية لدول أخرى ، وأن الحل السليم لهذه القضية يمكن أن يوجد بأن تؤخذ بالاعتبار الحقوق المشروعة والمصالح الوطنية **لشعوب الاتحاد الفرنسي** » (142) .

---

(140) - L'Humanité,05 novembre 1954.
(141) - Le Monde, 17 mai 1956.
(142) - Ibid ——— 05 octobre 1955.

ويعلق مراسل جريدة لوموند (في نفس العدد) « أن الديبلوماسيين في موسكو قد لاحظوا بارتياح ثلاث نقاط جديدة هامة :

« 1 ـ هذا التمييز بين الشعب السوفييتي كشعب والاتحاد السوفييتي كدولة .

« 2 ـ ذكر» الاتحاد الفرنسي لأول مرة .

« 3 ـ تأكيده مبدأ « عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول » (142 م) .

ولم يمض أسبوع على ذلك حتى ردد موريس طوريز ، الكاتب العام للحزب الشيوعي الفرنسي ، مقولة **الاتحاد الفرنسي** ، إذ صرح يوم 12 أكتوبر بما يلي :

« إن المفاوضات مع الممثلين المؤهلين لشعبي المغرب والجزائر ، والتفاهم الودي معهما ، هي الطريقة الوحيدة لهما ، مثلما لتونس ، لحل المشاكل التي طرحها علينا التاريخ .

« نعم ، هي الوسيلة الوحيدة لنا **لنجمع في الاتحاد الفرنسي** الشعوب التي أخضعها مستوى تطورها السابق للامبريالية الفرنسية والتي تطالب اليوم بالحرية والاستقلال الوطني .

« ثم إن حق الطلاق ، كما نعلم جميعاً ، لا يستلزم بالضرورة وقوع هذا الطلاق » (143) .

وفي 16 ماي 1956 جاء تأكيد جديد لهذا من اللجنة المركزية لحزبه ، كما رأينا ، حسبما نشرته « لوموند » بتاريخ 17 نقلا عن « لومانيتيه » .

(142 bis) - Ibid, 05 octobre 1955.
(143) - « « 12 octobre 1955.

الصحافـــة :

وأما كتابات الصحافــة الفرنسية في فرنســا ، والصحافيين الفرنسيين الذين كتبوا ، من باريس ، إلى الصحافة الفرنسية الصادرة بالجزائر ، فقــد كانت لهجتهــا لا تختلف كثــيرا عــن الصحافة الفرنسية الصادرة بالجزائر . وهكذا نــرى مثــلا : جريدة « فران تيرور » اليسارية لصاحبها جان روس Jean Rous، الذي يعرفه الكثير منا ، تصف فاتح نوفمبر بأنه « زلزال جديد في الجزائر » (144) ، ملتقية في ذلك مع « الديبيش كوتيديان » الصادرة بالجزائر ؛ أو مثــل مقــال كلــود برديه Claude Bourdet، الذى يتساءل فيه عما إذا لم تكن الشرطة الاستدمارية هي التي حاكت مؤامرة ، كما حدث هذا في مدغشقر ، لتخلق ذريعة تحطم بها الحركة التحريرية ، قائلا :

« أما فيما يخص السبب المباشر للاعتداءات نفسها عــلى الأفراد والممتلكات ، فلا يكفي أن نعمد إلى التمييز الكلاسيكي بين الوطنيين المتطرفين والسياسيين المعتدلين .

« فسياستنا ، بما سلكته من اضطهاد ، وتزوير انتخابات ، ووعود كاذبة ، قد عززت جانب المتطرفين منهم . كما أن كفاح الفلاقة التونسيين قد يكون أيضا دفع بهؤلاء المتطرفين إلى الحذو حذوهــم .

« ولكن رغم هذا كله لا ينبغى أن **ننسى أن الشرطة نفسهــا يمكن أن تكون قد اندست في وسط هؤلاء الوطنيين المتطرفين** ، واختلقت كل هذه الأحداث ، لتحطيم كل تطــــور إيجابــي ، ولتبرير سياسة اضطهاد وخنق ، كما حدث تماما ، فيما نذكر كلنا ، في مدغشقر ... » (145) .

(144) - Fran-Tireur, 1er novembre 1954 : (Nouveau tremblement de terre en Algérie).
(145) - Alger Républicain, 06 novembre 1954.

بينما كان قد كتب منذ يومين يرد ، بل يتهكم ، على الذين يتخيلون محركين من الخارج قد يكونون هم الذين أوحوا بفاتح نوفمبر . وبعد أن ذكر « بحالة البؤس التي يعانيها الشعب الجزائري ، والتي تفسر بالدرجة الأولى حرب العصابات التي انطلقت في أوراس » ، كتب :

« وقد رأينا شعباً أقل بؤساً من الجزائري ، مثل شعب بورتوريكو ، ينظم اعتداء في صميم البرلمان الأمريكي في واشنطن . فهذه الاعتداءات (attentats) وحوادث العنف (actes de violence)، نحن نستنكرها . وهي تضر بالقضية التي تزعم الدفاع عنها أكثر مما تفيدها . ولكن قبل التنديد بها يجب تفسيرها » (146) .

ويتفق هنا كلود بورديه الكاثوليكي مع فرنسوة موزياك الكاثوليكي وغيرهما مع الحزب الشيوعي الفرنسي في التنديد بـ « الأعمال الفردية » actes individuels ، أو « الاعتداءات » (attentats)، أو « الإرهاب » (terrorisme) ، مع أن قائد المقاومة الفرنسية ضد الألمان ، الذي انضوى تحت لوائه ـ كما يقول هو ـ حتى الشيوعيون الفرنسيون ، كان يحرض على « تلك الاعتداءات الفردية » "actes individuellement commis" ، ويفتخر بها ، وكان يأسف في الأول عندما كانت منعدمة في بدء إعلان المقاومة الفرنسية ، فيقول :

« ولكن لم تكن هناك أية إشارة تدل على أن الفرنسيين عازمون بعدد لا بأس به على العمل . فالعدو كان هناك جاثما ولم يكن يهدده أي خطر ، أينما كان » (147) .

(146) - France-Observateur, 04 novembre 1954.
يقرأ المقالان المذكوران هنا معا ، فهما متكاملان رغم التناقض الذى بينهما ، وهذا من المفارقات ، كما يقول الفلاسفة ، أو من العجائب والغرائب ، كما يقول أبو زكرياء القزويني .

(147) - Charles de Gaulle : Mémoires de Guerre : L'Appel, p. 132.

ثم بعد أن نشطت المقاومة الفرنسية أصبح دى غول ، كما يكتب هو عن تلك الفترة بعدها بكثير ، يفتخر بتلك « الاعتداءات » ، وذلك « الإرهاب » ، وتلك «الأعمال الفردية» ضد الألمان في الشوارع ، وعند الخروج من محطات الميترو ، وغيرها ، ويقول إنها مكملة لعمل جيش التحرير الفرنسي (هو كتب : الجيوش بالجمع ، لأن مقاومتهم لم تكن موحدة إذ ذاك) :

« لقد كنا نسمع ــ **والافتخار** المزوج بالحزن يملأ جوانحنا ــ **عن تلك الأعمال الحربية الفردية** ضد جيش المحتل ، مع الأخطار الكبيرة التي كانت تتضمنها للقائمين بها » (148) :

("C'est avec une sombre *fierté* que nous apprenions ces *actes de guerre individuellement accomplis* moyennant des risques immenses, contre l'armée de l'occupant").

ويلاحظ أنه استعمل هنا كلمة (أداء تلك الأعمال (أو **الأعمال** المؤداة (actes accomplis) ، وكلمة الأداء إيجابية في لغتهم ، ولم يستعمل كلمة « اقترف : المقترفة commis »، التي هي للجرائم والتصرفات الجناحية والجنائية فحسب ، كما استعمل كلمة « **الأعمال** الحربية المؤداة فرديا ("*actes de guerre individuellement commis*").

ويضيف في جهة أخرى من نفس الكتاب فيقول :

« ثم إن موت أولائك الفرنسيين القائمين **بتلك الأعمال الفردية** ، كضحايا للانتقام الألماني ، وإن كان يحزننا إلا أنه لا يجعلنا نيأس ، حيث إنه (ذلك الموت) كان **مساويا لتضحية الجنود في ميادين الحرب ... لأن تلك الأعمال الفردية كانت في وقت لم نكن فيه قادرين على أعمال أكبر ، ريثما يأتي يوم تكون فيه تلك الأعمال مكملة لأعمال جيوش التحرير** » . ثم يضيف ، وهو الأهم :

---

(148) - Charles de Gaulle : Mémoires de Guerre : L'Appel, pp.227-228.

« ولهذا كله أعلنت في الإذاعة (من لندن) يوم 23 أكتوبر 1941 :

« **إنه لمن الطبيعي جدا ولمن المبرر جدا أن يقتال الفرنسيون الألمان . وذلك أنه إذا كان الألمان لا يريدون أن يموتوا على أيدينا ، فما عليهم إلا أن يبقوا في بلادهم** . وحيث إنهم لم ينجحوا في إخضاع العالم ، فيستطيعون أن يتأكدوا من أن كل واحد منهم سيصبح إما جثة هامدة أو أسيراً». (149) :

"*Il est absolument normal et absolument justifié que les Allemands soient tués par les Français. Si les Allemands ne voulaient pas recevoir la mort de nos mains, ils n'avaient qu'à rester chez eux*... Du moment qu'ils n'ont pas réduit l'univers, ils sont sûrs de devenir chacun un cadavre ou un prisonnier".

أما جريدة « لومانيتي » ، لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي ، فقد نشرت الخبر مقتضبا على الزاوية اليمنى من الصفحة الأولى ، ولكن بحروف صغيرة ، تحت عنوان : « أحداث خطيرة في الجزائر » (150). أما العنوان الرئيسي، بالأحرف الكبرى وفي وسط الجريدة ، فكان مخصصا لـ «جنرالات هتلر المتعطش إلى الانتقام ! » .

وكان هذا صحيحاً ، ولكن كان هناك جنرالات آخرون في تلك اللحظات ... وهؤلاء فرنسيون ..! ولا يقلون تعطشا !

وفي المقال الافتتاحي للجريدة بقلم ليون فيكس جاء ما يلي :

« إن فاتح نوفمبر حادث خطير يندرج بين النواجم (151) المنطقية المترتبة على السياسة الحكومية في شمال افريقيا .

---

(149) نفس المرجع والصفحتين .

(150) L'Humanité, 02 novembre 1954.

(151) ج ـ ناجمة ، بالمعنى السلبي عكس النتيجة ، التي هي بالمعنى الإيجابي فقط .

« وسبب هذه الأحداث يرجع إلى النظام الاستدماري (152) . كما أن تصريح وزير الداخلية في الجزائر أخيراً عن أسبقية الجانبين الاقتصادي والاجتماعي على السياسي قد زاد الطين بلة» .

وجريدة لوموند ، التي نشرت بلاغ وزارة الداخلية الفرنسية يوم 2 نوفمبر ، نشرت معه عن فاتح نوفمبر مقالا بعنوان بارز في صدر الصفحة الأولى تحت عنوان :

« قتلى كثيرون في الجزائر أثناء مهاجمات متزامنة لمراكز الشرطة » .

وعلقت عليه ، في الصفحة الأولى ، منتقدة التأخر في تحقيق الإصلاحات الموعود بها ، وتقول :

« إن أي تأخر إضافي سيؤدي إلى تعفن الوضع » .

وتضيف :

« وهكذا، فالجزائر ، التي كانت تبدو غير مهددة إلا في الشرق القسنطيني ، بتسربات الفلاقة التونسيين ، أصبحت الآن هي نفسها مسرحاً لمثل هذه الاضطرابات ، وامتدت إليها النيران ، وها قد حدث فيها ما حدث !

« وان تزامن الهجومات لتوحى بوجود عمل منظم منسق . وتظن الأوساط الرسمية أن هذه الهجومات جزء من مخطط محكم التنظيم من طرف الوطنيين » .

وتعود الجريدة إلى تعليقها بمرارة فتقول :

« وهذا كله في الوقت الذي بدأت تلوح فيه على الأفق بوارق أمل في التوصل إلى حل في المغرب الأقصى .

---

(152) الاستدماري كالاستعماري وزنا ومعني . ولكن من حيث المعنى أصح وأدق ، بل هو الصحيح والآخر خطأ ، ولو أنه خطأ شائع .

« وهكذا تتطور الأمور في الجزائر معاكسة لهذا الأمل ، كما لو كانت هناك أيد خفية تحاول تقويض التضامن العمودي الفرنسي ـ المغاربي (أي الشمال افريقي) ، بالضبط في الوقت الذي كان يسود فيه الاعتقاد بإمكانية تعزيز هذا التضامن » (153) .

وعلقت الفيغارو اليمينية « المحافظة » على مقال في الصفحة الأولى ، « زينته » بصورة ضخمة أخذت عرض الصفحة كلها عن « تعاونية الخضر المحرقة في بوفاريك التي تقدر خسائرها بخمسة وعشرين مليون فرنك » قائلة :

« ان عدد الاعتداءات attentats المقترفة في ظرف ليلة واحدة، وبواسطة نفس القنابل ، ليدل على أن هناك عملا منسقاً ومنظمة إرهابية ، ومؤامرة » (154) .

أما جريدة « كومبا » (« الكفاح » اليسارية ، التى يرجع اسمها إلى عهد المقاومة الفرنسية للألمان ، حيث كانت تحمله منظمة من منظمات المقاومة ، فتبنته الجريدة بعد تحرير فرنسا) ، فقد كتبت :

« إن فرنسا لا يمكنها أن تقبل بأن يكون وجودها ، لا فى المغرب ، ولا في تونس ، محل مناقشة ومثار جدال . وأحرى وأولى في الجزائر ! وإلا وقع لنا في هذه البلدان ما صار لنا في فييتنام .

« ألا يمكن أن ترفع فرنسا صوتها في كل من شمال افريقيا والقاهرة ، مؤكدة في كل مكان أنها لن تستسلم أمام العنف

(153) - Le Monde,02 novembre 1954.
(154) - Le Figaro,02 novembre 1954.

الدموى ، كما أنها تعرف كيف ستستمع لصوت الحـق والعدالة بعد عودة النظام والأمن والاستقرار ؟ » »155) .

وفي نفس الاتجاه كتبت جريدة « البوبلير» (« الشعبي ! »)، لسان حال الحزب الاشتراكي (!) الفرنسي ، حزب ادمونـد نيڤلان Naegelen ، وغي مولي Guy Mollet ، وكريستيان بينـو ، وروبير لاكوست ، ... إذ ذاك ، قائلة :

« إن هذا التزامن في وقوع الاعتداءات ، بينما كان الهدوء سائداً في الجزائر منذ مدة طويلة ، يدل على تدبير محكم وسابق إصرار .

« هل أن المسئولين عن هذا الوضع الجديد هـم الذين لـم يستطيعوا دائماً أن يستوحوا مواقفهم من فرنسـا **والوحـدة الفرنسية** (156) ، ولهم مصلحة في أن يفسدوا الجو ، ويحولوا دون أي تصالح فرنسي إسلامي ؟

« وإذا كان الأمر كذلك ، فينبغي **الضرب بقوة** على أيديهم ، ولكن في الوقت نفسه ينبغي تجنب الوقوع في مصيدة الاضطهاد الأعمى ، الذي لن يخدم إلا أهداف هؤلاء الأعداء » (157) .

ولا تختلف عنها كثيراً جريـدة يساريـة أخرى ... هي التروتسكية « فران تيرور » ، من حيث « **الضرب بقوة** » ، مـع التأكيد على « ضرورة معالجة أسباب الشر ، التي هي الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، مـن بـؤس ، وأميـة ، وبطـالة ... الخ » (158) .

---

(155) - Combat,02 novembre 1954.

(156) تتفـق جميع الأحزاب الفرنسية عـلى الوحدة الفرنسية هذه ، كما سبق أن رأينا ذلك عند طوريز ، الأمين العام للحزب الشيـوعى الفرنسى ، ولجنته المركزية .

(157) - Le Populaire,02 novembre 1954.

(158) - Franc-Tireur,02 novembre 1954.

وقد سبق أن رأينا أن هذه الجريدة الباريسية (التي يديرها جـون روس Jean Rous ، الذى يعرفـه الكثير منـا) ، شاركت جريدة فرنسيـة صـادرة بالجزائر هي : « الجرنـال دالجي » Le Journal d'Alger في تسميـة أول نوفمبـر بـ « الـزلـزال » Tremblement de terre (159) .

وقـد كثر تكهن الصحف الفرنسية لاستطلاع « اليـد التي أمضت » بيان فاتح نوفمبر ، ووقع تنافس شديـد وتسابـق حاد بين الصحف في فرنسا مثل : الفيغارو ، والبوبلير ، ولوموند في باريس ، والجرنال دالجي مثلا في الجزائر ، قبل أن يبلغهـا البيان المكتوب فعلا ، الذى أصدرته جبهـة التحرير الوطنى ، لأول مرة بهذا الاسم ، الذي قدر الله وسجل التاريخ أن يكـون تاريخيا !

وها هي الفيغارو تبرز لنا ، وكأنها فازت في مسابقة بـين تلامذة ، بالعنوان الطويل العريض التالي وبحروف كبـيرة مشبعة حبراً :

« إننا نعرف الآن من هم المسئولون عن الاعتداءات :

« إنهم المتطرفون من الانتصار ، الذين أرادوا أن يلقـوا بالجزائر في الكفاح الثوري إلى جانب التونسيين والمغاربة ! » .

كل هذا عنوان ! وتقول :

« إننا ، وإن لم تتضح لنا تماماً معالم هـذه الاعتداءات ، نعرف الآن من هو العدو الذي يجابهنا . فمنشورات وزعت في عدة جهات لم تترك شيئاً في الغموض ، ولا مجال بعد اليـوم للإبهام : فهي ممضاة باسم « جبهة التحرير الوطني ! » وهى

(159) - Franc-Tireur, 02 novembre 1954.

منظمة وإن لم تكشف القناع عن نفسها قبـــل اليوم ، إلا أن أصولها بارزة واضحة من بين سطور البيان : إنها نتاج النزاع في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي انشقت إلى قسمين اثنين متنازعين ، وتمخض هذا الانقسام عن جماعـــة ثالثة برزت منهما وانفصلت عنهما ، وهي متكونة من شبـــان مندفعين ، وهم الذين فجروها ! » (160) .

كما عادت « لوموند » ، في اليوم التالي ، إلى الموضوع بمقال طويل على الصفحة الأولى معبرة ، هي الأخرى ، ولكن بصـــورة أوضح وأكثر حسرة وتأسفاً ، عن خيبة الأمل المنجرة عن انتهاء فترة « الهدوء » ... الذي كان الفرنسيون كلهم ، رسميـــين ، وصحافيين ، وغيرهم ، يشيدون به في تصريحاتهم وكتاباتهم ، تمييزاً للجزائر عـــن جـــيرانها شرقاً وغـــرباً ... فإذا بذلك « الهدوء هو مجرد سحابة صيف سرعان ما انقشعت ، وتركـــت وراءها الجفاف ، والاختناق !

تقول لوموند :

« فلاقة » تونسيون ، أم وطنيون جزائريون ، أم هي بادرة عربية (من الجامعة العربية) ؟

« وهكذا تعكر ذلك الهدوء الذي كان الكثير من مواطنينـــا يظنونه أمنا دائماً . نعم تعكر فجأة وبعنف !

« وذلك أن تزامن هذه الاعتداءات لا يترك أي مجال للشك بخصوص وجود منظمة أعدت هذا الاضطرام ليلة فاتح نوفمبر ومن هنا كانت المفاجأة مذهلة ، فيما يبدو لنا ، في كل من الجزائر وبـــاريس .

---

(160) - Le Figaro,03 novembre 1954.

« وعلى كل فإنه يظهر أننا أمام منظمة أجنبية عن المنظمات الوطنية ، وعن السكان أنفسهم ، ولكنها تجند ، وتكوّن ، وتدرب في الجزائر نفسها عصابات الإرهاب .

« وإلى هذا فيلاحظ أن هذه الاعتداءات الإرهابية انفجرت في وقت كنا نأمل فيه انفراجا في كامل بلدان المغرب ، وخاصة في الجزائر ، حيث أعلن وزير الداخلية في زيارته الأخيرة لها عن إيمانه بالمستقبل الفرنسي الديمقراطي للعمالات (الولايات) الثلاث (الجزائر ، وقسنطينة ، ووهران ، التي كانت تتكون منها الجزائر في النظام الإداري الاستدماري الفرنسي) التى كانت تلوح فيها آفاق إصلاحات تضمن حقوق معارضة شرعية.

« فمن القطاع القسنطيني حتى الوهراني لم تنقطع سلسلة من اعتداءات فردية ، وحرائق ، وعصابات من متمردين ، أبانت كلها عن وجود إرهاب جزائري يشبه كلا من الفلاقة التونسيين والاعتداءات الفردية التي كانت عرفتها تونس بالأمس والتي لا يزال يعانيها المغرب اليوم .

« والظاهر ، رغم التشابه في الطرق ، والمناهج ، والمنطلقات الجبلية ، بين حركتي تونس والجزائر ، بل إنه ليبدو واضحاً أننا أمام تيار جزائري في القطاع القسنطيني ، ولكنه ممتد أيضاً إلى القطاعين الجزائري والوهراني . (أي ليس من الخارج أصلا !) .

« ومن هنا التساؤل : أليس هذا الاضطرام نابعاً عن حركة الانتصار الوطنية ؟ أليس الغرض من هذا لفت نظر الرأي العام الدولي ، بقصد تدويل القضية ، وطرحها أمام هيئة الأمم المتحدة ؟ » (١٦١) .

(161) - Le Monde,03 novembre 1954.

وكما رأينا في الجرائد الفرنسية في الجزائر من ذكرت أغلب النقاط التي شملها اندلاع ليلة فاتح نوفمبر ، مثل جريدة « الجرنال دالجي » ، نجد في فرنسا نفسها جريدة مثل الفيغارو قد حرصت هي أيضاً على ذكر كثير من أصغر القرى والمداشر .

وتتساءل هي أيضاً : « من يكون يا ترى ... الذي فجر هذه « الاعتداءات » كلها من شرق البلاد إلى غربها ؟ » ، ونراها تبحث عن « الفاعل » في كوستريكا وواق واق ، منادية إياه بالأبواق ، وبسائر المزامر والأجواق ، من مختلف المدارس والأذواق ، باحثة عنهم في جميع الأسواق ، لتبثهم أحر اللوعة والأشواق ... وتحيطهم بأوثق القيود والأطواق ... إلا في الجزائر ! فلم تتصور الحكومة الفرنسية والصحافة الفرنسية أن يكونوا فيها ... فلم يخطر ببالهما أن يتمرد « الفرنسيون المسلمون » ... الذين تعتبر بلادهم الجزائر « جزء لا يتجزأ من فرنسا قانونيا ...!» (ورغم أن وزير الداخلية قال إن الحكومة كانت تتوقع حدوث شيء ... في يناير 1955) ! فتقول الفيغارو إذن على الصفحة الأولى (162) :

« لقد شملت هذه الاعتداءات البلاد من شرقها إلى غربها . فمن تيفلفل ، وإيشمول ، ومشونش ، وتكوت ، إلى أريس ، إلى باتنة ، إلى خنشلة ، إلى بسكرة ، إلى قسنطينة . إلى الخروب ، إلى سمندو (يوسف زيغود) ، إلى عزازقة ، إلى ثيزى نثلاثة ، إلى ثيزى وزو ، إلى ثيڤزيرث ، وذراع الميزان ، وذراع ابن خدة ، إلى العاصمة ، والبليدة ، وبوفاريك ، والصومعة ، إلى سيدي علي ، وثرقة ، (Turgot في بلعباس اليوم) ، وويليس في وهران ... » .

وبعد أن تكلمت عن التدابير الصارمة والإجراءات اللازمة المتخذة والواجب اتخاذها ، أضافت الفيغارو :

(162) - Le Figaro,03 novembre 1954.

« إن التأثـر لكبـير في سائـر أنحـاء الجزائر . وذلك أن الاعتداءات الكثيرة المتزامنـة التي وقعت أمس (ليلـة أول نوفمبر) كانت مفاجأة كبيرة ولها وقعها الذي لا ينكـر ، وإن الحالة التي تواجه الحكومة الآن في الجزائر لخطيرة .

« فمن الذى ، يا تـرى ، حاك (163) هذه المؤامرات بالأمس في تونس والمغرب ، واليوم في الجزائر ؟

« من الذي دبر هذه الخديعة ؟ ومن الذي نسق هذا العمل ؟ ومن الذي له مصلحة في إثارة هذه الفوضى ؟

« لا شك أن « صوت العرب » ، والجامعة العربية ، والمنفيين اللاجئين على شاطيء النيل ليسوا وحدهم ضدنا ، فإن خيـوط المؤامرة لا تمر كلها بالقاهرة ، ولا يمكن فرنسا أن تكافح إلى ما لا نهاية ضد أشباح وظلال . فلابد للقنـاع أن يـزاح ، وللمذنب أن ينكشف !

« هل للفلاقة التونسيين ضلـع في الموضوع ؟ أم هـل هـم الشيوعيون الذين أرادوا أن يفسدوا على وزير الداخلية فرحته بالاستقبال الحار الذي حظي به في الجزائـر ، فدبروا هـذه المؤامرة ، ليحبطوا بذلك المساعي الرامية إلى إمضاء الاتفاقية الفرنسية التونسية التى هى فى بدء الطريق ؟

« إن مغاربة أكـدوا لمراسلنا أن المغرب ليس له ضلـع في الموضوع . ولكنهم يضيفون أن نفس الأسبـاب التي كانت في المغرب أوجدت نفس المسببات في الجزائر ، وأن تلك الحوادث

---

(163) حاك يحيك ، وليس أحاك ، ومن هنا خطأ الذين يقولون ويكتبون : المؤامرة المحاكة ، فالصحيح أن يقال : المحيكة ، مثل المبيعة ، المخيطة ، المزيدة، ومنها أيضا الـواقع المعيش ، لا المعاش ، كما يقال خطـأ ، لانها كلها أسماء مفعولات من ثلاثى مجرد لا مزيد ، بفتح الميم !

التي كانوا ينتظرونها (أي المغاربة) في الجزائر هي تعبير عن عاطفة مشتركة ذات بعد عالمي .

« وآخرون يرون أن نيڤلان ، الذي يعرف بلدان المغرب جيداً ، قد حذر الحكومة في بداية شهر أوت من الأخطار التي كانت تهدد الجزائر ، وأوضح لها أن القضية الجزائرية تتطور حسب الطريقة التي ستحل بها قضيتا تونس والمغرب .

« وأخيراً ، إننا نعلم أن إذاعة القاهرة ظلت منذ شهور توبخ الجزائريين على « همودهم ، وخمودهم ، بل وعلى جبنهم » (164).

وفي اليوم التالي عادت الفيغارو ، بإيجاز ، إلى تساؤلها عن اسم الفاعل ، لا بالمعنى النحوي ... ولكن النخوي ... أى الحربي ، في الميدان ، فكتبت تقول :

« إن الذين يثيرون لنا القلاقل هي الدول العربية . ولكن روسيا أيضاً ، التي لا تريد أن يتم مشروع إقامة مصانع فرنسية ألمانية للأسلحة فى الجزائر .

« فهذا المشروع الذي يفتح مجالا واسعاً لأوروبا في أراض إسلامية يصدم عواطف كثير من الوطنيين الإسلاميين المتعصبين » (165) .

وفي اتجاه آخر معاكس لهذا ، ولكنه أقرب إلى الحقيقة ، وفي روح مقال « الجزائر الجمهورية » لنفس الكاتب الذي أشرنا إليه آنفا عند الكلام عن الصحافة الفرنسية الصادرة في الجزائر ، نقرأ مقالا في مجلة « فرانس أوبسيرفاتور » لكلود برديه يقول فيه : (166)

(164) - Le Figaro,03 novembre 1954.
(165) - Le Figaro,04 novembre 1954.
(166) - France-Observateur,04 novembre 1954.

« أحداث الجزائر أصبحت فرصة لطوفان من تعليقات مجردة تماما من كل جدية . حقا ، إنه لمن الصعب التخلص من المزاعم الامبريالية التي تلقاها الإنسان منذ نعومة أظفاره على مقاعد المدارس ، والتي تتلخص في أنه بجرة قلم تم بها توقيع مراسيم اتخذت في باريس قد أصبح مسلمو الجزائر كائنات مختلفة تماما عن مثيلاتها من دين واحد في تونس والمغرب ...

« وكنا ننتظر أن نجد عناية كبرى بالدقة لدى الصحافيين . ولكن من المخيف أن نرى زملاء معروفين بالنزاهة والموضوعية وبحسن الاطلاع يقعون في تفسير اندلاع الانتفاضة الجزائرية بالنظرية التي أكل عليها الدهر وشرب ، والتي تنسب هذه الأحداث إلى عناصر مشاغبة إتت من الخارج » (167) .

وصوت ناقد آخر تمثل في تعليق جريدة « الشهادة المسيحية » (تموانياج كريتيان) (168) التي كتبت :

« إن سلطاتنا في شمال افريقيا تلعب ضد المصالح الفرنسية والمغاربية (169) .

(167) - France-Observateur,04 novembre 1954.
(168) - Le Témoignage Chrétien : début novembre 1954.

(169) بمعنى بلدان المغرب، وهو اصطلاح من الدكتور محمد عزيز الحبابي، ونتبناه في صالح الدقة والوضوح . وإن كان سيبويه يقول بعدم النسبة إلى الجمع ، إلا أننا نخرق ـ والخرق شعار اليوم ! ـ هذه القاعدة النحوية فنقول، من أجل التمييز والوضوح :« الدولي » بضم الدال ، أي international ، تمييزا له عن الدولي étatique بفتحها ، نسبة إلى المفرد . ما دمنا نخضع قواعدنا لمفاهيم واصطلاحات ليست منا ولا صادرة عنا .
ولكن لا باس فهذا... يشبه خرق القواعد لضرورة الشعر ... بدون شعر، إذ لم يعد في الساحة إلا شعارير ! وكم من شعارير تظن نفسها شحارير ! فنقول اذن ، مع صديقنا الدكتور محمد عزيز الحبابي : « المغاربية » ... حتى ياتي يوم قريب ـ إن شاء الله ـ نعود فيه إلى القاعدة ، طبقا لسيبويه ، والفراء ، والكيسائي ، وابي علي الفارسي ، والشلوبين ، وابن معطي الزواوي الجزائري ، وابن مالك الاندلسي ، فننسب إلى المفرد فقط ، عندما يكون هناك مغرب كبير فقط ، لا مغارب ولا مخارب !

« ولقد حان الوقت لاتخاذ تدابير من نوع آخر تكون بسيطة، واضحة ، وفعالة . إن وزير الداخلية مخطئ عندما يقول إنه يجب ألا تكون هناك وطنية جزائرية .

« وحيث إن هناك حدوداً بين البلدان ، فمن المستحيل ألا يأخذ الطموح إلى الحرية والمساواة صورة مطالب وطنية » .

أما « الإكسبريس » فقد تساءلت :

« أليس الوقت قد فات الآن لتطبيق صادق كامل لدستور 1947 ؟ ومع ذلك نرى أنه من الأوفق القيام بالمحاولة » (170) .

ونظرة أخرى متفتحة أكثر عبرت عنها مجلة فرانس أوبسيرفاتور ، (171) ، بقلم جيل مارتيني (172) ، الذى يقول :

« إن الأغلبية الكبرى للمسلمين (الجزائريين) ترى أن هناك على الأقل جانبا إيجابيا فى الأزمة الحالية .

« ففي نظرها أن القضية الجزائرية هي الآن مطروحة ويجب إيجاد حل لها بطريقة أو أخرى .

« فعاجلا أو آجلا ، كما حدث تماماً في تونس وفي المغرب ، ستكون هناك مفاوضات في الجزائر أيضاً » .

ونفس النظرة النافذة ، بل وأكثر نفاذاً ، نجدها لدى مجلة « منبر الأمم » (173) بقلم المفكر المعروف جاك مادول ، الذى كتب يقول :

---

(170) - L'Express, début novembre 1954.

(171) - France-Observateur, début novembre 1954.

(172) - Gilles Martinet.

(173) - Jacques Madaule in La Tribune des Nations, début novembre 1954.

« ينبغي الاعتراف بالحقيقة : فقد بدأ الجميع الآن يعرفون أن الأسرى الأولين الذين أخذوا في جبال أوراس ليسوا فلاقة تونسيين إطلاقاً ، بل هم من الدواوير المحلية .

« إن الجزائر تحركت، ويخاف ألا يكون هذا التحرك إلا بداية حركة على نطاق واسع .

« إن هناك من يلقي المسئولية على إذاعة القاهرة . إنها ، حقاً ، ساهمت ، ولا شك في هذا .

« ولكن لو كانت الأوضاع في الجزائر سليمة لما وجدت إذاعة القاهرة أية أصداء . فهناك إذن أشياء ليست على ما يرام في الجزائر . وهذه الأشياء، هي التي تنبغى دراستها برباطة جأش.

« يجب وضع حد لسياسة المظاهر الخداعة . وتجب مجابهة الواقع الجزائري مباشرة .

« إن الصعوبات الجزائرية حالياً لا يمكن فصلها عن الصعوبات المغربية والتونسية . صعوبات في الجزائر وفي تونس وفي المغرب، فشمال افريقيا كل لا يتجزأ » .

ويحلو لنا أن نورد هنا نادرتين (نكتتين) من الصحافة : إحداهما يمينية ، والثانية يسارية :

فالأولى : من الفيغارو، التي تدعى لنفسها الجدية، والرصانة، والصرامة ، نشرتها كخبر من الأخبار ، بكل جدية ، وبدون أي تعليق ، ولا علامة تعجب ، ولا تشكيك في صحته ، وتحت هذا العنوان الطويل :

« مجاهدو الحروب الصليبية بعمامات سوداء على الحدود الجزائرية » :

« حسب المعلومات الواردة إلى تونس من الحدود الجزائرية ، فقد شوهدت عدة عصابات متمردة من التي تنشط في جبال أوراس لابسة بدلات وعمامات سوداء ، ويسمى أعضاؤها : « جنود الحروب الصليبية » (164) .

خمينيون قبل الخميني في الجزائر ؟ وفي نوفمبر 1954 ؟ ومسلحون ؟

نحن نعلم أن الإمام روح الله آية الله الخميني كان إذ ذاك في المنفى ، ويعاني ما كان يعاني ، وكان له إذن ما يشغله عن الجزائر ، على فرض الاهتمام بها ... وكان لا شك يهتم بها ، طبقاً للحديث الشريف :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، أو كما قال ، صلى الله عليه وسلم .

والثانية : من جريدة « الإنسانية »، ونشرتها في اليوم العاشر من فاتح نوفمبر لمراسلها في الجزائر كما يأتي :

« تقدر السلطات العسكرية (الفرنسية طعبا !) أن عملية تطهير الجيوب التي يحتلها المتمردون في جبال أوراس حالياً ستدوم ثلاثة أشهر » . وتعلق الجريدة :

« وهكذا فإن هذه العملية ستستغرق إذن أشهراً ! » (175) !

ولم تكن الجريدة ولا مراسلها يعلمان ـ ولا المنجم كان يدري ! ـ أن « العملية » ستستغرق لا ثلاثة أشهر فقط ... ، كما كانا يظنان ، ولا ثلاث أو أربع سنين فقط ، مثل حرب فيرموس Firmus ضد روما ، ولا سبع سنين فقط ، مثل الحرب

(174) - Le Figaro,07 novembre 1954.
(175) - L'Humanité, 10 novembre 1954.

التحريرية التى قادها طاكفاريناس ضد روما أيضا ، بل السبع سنين وزيادة التى دامتها الحرب التحريرية التى قادها قبلهما يوغورطا ضد روما ، وأول نوفمبر ، تاج المقاومات والحروب التحريرية كلها ، إذ فيها وبها انتصرنا !

وآخر رد فعل فرنسي نورده هنا، في اليوم الأربعين بعد فاتح نوفمبر ، هو تعليق جريدة لوموند على نداء الأزهر شرايطي ، أحد قادة كفاح تونس إذ ذاك ، إلى المجاهدين التونسيين للرجوع إلى منازلهم بعد توقيع الاتفاقيات الفرنسية التونسية على وضع السلاح ومنح تونس استقلالها الداخلي ، إذ كتبت :

« صحيح أن الأوضاع في أوراس مقلقة ، وأن الأحداث على حدود بلد ما تؤثر بالضرورة فيما جاورها ...

« ولكن كيف تجرأ البعض على الزعم أن إعادة الهدوء إلى تونس في جو من الثقة يكون مثلا سيئاً للجزائر ؟ » (176) .

ولكن هذا التنبيه المنطقي المبكر نسبياً لن يستمع إليه الاستدمار ، الذي استمر في التعذيب والتخريب ، وتصامم في عناد عجيب !

وهكذا استمر الصراع وتجاوز من السنين سبعاً ، لم تزد أمتنا إلا قوة مكتسبة وطبعاً ، قضت بهما على استدمار تعدى قرناً وربعاً ، وأفقدته الممتلكات وكادت تهلكه أهلا وربعاً ! (177) .

(176) - Le Monde, 11 décembre 1954.

(177) الربع بفتح الراء وسكون الباء ، هو دار الإقامة . أي الدار والأهل (لسان العرب) . والمقصود هنا أن فاتح نوفمبر وما انجر عنه أفقد فرنسا ممتلكاتها في افريقيا ، وكاد يؤدي إلى حرب أهلية في فرنسا ، وعلى كل أضعفها ، وأنهك قواها ، وأوشك أن يهلكها في دارها وأهلها .

ونرى أن نقف عند هذا الحد من ردود الفعل لدى المسئولين، والمنظمات ، والأحزاب ، والشخصيات ، والصحافة في فرنسا ، أي عند حدود الأربعين يوماً ... ما دام موضوع هذه الدراسة هو « ردود الفعل الأولية ... » .

وفي رقم الأربعين بخصوص ردود الفعل في فرنسا أكثر من مغزى ، ورمز ، ودلالة ... ولتأكيد موت الاستدمار الفرنسي في الجزائر ونهاية المستبدين ، إلى يوم القيامة وأبد الآبدين ، والحمد والشكر لنصير من يعمل من العابدين !



الفصل الثالث

تقديم ضروري لعرض ردود الفعل خارج الجزائر وفرنسا :

لقد سبق أن رأينا تحذيرات ، وإنذارات ، بل وتهديدات المسئولين الفرنسيين في بداية انفجار أول نوفمبر ضد كل من تسول له نفسه « التدخل في شؤون الجزائر الفرنسية التي هي ثلاث ولايات فرنسية ، أو مقاطعة فرنسية ، وجزء لا يتجزأ من الجمهورية الفرنسية ... ».

وأي مساس بها فهو مساس بوحدة الأمة الفرنسية ، وسلامة الأراضي الفرنسية الخ ... كما يتضح ذلك خاصة من تصريحات منديس فرانس ، رئيس الحكومة الفرنسية إذ ذاك ، الذي قال :

« إن بلدان المغرب هي الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط ، تماماً مثلما أن منطقة بروفانس في جنوب فرنسا هي ساحله الشمالي ... » وكأنه يقول إن البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية ! ورأينا أيضاً كيف صرح بأن « حدود فرنسا هي من الفلاندر (على حدود بلجيكا) حتى الكونغو "des Flandres au Congo"، أو كما يقول ديغول :

« من دانكيرك حتى تمنفست "de Dunkerque à Tamanrasset" ، أو كما قال كريستيان فوشيه Christian Fouchet ، الوزير للشؤون التونسية والمغربية، «حدود فرنسا تمتد من دانكيرك حتى برازافيل»(178)

(178) - Le Journal Officiel (français), 10 décembre 1954.

"La France s'étend de Dunkerque à Brazzaville" ، أو «شمال افريقيتنا الفرنسية» "Notre Afrique du Nord française" (179) ، كما يقول ديغول أيضاً ، ويضيف : « وأمبراطوريتنا في افريقيا » ، « وأرضنا في شمال افريقيا » (179 م) ، « ووحدة أراضينا الأمبريالية في افريقيا الفرنسية » ، « إلى برازافيل ، التي هي أراض فرنسية "Brazzaville, terre française" ، وغيرها عن « الأمبراطورية الفرنسية » (179 م3) ، وهي تتخلل كل كتاباته ، وخاصة كتابه عن « مذكرات الحرب : نداء إلى المقاومة » . بل ويذهب في السخرية بالناس ــ وهو يتكلم عن المقاومة الفرنسية تحت قيادته لتحرير فرنسا ! ــ إلى حد تسمية المناطق الافريقية التي كانت تحت سلطته بـ « افريقيا الفرنسية الحرة » ! "l'Afrique française libre" (179 م4) ، وأن أي تدخل في أي جزء من هذه المنطقة كلها ، أو المناطق ، من أية دولة كانت ، فهو « تدخل مباشر في الشؤون الداخلية لفرنسا » .

وإذا كان هذا هو دفاعهم بالنسبة لجميع هذه البلدان المستدمرة مباشرة ، مثل بلدان افريقية كثيرة ، أو «المحمية» ، مثل تونس والمغرب ، أو « المنتدب » عليها ، مثل سوريا ولبنان، فأحرى وأولى بالنسبة للجزائر التي كانوا أطلقوا عليها أمام العالم أجمع صفة « الجزئية التي لا تتجزأ من فرنسا » ، والمادة الأولى من الدستور الفرنسي تنص على أن « الجمهورية الفرنسية وحدة لا تتجزأ » "Une et indivisible" ، التي أقحموا فيها الجزائر إقحاماً ، حتى أفحمتهم بفاتح نوفمبر إفحاماً !

وقد ركز المستدمرون الفرنسيون دوما ، منذ « حلولهم » غير المرحب به في ربوعنا، على تزوير التاريخ، وتزييف مجريات

---

(179) - Charles de Gaulle: Mémoires de Guerre : L'Appel, p. 112-249 etc...

(179) 2 ; (179) 3 ; (179) 4 - Charles de Gaulle: Mémoires de Guerre : L'Appel, pages 112-249 etc...

الأمور ، ولم يتورعوا في هذا إطلاقاً عن التناقض الفاحش مع أنفسهم ، والتعارض الصارخ مع منطق التاريخ ، بل ومع نصه وحرفه .

ولسنا نذهب بعيداً عن التاريخ ، ولا نخرج أبداً عن الموضوع ، إذا ما ذكّرنا بإيجاز بخطوط هجومهم — ولا نقول دفاعهم — في الجزائر ، وإذا ما أشرنا باقتضاب إلى بعض الحجج التاريخية التي كانوا يتذرعون بها حتى بعد فاتح نوفمبر ... بل ونجدهم يرددون بعضها حتى الآن ، في آخر 1981 !

وكما وجدنا أنفسنا مضطرين ، في المجال الداخلي ، إلى بيان الأوضاع السياسية في الجزائر ، بل وفي المنطقة ، قبل فاتح نوفمبر ، لفهم ردود الفعل في الداخل ، أي لدى الجزائريين أنفسهم ، وإلا فلا يمكن فهم بعض ما أوردناه واستقيناه من مصادر أهل تلك المواقف والردود ، فكذلك بالنسبة للخارج لا يمكن أن تفهم ردود الفعل — أو ندرتها ، وهي في ذاتها أيضا ردود فعل ، فقلة — أو انعدام — ردود فعل هما من صميم ردود الفعل ! — ما لم نستعرض بإيجاز الخلفية التاريخية ، أو التزوير التاريخي الذي عمد إليه الاستدمار الفرنسي ، ليكيف ردود الفعل في الخارج عموماً وحتى في العالم الافريقي الأسيوي ، والاشتراكي ، بل وحتى العربي والإسلامي عموماً ، مع الأسف الشديد ، مع استثناءات تؤكد القاعدة ، كما يقول النحاة .

وإلا فكيف كانت ستدوم سبعاً ونصفاً هذه الحرب التي كانوا ينكرون لها هذا الاسم ، ولكن أصبح الآن من مارسوها ضدنا فعلا ، وبأشنع الطرق ، يسمونها كذلك : أي حرباً حقيقية ، « الحرب بالمعنى الحقيقي » (180) ، اقول : كيف ستدوم سبعاً

(180) - "Nous avons mené en Algérie *une véritable guerre* et non une série d'opérations de police", le général Marcel Bigeard, in l'Express, 18 septembre 1980.

ونصفاً لو كان العالم كله معنا ، ومنذ الأول ، كما يدعي ذلك اليوم كثير من المدعين ، وندعي نحن معهم ذلك ، بمناسبة وبدون مناسبة ، بكل بلاهة وسخف ... فنتبرع على كل من هب ودب من القارات الخمس ، من الدول ، والمنظمات ، والأفـــراد ، بشهادة النضال معنا ، وحتى على بعض من كانـوا ضدنا ، أو كانوا ، في أحسن الاحوال ، يتفرجون ؟ لـم هذه المازوخية ؟ (تنطق بالخاء ، من اسم العالم النمساوي مازوخ : Masoch ، لا مازوش !) .

نعم ، لا تفهم ردود الفعل في الخارج على فاتح نوفمبر ، عـلى الأقل الردود الرسمية ، بل وحتى الصحافية ، بدون الإشـارة إلى هذه الترسانة « التاريخية » التي أقامها الاستدمار الفرنسي تحصيناً لنفسه في ديارنا ، ليضلل حتى إخواننا . بل ولقد ظل الفرنسيون يرددونها حتى لإقناع أنفسهم ، كما رأينا ذلك خلال كتب التاريخ ، وكما أعاد ذلك إلى الأذهان حتى رئيس الحكومة الفرنسية في نوفمبر ، منديس فرانس ، نفسه ، عندما قال إن إنذاره ذلك « موجه حتى إلى الفرنسيين أيضاً » ... كما رأينا ذلك من تصريحاته التي أوردنا بعضها بتواريخها ومصادرها .

ونجد خطوط هجومهم هذا تمتد **حتى إلى التاريخ القديم**،.. إلى ما قبل المسيح بن مريم عليه السـلام ... وهي تتلخص في النقاط التالية :

1) « أن الجـزائر كـانت تتمتـع بـ « السلـم الرومـاني pax romana » ، وأنها كانت مقاطعة رومانية ، وأن فرنسـا هي وريثة روما ، إذ هي البنت الكبرى لروما ، ثم للكنيسة ! la fille aînée de Rome, puis de l'Eglise ! منذ أن قالها لويس الرابع عشر، إلى أن كررها منذ أربع سنين الرئيس الفرنسي السابق ، فاليرى

جيسكـــار ديستان (181) ، إذن فهي في وضـــع ســوى طبيعي كالوارث الشرعي !

2) « أن الجزائر لم يكن لها تاريخ ، ولم تكن أمة ولا دولـــة أبدأ ، وأنها بعد « حلول » فرنسا بها عادت إلى وضعها الطبيعي ، إلى الأصل ، وهو تبعيتها لروما في شخص حفيدتها ، أو بنتهـــا الكبـــرى ، فرنسا ، كما قال الماريشال دوبرمون لـدى وضـــع الصليب فوق صومعة جامع كتشاوة ، وإعلان تحويله الى كنيسة ، ورفع العلم الفرنسي على قمة مبنى « الديوان » ، مقر رئاســـة الدولة الجزائرية ، يوم 5 يوليو 1830 بالذات ، في لحظة اغتصابهم عاصمتنا مباشرة (182) ، وكما كرره الكردينال لافيجري بعده في نفس المكان !

ومن هنا حرصت فرنسا على إقحام الجزائـــــر في الميثـــــاق الأطلسي وفي « السوق الأوروبية المشتركة » كجزء لا يتجـــزأ من فرنسا ، لا فرق بينها وأية مقاطعة فرنسية أخرى ... بل نجد أنها ، أى الجزائر ، أقدم فى هذه « الجزئية التى لا تتجزأ » من عدة مقاطعات فرنسية « أخرى » في فرنســـا « الأم » ، كما سنذكر لذلك بضعة أمثلة !

ومن هنا فالكلام عن استعادة الجزائر استقلالها هو بمثابـــة « اقتطاع جـــزء من فرنســـا » ، و « مـــاس بوحدتها الترابيـــة الوطنية » ... وعدوان عليها ... جوابه الحرب !

ولم يقولوا هذا « الكلام » أثناء غزوهم إيانا وبعد احتلالهم بلادنا فقط ، ولا أثناء المرحلة التحريرية الأخيرة ، أي بعـــد

(181) انظر تفاصيل ذلك فى كتابينا : « إنية وأصالة » 1975 ، و « أصالية ام انفصالية ؟ » 1981 ، مطبعة البعث ، قسنطينة .

(182) العدد الممتاز الخاص باحتفالهم بمرور قرن على غزوهم للجزائر L'Algérie Catholique, 1930 (Le Centenaire)

فاتح نوفمبر 1954 حتى 1962 ، فحسب ، ولكنهم لا يزالون يرددون ذلك حتى الآن ، بطريقة أو أخرى ... على سبيل تذكيرنا « بالتاريخ » ، تبرعا علميا منهم ، علنا نكون نحن قد نسينا ! وقد نتناسى أحياناً، بل وكثيراً ما ننسى، فعلا، والتاريخ لا يرحم من ينساه أو يتناساه !

فزيادة عن شارل العاشر ، الذي كتب إلى بريطانيا إذ ذاك أنه يحتل الجزائر « لصالح المسيحية كلها » ؛ وعن المريشال دى بورمون ، وغيرهما من القادة الفرنسيين وأغلب مؤرخيهم ، فلم يردده فقط رئيس حكومتهم ، منديس فرانس ، في أمريكا، بعد فاتح نوفمبر مباشرة ؛ ولم يركز عليه خلفه في رئاسة الحكومة ، إدغارفور ، فقط ، إذ ظل يردد يوم 13 أكتوبر 1955 فى البرلمان الفرنسى ، ويرفع عقيرته الديكارتية صائحا :

« ليست هناك دولة جزائرية ! ("Il n'y a pas d'Etat algérien" !)»

و « لم توجد أبداً في الماضي أمة جزائرية ! » ("Il n'y a jamais eu de nation algérienne" !) (183) ؛ ولم يقولوه في هيئة الأمم المتحدة على لسان وزير خارجيتهم ، كريستيان بينو (الاشتراكي !) ، وجاك سوستيل معه ، فحسب ؛ ولم يكرره ديغول فقط مراراً ، في مختلف تصريحاته ، ومؤتمراته الصحافية، وخطبه، بل وحتى في آخر كتاب صدر له سنة 1970 م، أي بعد استعادتنا استقلالنا بما يقرب من عشرية وقبيل وفاته بأشهر فقط ؛ بل ولم يعده الرئيس الفرنسي السابق ، فاليرى جيسكار ديستان ، سنة 1975 ، في مطار هواري بومدين الدولي في الجزائر (183 م) ، ووزير الخارجية الفرنسي السابق ، ميشيل

(183) - Le Monde, 15 octobre 1955.
(183 bis) - El-Moudjahid, 11 avril 1975.

جوبير ، بعده ، في مقال له في « جون أفريك » (184) فقط ، بل أيضاً لا يزالون يرددونه إلى اليوم ، في شتاء 1981 م ، كما سنورد بضعة أمثلة لذلك ، كنماذج فقط ، كعينات ، لذهنية كانت موجودة منذ لويس التاسع حتى اليوم ! (185) .

وينبغي التنبيه هنا إلى أن هذا المصير من « حالة اللاوجود » كامة ، لها دولتها ، وسيادتها ، واستقلالها ، وماضيها ، لم يصم به (من وصم يصم) الاستدمار الفرنسي إلا الجزائر ، وحدها، ووحدها لا غير !

فبينما نرى مثلا منديس فرانس ووزير داخليته يؤكدان ، منذ الأيام الأولى بعد فاتح نوفمبر ، أن تونس والمغرب محميتان (protectorats) ، (يا لها من حماية !) ــ وإن كان منديس فرانس يضيف في الوقت نفسه أن فرنسا ستحتفظ فيهما بكل اختصاصاتها وامتيازاتها حتى بعد المفاوضات ! ــ ؛ وبينما نرى ديغول ــ كما يؤكده هو نفسه ــ يعترف لهما بهذا الوضع القانوني ، ويقول إنه كان يعامل سلطان المغرب وباي تونس على هذا الأساس ، إذ استقبلهما « في باريس سنة 1945 بأبهة تليق بهما كملكين ذوي سيادة ومدعوين لأن يكونا كذلك بصفة كاملة » ("comme des souverains appelés à l'être à part entière") ، وأنه قد أصدر أوامره لجيشه « بعدم الدخول إلى شمال الفييتنام ، حيث كان هوشيمين يحكم » ، أي احتراماً له ... « كما قررت أن اتفاوض معه فيما بعد » ، ويقول عن مدغشقر : « إن مدغشقر اعترفت بجميل فرنسا التي ردت لها استقلالها الذي كان لها »

---

(184) انظر مقدمتي « إنية واصالة » و « أصالية أم انفصالية ؟ » المطبوعين ، و « شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 » تحت الطبع ، للمؤلف .

(185) انظر خاصة المرجع الثالث المذكور منذ حين : شخصية الجزائر ، الخ.

"l'indépendance passée" (186) ، نجدهم ينكرون كل ماض وكل وجود سابق للجزائر كأمة ، كانت لها دولتها وسيادتها ... بل ينكرون لها حتى صفة شعب فيقولون : « السكان » "populations" ، وهذا حتى بالنسبة لليساريين منهم ، كما رأينا ...

أما عن الاستقلال ، فكانوا يقولون بالأمس ، بعد أن استرجعت الجزائر استقلالها ، وحتى اليوم : « الجزائر استقلت » ، « حصلت على الاستقلال » ، أي كأنها لم تكن أبداً مستقلة في ماضيها ، « وأنها عرفت الاستقلال سنة 1962 لأول مرة ، ووحدت عشائرها المتنافرة في كيان شبه منسجم ، ومنح هذا الكيان الاستقلال أول مرة في حياته » ، كما كانوا يقولون : « استقلال أمريكا » ، أي أنه كانت هناك « الجلود الحمر » وغيرها ... من « الأجناس البدائية » ، « التي لم يسبق لها أبداً أن كونت دولة ، ولا أن كانت مستقلة بمعنى كيان ذاتي موحد له وجود تاريخي ، إلى أن استقلت عام 1776 ... وكونت لأول مرة في التاريخ دولة سموها الولايات المتحدة ... » ولذا كان استقلال أمريكا حدثا دوليا ! بهذا — على فرض صحته — لا يزالون يقارنون استقلال الجزائر إلى اليوم ، وإن كان ذلك ضمنيا وتلميحاً ، لا تصريحاً ، حينا ، وبصريح العبارة أحيانا أخرى .

هكذا كانوا — ولا يزالون — يقولون ويكتبون عنا ! وإلى اليوم ! وبهذا عقدوا العالم نحونا بالأمس القريب ! وهاك بعض ما كتبه ديغول في أواخر أيامه ، حتى بعد استرجاع الجزائر استقلالها واستقالته هو من الحكم ! يقول عن نفسه ، باستعمال ضمير الغائب للتعظيم :

(186) - Charles de Gaulle : Mémoires d'Espoir - Le Renouveau, p. 69.

« إنه قرر من تلقاء نفسه أن يضع حداً لسيطرة استدمارية كانت حتى الماضي القريب **حقا مجيدة** (187) . ولكنها أصبحت تؤدى إلى إفلاسنا بعد الآن (188) ، وهكذا ستصبح الجزائر دولة "deviendrait un Etat" ، ولا يقول : « أن تعود » دولة ... "redevient" و «أن يعلن عن ذلك ، على أن يتم ذلك الإعلان منا لا من غيرنا» ! **وعن « ارتقاء بلادهم (أي الجزائريين) إلى رتبة دولة ذات سيادة »** .

"que cet *avènement* de leur territoire au rang d'un Etat souverain soit *prononcé par nous-mêmes*" (189).

ثم يضيف : وأن « الشعب الفرنسي سيمنح الجزائر استقلالها رسمياً وتصريحاً ، ويعوض هذه السيطرة بتعاون وثيق » .

"Le peuple français accordera explicitement l'indépendance à l'Algérie (190)»

عوض أن يقول ، وفقا للحقيقة والتاريخ : *"restituera à l'Algérie son indépendance passée"* ! ثم يعود :

« وبعد أن يمنح الشعب الفرنسي الجزائر استقلالها » *"une fois l'indépendance de l'Algérie accordée par le peuple français"* و « الدولة الجديدة "l'Etat nouveau" ، أى الوليد الجديد ، عوض أن يقول : « المنبعث ، "restauré" retrouvé, recouvré المستعاد بعد أن كان قد أزيل من الوجود ، أو الموجود من جديد بعد أن فقد . وكذلك يكتب هو وآخرون معه : **« ارتقاء أو توصل الجزائر إلى الاستقلال »** *"accession de l'Algérie à l'indépendance"* وأيضاً : « وإذا كانت الجزائر تريد أن **تكون** دولة ذات سيادة ، ففرنسا تقبل بدون أي

---

(187) : "glorieuse" ، نفس المرجع السابق ، ص 87 .
(188) - Ibid, p. 87.
(189) - Ibid, p. 102.
(190) - Ibid, p. 105.

تحفظ بأن يؤسس السكان الجزائريون دولة »

"La France accepte sans aucune réserve que *les populations algériennes instituent* un Etat"

وينظم استفتاء لإنشاء دولة "Un référendum qui *instituera un Etat*" ليحدد في أية ظروف ستنشأ الدولـة الجزائريـة "serait créé l'Etat algérien"؛ عوض أن يقول : "restaurera" ، وبدل أن يقول : "serait restauré".

فالجنرال ديغول ، الذي يعتبر مـن كبار الكتـاب الفرنسيـين المعاصرين ، ومن أكبرهم معرفـة بدقائـق اللغة الفرنسيـة وأسرارها ، كان يعرف أنه لو أراد أن يكون صادقاً مع التاريخ لكتب عن الدولة الجزائرية : restauré ، rétabli ، redevient un Etat وليس devient ، كما لو كان ذلك لأول مرة ؛ و recréé ، وليس "instauré, établi, créé" ؛ و restituer وليس instituer ؛ و rétablissement وليس avènement ولا aaccession ! وبالنسبة للاستقلال فكان ينبغي لو بقي مع الحقيقة ، أن يكتب ويقول :

« فرنسا ترد للجزائر استقلالها "restitue" ، وليس restitue و rend ، وليس donne ولا accorde ؛ والجزائر تسترجع استقلالها recouvre ، وليس reçoit ، ولا obtient ، ولا y accède !

هذا ما كتبه ديغول سنة وفاته ، أي ثمان سنـوات بعـد استرجاع الجزائر استقلالها !

فلو كان ذلك أثناء كفاحنا التحريري فقط ـ وكم فعل ! لقلنا إنه كان يحتاج إلى ذلك التزوير الصارخ للتاريخ من أجل دعايته وتبرير عناده ... ولكنه كتب ذلك في سنة وفاته ، ونشر الكتاب بشهر قبل وفاته ، أي أنه تبنى جميع خطى وأخطاء وخطايا السياسة الفرنسية منذ عدوان 1830 ، ونواياها منذ أواخر القرن الثالث عشر ، من عهد لويس التاسع المسمى أيضا

لويس القديس Saint Louis في أواخـــر القـــرن الثالث عشر الميلادي ، مدعيا ، في كل ذلك ، عدم وجود أمة جزائريـــة ، ولا دولة ، ولا سيادة ، ولا تاريخ ، بل ولا حتى شعب ، وإنمـا « سكان » !

وشبيه بهذا ما قاله رئيس فرنسي آخر ، هو فاليرى جيسكار ديستان، في 10 أبريل 1975 هنا في الجزائر، وقد سبق لنا قبل اليوم أن علقنا عليه في حينه تقريباً ، في يوليو 1975 م .

قال جيسكار ديستان : « فرنسا التاريخية تحيي الجزائـــر المستقلة "La France historique salue l'Algérie indépendante" (191) أي : «فرنسا العريقة ، ذات المجد الأثيل ، تحيي الجزائر الناشئة من العدم ، المستقلة لأول مرة » ! ... مثل أمريكا ... لأنهم يميزون بين الاستقلال ، indépendance ، والتحرير ، libération ، مثل تحريـر فرنسا بعد احتلال ألمانيا إياها 1940 ، الذي سموه تحريـراً ، la Libération وإلى اليـــوم يسمونه كذلك فيقولـون la Libération كمرحلة تاريخية يؤرخون بها ، ولا يقولون الاستقلال ، لأنهم يعتبرون احتلال ألمانيا لهم كحلقة مقطوعة مبتورة من سلسلـة طويلة في تاريخهم ، من استقلال فرنسا ، وسيادتها ، وتاريخها العريق عبر العصـــور "La France historique"، أي أنها كانت دومـا مستقلة ، احتلت ثم تحررت ...

أما بالنسبة لنا، فلا دولة، ولا أمة، ولا سيادة، ولا استقلال، ولا عراقة ، ولا تاريخ ، ولا تاريخية Historicité ، بل ولا حـتى مجرد وجود ككيان ! بل سكان ! populations فقط !

وقد أجبنا قبل اليوم ، ونكـــرر اليوم ذلك ، ما دامـــوا لا يزالون يلوكون هذا التزوير التاريخي ، وقلنا ونقـول إن

(191) انظر ص 3 من المجاهد اليومية الصادرة بالفرنسية يوم 11 ابريل 1975 : El-Moudjahid, 11 avril 1975

التاريخ ، فيما يخص هذه الأقدمية ، والأثالة ، والعراقة ، والتاريخية ، يسجل أن الجزائر أقدم وأعرق وآثل وأكثر تاريخية من فرنسا ! بل وحاربت أمها روما ، وكم أذاقتها ! وجرعتها !

فاذا ما اكتفينا ، فيما يخص هذه العراقة أو التاريخية ، بمثل واحد فقط ، وهو جيسكار ديستان ، الذي سمي كلبه « يوغورطا » ، ربما نكاية بمقاومة الجزائر القديمة تحت قيادة يوغورطا طيلة سبع سنين ضد روما ، وجدنا أنه بذلك يناقض نفسه ، إذ يعترف بطريقة غير مباشرة ، ولكنها بليغة ، بأن عراقة الجزائر وتاريخيتها أقدم بكثير من عراقة وتاريخية فرنسا ، حيث إن يوغورطا هذا ، مع بطولته وعظمته ، إلى حد أن مؤرخا رومانيا خصص له كتاباً بعينه سماه « الحرب اليوغورطية » ، أو حرب يوغورطا (192) ، لم يكن إلا حلقة من سلسلة طويلة من آبائه وأجداده من ملوك الجزائر القديمة ، مثل أبيه مستانا بعل Mastanabal ، وعمه مكيبسا Mikipsa ، وجده مسينيسا ، وجد أبيه غايا Gaïa ، وجد جده زلالزان Zalalzan ، بينما أقدم زعماء وملوك فرنسا ، فرسانجيتوريكس Vercingétorix ، قائد مقاومة الغاليين les Gaulois (أي الفرنسيين القدماء) ، ضد روما تحت قيادة يوليوس قيصر ، جاء بعد يوغورطا ، ومات بعده في نفس السجن في روما ، ماميرتينوم Mamertinum ، وفي كهفه بالضبط ، توليانوم Tullianum (ويوجد قرب الكوليزي Colisée ، ولا يزال يزار حتى اليوم) .

فيوغورطا توفي هناك صبرا (أي جوعا وعطشا) سنة 104 قبل الميلاد ، وفرسانجيتوريكس خنقا سنة 46 قبل الميلاد ، أي أن

(192) الحرب اليوغورطية ، او : حرب يوغورطا ، حسب الطبعات :
(192) - Salluste : Bellum Jugurthinum, Bellum Jugurthae.

يوغورطا سبقه بأكثر من نصف قرن ، أى بثمان وخمسين عاما بالضبط !

وبالتالى : فإذا كان لابد من الصعود في شجرة الأقدمية ، والأثالة ، والعراقة ، والتاريخية ، حتى الأب المشترك ، سيدنا آدم عليه السلام ، فإن الجزائر أعرق من فرنسا ، وأقدم ، وأكثر منها أثالة وتاريخية بما يزيد عن قرنين على الأقل !

وإذا كان النائب الفرنسي سنماركو Sanmarco ، الذي يناصرنا جزئياً في قضية استرجاع الوثائق الجزائرية من فرنسا ، يقول :

إنه ليس « من أنصار فكرة إرجاع الكل إلى الجزائر ، لأن هذه الوثائق ، ولئن كانت أساسية للجزائر في كتابة تاريخها ، إلا أنها هامة أيضاً بنفس الدرجة بالنسبة لفرنسا ذات التاريخ الذي يعود إلى ستة عشر (16) قرناً "mais, pour nous, qui disposons de 16 siècles d'Histoire..." (193). ، وإن أضاف سان ماركو ، في نفس النص ، « أن الجزائر لم تولد يوم فاتح يوليو 1962 م » (194) (أي يوم استرجاع استقلالها وسيادتها) ، كأحد القلة النادرين الذين يعترفون بهذا من بينهم . وكتبت الفيغارو أخيراً أيضاً :

« إن الجزائر ، التي ولدت أخيراً ، الفتية جداً (La *toute jeune* Algérie) ، وفرنسا تستطيعان أن ... » الخ (195) :

فإننا نقول لهما ولغيرهما ـ وما أكثرنهم عندهم ، بل وحتى عندنا ! ـ بهذا المنطق ، إن تاريخ الجزائر يعود إلى أكثر من خمسة وعشرين (25) قرنا ، وليس إلى ستة عشر قرنا فقط ، الذى هو حال فرنسا ! وذلك أنه إذا كان أقدم زعماء فرنسا ، فرسانجيتوريكس ، كما

(193) - Algérie Actualité n° 843, 10-16 décembre 1981.
(194) - Algérie Actualité n° 843, 10-16 décembre 1981.
(195) - Le Figaro,02 décembre 1981.

رأينا ، جاء بأكثر من نصف قرن بعد واحد فقط في وسط سلسلة ملوكنا القدماء، وهو يوغورطا، إذ كان فرسانجيتوريكس هذا معاصرا ليوبا الأول وماتا في نفس السنة ، وهي سنة 46 قبل الميلاد ، (ومات الاثنان في حرب كل منهما ضد يوليوس قيصر)، فمن هو يوبا الأول هذا . المعاصر لأول زعيم أو ملك فرنسي ، كما يعتبره الفرنسيون بالأمس ، واليوم أكثر من الأمس (196)؟ إنه لم يكن إلا حفيد غاودا Gauda ، أخي يوغورطا . فالعراقة والتاريخية إذن لصالح الجزائر طبعاً ، والجزائر أعرق وأكثر تاريخية من فرنسا بقرون !

وإذا ما عدنا إلى جيسكار ديستان وكلبه يوغورطا ، قلنا : إنه لو كان يقصد حقاً التعبير عن حبه لكلبه المفضل ، ومقارنته ببطل يحبه أيضاً ، ويعتبره النموذج له ، لسماه باسم بطل المقاومة الفرنسية ، الزعيم الأول في التاريخ الفرنسي القديم ، فرسانجيتوريكس هذا الذي كان أحد مسارح مقاومته ضد الرومان مرتفعات جرغوفيا Gergovie ، قرب مدينة كليرمون فران Clermont-Ferrand ، في مقاطعة الأوفيرني اليوم Les Auvergnes ، وقرب قرية الشانونا Le Chanonat ، التي فيها قصرالفرفاس Le Château de la Vervasse ، الذي كان مهد أسرة جيسكار ديستان ولا يزال ! (197) .

فنقول إن هذا لا يبعدنا إطلاقا عن الموضوع ، بل هو تمهيد له ، لتفسير نوعية ردود الفعل ، بل وعدم وجودها إطلاقا ... في الأول ، في كثير من ربوع الأرض ... وحتى لدى الأصدقاء والأشقاء ! ونكرر أن

(196) - "Ce n'est pas seulement l'Histoire, selon Lavisse, ni, bien entendu, notre nouvelle histoire aseptisée, qui, dans un *récent sondage*, ont fait élire Vercingétorix comme *le premier des héros incontestés*". Ives Florenne, in Le Monde Diplomatique, mai 1981.

(197) - Le Monde, dimanche 27 décembre 1981.

موضوعنا هو ردود الفعل الأولية العلنية . ثم إنه ليس بالبعيد إطلاقاً بالشكل الذي قد يتصوره البعض عندنا . بل ولا يزال كثير من الفرنسيين يعتبرون التاريخ القديم وكأنه من التاريخ الحديث ، بل والمعاصر ، حيث نجدهم،كما رأينا منذ لحظة ، « يذكّروننا » بأن لهم تاريخاً عريقاً يعود إلى ستة عشر قرنا وأكثر ... بينما نحن الجزائريين ، والجزائر أيضاً ، ولدنا سنة 1962 أو نكاد !

وها هو مؤرخ كبير معاصر ، مارك فيرو ، يصدر هذه السنة كتابا يزعم أنه يريد أن ينقد وينتقد به منهجية المؤرخين حتى اليوم ، « وقلة نزاهتهم ، وكثرة تحيزهم لبلدانهم » ... الخ ، ولكننا نجده هو نفسه يقول مثلا ، وهو بسعرض الحديث عن هذا التحيز الذي ينقده وينتقده لدى الغير .

« ولنأخذ مثلا حروب قرطاج . فبالنسبة للأوروبيين نجد أن الأمر في غاية البساطة والوضوح : أي كان القرطاجيون والرومان يتنازعون الإشراف على شمال أفريقيا . وكان الأمر في النهاية أن تغلب الرومان .

« ولكن افتحوا مثلا كتاباً مدرسيا جزائريا ، فتجدون تاريخا آخر مغايرا تماما ! إذ ستكتشفون أن القبائل الأمازيغية كانت في صراع ضد الغزاة المتتابعين، الذين كانوا في الأول الفينيقيين الذين استقروا في قرطاج (198) ، ثم الرومان .

« وهذا يضع محل النقاش كل ما كنا نحن نسميه التاريخ التقليدي ، الذي يقول عن نفسه إنه موضوعي ، التاريخ الذى يعلموننا إياه في جميع كتبنا الدراسية ، سواء المدرسية منها أو الجامعية » (199) .

---

(198) تمييزاً لها عن قرطاجنة الإسبانية

(199) Marc Ferro "Comment on raconte l'Histoire aux enfants", Editions Payot, Paris 1981.

وعندما سئل من مجلة فرنسية عما دفعه إلى مراجعة هذه النظرة التقليدية إلى التاريخ قال :

« إن الإيديولوجيات تتبخر ، فهي عابرة ، مثل الحب ... بينما الانطباعات الأولى للطفولة تبقى راسخة في الأذهان .

« ومن هنا فلفهم الذهنيات الجماعية والعواطف الكامنة في مجتمع ما ، نجد أن معرفة واستطلاع ما قرأه الناس وسمعوه في طفولتهم ومراهقتهم أهم بكثير من النقاش حول الليبرالية ، والاشتراكية ، والرأسمالية (200) ».

ونحن نقول بدورنا إن هذا هو ما يفسر لنا فعلا تعلق كثير من الفرنسيين ، على مختلف المستويات ، وحتى في الكبر ، بالصيغ الخاطئة التي تلقوها في الصغر ... ويجعلنا نفهم كيف أنهم ، حتى بعد ربع قرن من استرجاع الجزائر استقلالها ، لا يزالون متشبثين بأوهامهم في الماضي عن الجزائر ، « التي لم تكن دولة ، ولا أمة في ماضيها ، بل وأن ليس لها ماض ... ولا تاريخ ... وأنها ولدت سنة 1962 ، بعد أن أعطاها ديغول الاستقلال ، الذي وقعه ، وتعرفه هي لأول مرة في حياتها » ، كما عرضنا نماذج لذلك ! وإننا لنسمع هذه النغمات المتنافرة مع التاريخ حتى اليوم ، وسنسمعها غداً أيضاً ، بلا شك ، ولا ريب ، ولا جدال ! فبالإضافة إلى الذين ذكرناهم ــ وذكرهم جميعاً لا يتسع له إلا كتاب تاريخ بعينه ! ــ ها هي لوموند تنشر لمراسلها سابقا في الجزائر ، بالطا ، عن « الدولة الجديدة التي توصلت إلى الاستقلال سنة 1962 » :

("Le nouvel Etat qui a accédé à l'indépendance en 1962" (201).

---

(200) - Marc Ferro, in Le Nouvel Observateur,05 janvier 1981.
(201) - Paul Balta, in le Monde, 13 novembre 1981.

ويعود إلى الموضوع بعد أسبوعين فيقول : « منذ حصول الجزائر على استقلالها »
("Depuis l'accession de l'Algérie à l'indépendance") (202).
بينما كان ينبغي أن يقول مع التاريخ : « الدولة الجزائرية التي أقيمت من جديد ، أو بعثت (restauré). » ، كما هي الصيغة التي ذكّرت بها ، وفقا للحقيقة ، الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في إبانه ، وليس : « أسست » (instauré)، ولا «أنشئت » (établi), (créé), (institué) ، كما كتب ديغول ؛ وأن الجزائر استعادت استقلالها ، واسترجعته (recouvré son indépendance) ، وليس توصلت إليه (accédé à l'indépendance) ، ولا حصلت عليه (obtenu) . فيقال : استرجاع الاستقلال (le recouvrement de l'indépendance) ، وليس التوصل إليه ، ولا الحصول عليه :
("l'accession à l'indépendance", "l'avènement à l'indépendance"),
كما يكتبه ويقوله ديغول وغيره ... حتى ساسة مسوسون وموسوسون جزائريون ومسوسات جزائريات ، ويخربشه مخربشون جزائريون ومخربشات جزائريات أيضا ، ولا نتكلم عن إخوان وأخوات من بلدان شقيقة ، فإذا كان رب الدار بالطبل ... حتى اليوم ! واعترف هنا ، وليضحك من يشاء من هذه « السطحيات » ، و « السفاسف » ، و « السخافات » ، و « الجزئيات » ، أن ليس هناك شيء يثيرني ، ويفقدني أعصابي ، ويكرهني في الحياة ، أكثر من سماع ذلك السفه من أفواه جزائريين ، وقراءته في خربشات جزائريين وجزائريات !

كيف ؟ الدولة الجزائرية ، التي أنشأها أجداد مسينيسا ، وأقام هو أوتادها حتى شملت نفس حدود اليوم بل أكثر ، كما يذكر المؤرخون الفرنسيون أنفسهم (ومنهم جوليان) ، وازدادت تطوراً وازدهاراً في إطار الإسلام والحضارة الإسلامية،

(202) - Paul Balta, in le Monde, 28 novembre 1981.

خاصة في عهد الرستميين، والزيريين، والحماديين ، والزيانيين، ثم اكتست طابعاً دولياً أوسع كدولة مستقلة ذات سيادة كاملة معترف بها دولياً ، واتخذت ، داخل الإطار الروحي ، والروحي فحسب ، لا غير (203) ، للخلافة العثمانية ، اسم « دولة الجزائريين » ، كما سماها بابا عروج سنة 1516 م (204) : "L'Etat des Algériens" . اعترفت باستقلال أمريكا ، وعقدت معها المعاهدات ؛ واعترفت بالجمهورية الفرنسية الأولى في إبانها ، وأقرضتها مالا ، نقداً ذهبياً وقمحاً ، يقدر مؤرخون ألمان وفرنسيون مبلغه اليوم بعشرات المليارات من الفرنكات القديمة ، لم يسدد حتى اليوم سنتيم واحد منه ، وعقدت معها أكثر من ستين معاهدة وميثاقاً واتفاقية بين 1534 و 1830 (205)، وعقدت مع دول أوروبية أخرى كثيرة معاهدات ، ومنها بريطانيا ، وإن كان الثرثارون والمخربشون ، سامحهم الله والتاريخ، ظلوا يزمرون، بمناسبة زيارة ملكة بريطانيا للجزائر، أن الجزائر عقدت مع بريطانيا معاهدة... وكان الأولى أن يقولوا: معاهدات ، لا « المعاهدة » ، وعن تلك التي ذكروها كان ينبغي أن يقولوا « إنها إحدى المعاهدات » ! والأمير عبد القادر لم ينشىء الدولة الجزائرية الحديثة ، خلافاً لهذر الهذارين وخربشة المخربشين ، الذين يؤكدون ذلك من حين إلى آخر ، جاهلين أن العصر الحديث يبتدىء من نهاية العصور الوسطى ، وكأننا ظللنا طيلة قرون عديدة بدون دولة ، كما يزعم من تعلمون ... عن هذه الفترة وما قبلها حتى آدم ! وكأننا كنا منذ فجر التاريخ قطيعا بلا راع ، بدون مشاركة في المسيرة الإنسانية !

(203) انظر في « إنية وأصالة » عدد تلك المعاهدات وتفاصيل عن تلك العلاقات ، وأيضا في : « شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 » للمخربش ، تحت الطبع .

(204) إنية وأصالة ، للمخربش .

(205) - a) Henri Garrot : Histoire Générale de l'Algérie, pp. 700-701.
b) E. Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cours de France, p. 591.

فالأمير عبد القادر قد أنشأ حقاً دولة جديدة سنة 1832 ، ولكن بعد انهيار الدولة القائمة ! ثم إن الدولة التي أنشأها لا يمكن أن تسمى « الدولة الجزائرية الحديثة » لأنها ، بالنسبة إلى العصر الحديث ، كانت موجودة منذ ما قبل 1516 م ، ثم ابتداء من هذه السنة ، على أنقاض الدولة الزيانية والاحتلال الاسباني (206) ، في إطار الخلافة العثمانية حقاً ، ولكنها كانت متميزة عنها ، وباسم الجزائر كانت تعلن الحرب، وتعقد السلم، وتمضي الاتفاقيات والمواثيق والمعاهدات، كما سنراه قريباً عندما ترجع إلينا نصوصها في أصولها ، كما تقتضي ذلك المعاملات بين الدول في أصولها وفصولها !

نعود إذن إلى تساؤلنا فنقول :

هذه الدولة أنشأها ديغول ؟ سنة 1962 ؟ لهذا فالتعبير السليم الصحيح إذن أنها : أقيمت من جديد "restauré, rétabli" ، أي بعثت ؛ وليس أنشئت "créé, instauré" ! والاستقلال استرجع "reconquise" ، واستعيد "recouvrée" ؛ وليس أعطى أو منح "cédée" ، ولا "concédée" ، ولا توصل إليه "y avoir accédé" ، وكل ما هو "cession" ، و "concession" ، و "accession" !

وليكن هذا واضحاً لكل مخربش وثرثار ، شاباً كان أو في اندثار ، يستعد للالتحاق بالآثار ؛ ولكل موظف بسيط أو سياس ، من دكتور أو صحافي أو كياس ، في الجزائر كان أو في فرنسا ، وإن نسوا هم فالشعب لا ينسى !

ولنعد : ثم خرجوا علينا أثناء المفاوضات على ضفاف إفيان بخرجة جديدة ، بعد أن اتضح أن لا مفر من الاعتراف بعودة الاستقلال ، وهي أن الجزائر هي جزائر الجبل والساحل فقط .

(206) انظر المراجع المذكورة منذ حين في التعاليق (203) و (204) و (205) .

أما الجزائر الجنوبية ، فهي ليست لها ، بل ستتصرف فيها فرنسا ... كما أشاعوا في كل مكان « أن لم تكن هناك وحدة جزائرية ... بل شعوب (207) وقبائل متناحرة ، ومزيج مزركش من عشائر متداحرة » ، كما قال ديغول نفسه في مؤتمره الصحافي الشهير يوم 16 سبتمبر 1959 ... مع أن مراجع فرنسية تقول إن صالح رئيس زار ورجلان عام 1552 ، (207 م) ، بل وأن الدولة الرستمية في عهدها الثاني ، في سدراته ــ ورجلان ، قد امتدت جنوباً حتى ونيبا Wineba ، المدينة الثانية اليوم في غانا (208) !

ثم إن المؤرخ الروماني الذي ذكرناه آنفاً ، سالوست ، ذكر في كتابه « حرب يوغورطا » أن البطل الأول القائد لمقاومة الجزائر القديمة ضد الرومان « كان كثيراً ما ينسحب، لاستجماع القوى ، إلى جنوب نوميديا لدى الجيتوليين » ، وأغلب المؤرخين يقولون إنهم كانوا سكان نواحي الهقار : أي التوارق ، كما نسميهم اليوم ، في إن صالح ، وجانت ، وتمنفست ، وإن قزام ، وما حواليها في الاتجاهات الأربعة ، حتى قرب المحيط الأطلسي، كما يوضح ذلك المؤرخ الفرنسي ألفريد إرنوت ، عضو الأكاديمية الفرنسية ، في أحد تعاليقه الكثيرة على كتاب المؤرخ الروماني سالوست « حرب يوغورطا » ، خاصة عند ذكر سالوست حدود بلاد يوغورطا، أي نوميديا، أو الجزائر القديمة، عندما قال : « إن شمال البلاد كان يسكنه النوميديون (les Numides) ، من حدود قرطاج حتى وادي الملوية ، (وهي حدودنا الشمالية اليوم) ، وأن جنوبها كان يسكنه الجيتوليون (les Gétules) (وربما كان ذلك تحريفاً ، والأصح : القشتوليون) ؛ وأن النوميديين

(207) - Le Monde, 18 septembre 1959.

(207 bis et 208) - Lacoste, Nouschi et Prenant : L'Algérie : passé et présent.

والجزء الكبير من هؤلاء الجيتوليين أو القشتوليين كانوا مطيعين ليوغورطا ، وهؤلاء الجيتوليون يمتدون من شرق البلاد حتى المناطق الشديدة الحرارة قرب الشمس وغير بعيد عن اسبانيا ، حيث لم يكن يفصلهم عنها إلا مضيق » ـ أى أنها تشمل ما نسميه اليوم بالصحراء بما فيها تندوف ـ يعلق المؤرخ الفرنسي المذكور أعلاه ، إرنوت ، على هذا القول للمؤرخ الروماني سالوست فيضيف قائلا :

« إن الجيتوليين كانوا يسكنون في (جنوب) غرب البلاد قرب المحيط الأطلسي » (208 م) .

وهذا إن دل على شيء ـ وإن كنت أكره هذا التعبير ، إلا أني استحليه هنا ! ـ فإنما يدل على أن وحدة الأمة الجزائرية كانت قد تحققت ، من العاصمة حتى حوالي تمنغست وجنوبها ، منذ ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام بأكثر من قرن وربما بقرون، أو على الأقل سنة 1552 م ، وعلى كل بقرون قبل الوحدة الإيطالية (3 أكتوبر 1870) ، والوحدة الألمانية (18 يناير 1871) ، بل والوحدة الفرنسية ذاتها ، وهي التي تعنينا هنا بالدرجة الأولى ، إذ نرد على الفرنسيين الذين أنكروا وحدتنا . والكلام بالكلام يذكر !

فمقاطعة كورسيكا (La Corse) اشترتها فرنسا من جنوة سنة 1767 ، سنتين قبل ميلاد نابليون بونابارت فيها ... أي أنه كان في الإمكان أن يولد نابليون إيطاليا ! ومقاطعة السافوة (Savoie) ،

(208 bis) - Salluste : Bellum Jugurthinum.
Texte établi et traduit par Alfred Ernout, membre de l'Institut, Société d'édition "Les Belles Lettres", Paris 1974, pp.152-155.

بولايتيها الجنوبية والشمالية مع مدينة نيزا (Nice) ، لم تضم إلى فرنسا نهائيا إلا سنة 1860 ، أى بعد احتلال عاصمة الجزائر والساحل الجزائرى بأكثر من ربع قرن ! فهل أن الجزائر كانت فرنسية أكثر من أجاكسيو ، ونيزا (Nice) ، وشامبيرى (Chambéry) ودوقيتها ، وشاموني (Chamonix) وقممها ، وآنسى (Annecy) وبحيرتها ... وقصيدة لا مارتين فيها؟ هل كان الفرنسيون يعتبرونها في قرارة أنفسهم كذلك ؟ أم كان ذلك لمجرد الدعاية المكشوفة والادعاء الوقح ؟ ثم ــ وذلك هو الأهم من كل شيء ! ــ هل كان الجزائريون ــ وهم المعنيون بالأمر في الدرجة الأولى ! ــ راضين بذلك ، مائلين إليه ، « ويموتون فيه » ؟ هذه هي الحكاية كلها ، كما كان يحب أن يقول في سياقات أخرى أستاذنا المرحوم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني !

ونفس الشيء بالنسبة للأمة . فكانــوا ينكرونها بالأمس ، لأسباب سياسية . أما والجزائر قد استرجعت استقلالها ، فما بال أقوام يصرون على إنكارها ؟ لتبرير الماضى ؟ أم فقط لاستمرار الحقد البغيض والتعزى عن المكروه بإنكار وجوده ... ؟

وهكذا كتبت أخيرا جريدة الفيغارو فى افتتاحية لها تقول :

« إن الأمة الجزائرية قد انبثقت عن الحرب الأخيرة التي ينظر إليها الشباب كأنها ملحمة شبه أسطورية » (209) . كما لو لم تكن هذه الأمة موجودة قبل اليوم !

---

(209) - Le Figaro,02 décembre 1981.

وها هو أحد الأقدام والقلوب السود ... (210) ممن لم يكونوا أمس بالأسود ... ينكر علينا الوجود كأمة ، ويقول إننا كنا دوماً نكرات في غمة ، آه لو أنا وهبت شعرية وجزالة ذي الرمة ، لكلت له إذن كيلين ، ولوضعت في مؤخرته ذيلين !

ولكن لم نذهب بعيداً ... فقد أنكر علينا ذلك محمد حسنين هيكل (211) ، وينكره اليوم جزائريون ... وإن كانوا قلة

وها هو آخر إنكار جاءنا من المغرب ، إذ كتبت جريدة فيه أخيراً ، مما كتبت ، مايلي :

« والجزائر التي تناست المواقف الإيجابية للمغرب تجاهها منذ فتح تلمسان ... على يد المولى إدريس الأول ، إلى زيارة « المولى » (212) الحسن الثاني ، بعد أن استقلت سنة 1962 ، **تحاول أن تنتقم من التاريخ الذي حرمها الشخصية المستقلة ، حيث عاشت دائماً تابعة وذيلا ،** وظنت أن الارتماء في أحضان القوى الخارجية عن المنطقة يجديها فتيلا » (213) .

قال ديغول عن الكاتب الفرنسي موريس بريس (Barrès)

---

(210) Pierre Nora, in Le Nouvel Observateur,07 novembre 1981 :
"...Ce qui les intéresse vraiment (les Algériens) dans ces archives, c'est l'existence, qu'ils ne trouveront pas, d'une nation algérienne qui se serait constituée avant l'arrivée des Français !".

ويلاحظ هنا ، زيادة عن إنكار الأمة ، تعبير ... كما أشرنا إليه في سياق آخر ... (انظر : إنية وأصالة) وهو « وصول الفرنسيين » ! كما لو استضافتهم الجزائر وجاءوا يسعون إليها سعيا ، ووجدوها لا تكسب إدراكا ووعيا وكانت مستعدة لتذوب وتنعى نعيا . ثم وصلوا إليها وصولا ، وفرحت هي بما حصل لها حصولا ، وخرجت فيه الأمة طفلا وشيخا وكهلا ، كل حسب الطاقة بسرعة أو مهلا ، تقول مرحبا بكم نزلتم أهلا ، وحللتم في الجزائر مكانا سهلا ، وشربت معهم فرحا ونهلت نهلا !

(211) محمد حسنين هيكل : الأهرام بين 20 ـ 25 جوان 1965 .

(212) الأقواس من الجريدة ، ولا ندري أهي مدح أم قدح إذ الكلمة من الأضداد .

(213) « الديمقراطي الحر » ـ نوفمبر 1981 م (المغرب) .

« إنه أرجع إلى النخبة الوعي بالخلود الوطـني ، يجعلهـا تكتشف الوشائج التي تصلها بالأسلاف » (214) .

وكأننا نقرأ هنا فيخته في ندائه إلى الأمة الألمانية !

ولقد أشاد الفرنسيون بالجو المثقل بالرموز الذي أسبغـه رئيس الجمهورية الفرنسية الحالي ، فرانسوة ميتران ، على يوم تنصيبه رئيساً ، خاصة لدى زيارته لمقبرة عظماء فرنسا في قلب الحي اللاتيني ، بجنب السربون ، حيث سـار راجـلا ... والسيمفونية التاسعة لبيتهوفن تعزف على الملإ ، طوال المسيرة ، وقالوا : « إنه احتفال الذكرى » ("cérémonie de la mémoire") ، و « تقديس الماضي » ("le sacre du passé") ، وأنه « أراد أن يضرب بجذوره في أعماق التاريخ "s'enraciner dans l'Histoire" ، » وأن يعيد للقيم الوطنية ولعشرين بطلا من أبطال الملحمة الفرنسية ما يعود لهـم » :

("rendre aux vertus nationales, à vingt héros de l'épopée française, à Jean Jaurès, et à Jean Moulin surtout, la part qui leur revient").

(وهذا الأخير من أبطال المقاومة الفرنسية في الحرب ، أعدمه الألمان) ، وللتركيز على هذه « البنوة وعلى شجـرة النسب المعنـوي ("filiation") » ، « وعلى ثقل الميراث » (بمعنى التراث) ، « ولمقاومة فقدان الذاكرة » ("pour lutter contre l'amnésie") ، « ولتمجيد رجال الحرية (rendre hommage aux hommes de la liberté) في البنتيون (Le Panthéon) ، مقبـرة عظمـاء فرنسـا » وصرح الذاكـرة الفرنسيـة » (mémorial de la mémoire française) ، في « باريس، مدينة الذاكرة » ! (dans Paris, ville de la mémoire !) ! هـذا ما يكتبونه عـن تاريخهـم ، وبلادهم ، وعظمائهم ... أما الآخرون ... فلا عظمة لهـم ، ولا تاريخ ، ولا ماضي ، ولا مجد ، ولا ذاكرة ، ولا صروح ،

---

(214) - Le Point, 03 novembre 1980.

بل ولا حرية ، ولا استقلال ، ولا سيـــادة ، بل ولا أمــة ...
بل ولا حتى شعب ! فهم مجرد سكان ! ("populations") يعيشـــون سبهللا ! عدا التحية (أو التجلة) التي وجهها الرئيس الفرنسي الحالى ، فرانسوة ميتران ، في القاعة الشرفية بمطار هواري بومدين لدى وصوله لزيارة الجزائر ، يوم 30 نوفمبر 1981 ، إذ قال إنه يوجه « تحية الإكبار إلى الأبطال الذين يرمزون للأمة الجزائرية ! » (215) .

"...hommage aux héros qui symbolisent la nation algérienne" (215).

على أن هذه التجلة ... تلغى جميع التصريحات السابقة لكم من مسئول فرنسى على مختلف المستويات ، ولكم مـن مخربش فرنسى في الكتب أو الصحافة ، ولكم من ثرثار مهذار في الإذاعة أو التلفزة ، منذ يوم 5 يوليو 1830 م ، وتلغى مقدما كل تصريح أو مقال سيأتى في المستقبل في الاتجـــاه المعاكس للحقيقـــة والتاريخ !

ولا أقول إنها تشفع لما سبق من تلك التصريحات، والكتابات، والخطب ، والنداءات ، والمحاضرات ؛ ولا أقول إنها تكفر عنها ، وإنما تلغيها، أى تصححها، وتكرس من الجهة الفرنسية الاعتراف الحر الصريح الرسمي ببطلانها ، وبعودة الحق إلى نصابه ، بعد أن أعاده « أبطال الأمة الجزائرية الذين يرمزون لها » على مر التاريخ ، أولئك العظام الخالدون خلود الإنسان !

وختاماً لهذا التقديم ، وحتى تفهم ردود الفعل في فرنســا والعالم ، التي وصلتنا أصداء عنها ، وريثما تقدم دكتورات دولة عديدة عن الموضوع وأيضا عن مواقف الدول من قضيـــة

(215) - Le Monde,02 décembre 1981.

الجزائر في هيئة الأمم المتحدة (215 م) ، وموقفها منا عموماً ... أحاول الآن أن اعرض بعض الأصداء خارج الجزائر وفرنسا :

5 ـ ردود الفعـل خـارج الجزائـر وفرنسـا

لقد أرهبت السلطات الفرنسية الكثير الأغلب من أصدقائها، وغير أصدقائها ، في العالم وخاصة في العالم العربي ، بهـــذه « الجزئية التي لا تتجزأ من فرنسا » ... التي وصمت بهـــا الجزائر وأصبحت بها قضيتها في صورة « مشكل معقد شائك ، ينبغي الابتعاد عنه ، بل ولا يليق الاهتمام به إطلاقا ، إذ لا يجر إلا المشاكل » ، وقد أحاطته فرنسا بحساسية مفرطة ، جعلـت الناس يفرون منه من بعيد !

إنه « المساس بوحدة فرنسا » ، وبـ « سلامتها الترابية ! » "intégrité territoriale" ، « وتـدخـل في شـؤونها الـداخليـة » ، "ingérence", "intervention", "immixtion dans les affaires intérieures" ، وانتهى !

وراحت فرنسا تكرر هذا الهذيان حول « حساسية المشكل »، و « تعقده » ، بشكل ملح حتى أصبح « تعقده » المزعوم هـذا عقدة حقيقية لدى الكثير، وأضحى يشبه إيحاء ذاتيا لدى البعض بأن اسم « الجزائر » محاط بالاحتجاج ، والتهديد ، ومحفوف بالمخاطر والأهوال ، ويرددون ذلك مثل الحاكي : الجزائر ؟ أعوذ بالله !

---

(215) مكرر ـ عندما كنت مدير الشؤون السياسية بوزارة الشؤون الخارجية في خريف 1964 ، اتخذت بادرة الحصول على محاضر هيئة الامم المتحدة طوال الحرب التحريرية الجزائرية ، وبدأت الأقسام السياسية في الوزارة تحت إشرافي تعد دراسة شاملة عن مواقف الدول إزاء قضيتنا في المنظمة الدولية ، ولم نتم العمل ، حيث انتدبت إلى الرئاسة ، ولكن أحد مساعدي إذ ذاك ، وهو الدكتور خلفة معمري،الأمين العام حاليا لكتابة الدولة لدى الوزارة الأولى للوظيف العمومي والإصلاح الإداري ، قد أصدر كتابا عن الموضوع ، ولئن لم يفصله فقد وعد بتداركه ذلك .

ولهذا لا نكاد نجد ردود فعل علنية وخاصة إيجابية لمسئولين حكوميين ، أية كانت نوعيتها ، في أي بلد في العالم قاطبة ، عدا فرنسا ، في الأسابيع الأولى التالية لفاتح نوفمبر ، حسبما نذكره من ذلك العهد ، وبناء على استقصائنا فيما وجدناه من صحافة ، إذ كان المسئولون الفرنسيون بالمرصاد للرد العنيف ، والاحتجاج الصارخ ، على كل محاولة نصح ، أو انتقاد ، أو تنديد .

ولو كان شيء من ذلك لوجدنا صداه في الصحافة الفرنسية ، إذ لا وجود لأية صحافة خارجية أخرى ، غير الفرنسية ، في الوثائق الموجودة ، لا في المكتبة الوطنية ، ولا في ولاية الجزائر ، التى توجد فيها الواردات المصادرة من سلطات الرقابة الفرنسية في الجزائر . ولهذا نكتفي هنا ، مضطرين ، ببعض ما وجدنا صداه في الصحافة الصادرة بالجزائر أو في الصحافة الفرنسية الصادرة في فرنسا ، مع الحذر الضروري والنقد اللازم ، ونحن شاكرون مقدما لكل تصحيح أو تكملة .

أ ـ ردود الفعل في أمريكا وأنكلترا :

لم تصدر عن الولايات المتحدة الأمريكية وأنكلترا إلا بضعة ردود فعل قليلة ، اضطرتهما إليها إلحاحات منديس فرانس بمناسبة زيارته إلى أمريكا . وإلحاحات الفرنسيين عموماً ، وتباكيهم لديهم بدعوى التضامن الأطلسى ، وأن الجزائر ، بل وشمال افريقيا كله ، جهة معرضة للخطر الشيوعي ... وأن هذا خطر على الميثاق الأطلسى كله ... وحيث إن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ، ويشملها الميثاق الأطلسى ، فالمساس بها مساس بفرنسا ، ولابد لأمريكا وأنكلترا من أن تتضامنا مع فرنسا في الدفاع عن الجزائر خاصة ، وبلدان شمال افريقيا عموما ، « التى هى الجناح الجنوبى للميثاق الاطلسى فى البحر الأبيض المتوسط » !

هذا هو الخط العام لإلحاحات الفرنسيين لـــدى حلفائهم ، عموماً ، وخاصة منهم الأمريكان والأنكليز .

ونجد صدى هذه الإلحاحات في بعض الجرائد الفرنسيـــة . ولئـــن تحفظت كل مـــن أمريكا وبريطانيا فيما يخص تـــونس والمغرب ، فإنهما أعطتا فرنسا البطاقة البيضاء في الجزائـــر ، بل وأرسلت أمريكـــا حتى بأخصائيـــين عسكريـــين وطائـــرات عمودية ، فضلا عن التأييد الدبلوماسي في هيئة الأمم المتحدة وفي غيرها لدى الدول بضغط مباشر عليها ، لتؤيد فرنسا أو ، على الأقل ، لتكف عن مناصرة وجهة النظر الجزائرية أو ، على أقل الأقل : لئلا تنتقد سياسة فرنسا في الجزائر . إذ ظل المسئولون الفرنسيون ، على مختلف مستوياتهم ، وعلى تعاقب أحزابهم في الحكم ، من منديس فرانس وإدغار فـــور إلى غي مولي وحـــتى ديغول ، يرددون أن المشكل داخلي ، وأن ليس لأحد أن يتدخل ، « وأن المقياس في علاقات الدول بفرنسا هو موقفها من سياستها في الجزائر بالذات » ، كما قال غي مـــولي لصحافيين ، روسيين وغيرهم ، وأضاف :

« فبهـــذا المقيـــاس فقـــط تعـــرف فرنســـا أصدقاءهـــا الحقيقيين » (216) .

وها هي بضعة أمثلة :

« منديس فرانس يتدخل في أمريكا ويحصل على نتيجتين » :

« في آخر زيارة منديس فرانس ، رئيس الحكومة (الفرنسية)، لأمريكا، حصل على موافقة واشنطن، على لسان جون فوستر دالاس، كاتب الدولة الأمريكي للشؤون الخارجية ، على أمرين اثنين :

(216) - Le Monde, 28 juin 1956.

« 1 ــ تدخل أمريكا لدى مصر وأسبانيا لإيقاف نشاطهما الدعائي ضد وضع فرنسا في الجزائر .

« 2 ــ الترخيص لفرنسا باستعمال أسلحة الميثاق الأطلسي في الجزائر » (217) .

أمريكا تعمل على كسب العرب لموقف فرنسا

« بلغنا أن جون فوستر دالاس ، كاتب الدولة الأمريكي للخارجية ، قد أخبر سفير سوريا في واشنطن ، فريد زين الدين، بانطباعاته الطيبة عن حسن نوايا فرنسا في شمال افريقيا .

« وهذا الانطباع الذي بلغه الوزير الأمريكي سفير سوريا كان قد اكتسبه من مقابلته مع بيير منديس فرانس ، رئيس الحكومة الفرنسية ، الذي شرح له السياسة التي تنوي فرنسا سلوكها في شمال افريقيا » (218) .

ونفس الخبر أوردته جريدة « الجزائر الجمهورية » الشيوعية مع فارق دقيق : وهو « أن جون فوستر دالاس ، كاتب الدولة الأمريكي للخارجية ، بلغ سفير سوريا ، فريد زين الدين ، **نفس الانطباعات عن مقابلته لمنديس فرانس،التي كان شارل مالك ، سفير لبنان في أمريكا ، عبر عنها للسفراء العرب الثمانية في أمريكا لدى اجتماعهم تحت رئاسته** » (219) .

« تأييد أمريكا وأنكلترا لفرنسا في الجزائر »

« بطلب من منديس فرانس لدى زيارته لأمريكا ، وعدت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بتأييد فرنسا في مسألتين :

(217) - Le Monde, 23 novembre 1954.
(218) - Le Monde, 18-19 novembre 1954.
(219) - Alger Républicain, 28-29 novembre 1954.

« 1 ـ التدخل لدى مصر لوقف حملات إذاعة «صوت العرب» ، أو بالتخفيف من حدة لهجتها ، على الأقل . وقد ظهرت النتيجة فعــــلا ».

2 ـ وبأسلحة وعتاد الحلف الأطلسي » (220) .

ولقد ظل موقف أمريكا كذلك : التأييد الصارخ المفضوح :

1) في المجال الحربي ، بالسلاح ، والعتاد ، وبالطائرات أيضا، العمودية خاصة ، فضلا عن الإخصائيين ، والسماح لفرنسا بتوجيه مساهمتها في الحلف الأطلسي إلى الجزائر ، معتبرة ذلك دفاعاً عن الغرب في إطار ميثاق هذا الحلف .

2) وفي المجال السياسي والدبلوماسي :

بتأييد موقفها في مجال الإعلام ، وبمناصرتها في هيئة الأمم المتحدة ، وبالضغط على بعض حلفائها ليقفوا مـــع فرنسا في حربها الاستدمارية في الجزائر ؛ وبالنسبـــة للبعض الآخــر : بتخديرهم ، وتثبيط عزائمهم تجاه الكفاح الجزائري ، وذلــك بإقناعهم بحسن نوايا فرنسا ... ونجاعة مشاريعها الليبرالية بالنسبة لمستقبل الجزائر ... كما رأينا من تدخلاتها لدى الدول العربية ... ومقابلات وزير خارجيتها ، جون فوستر دالاس ، لممثلي هذه الدول في أمريكا ... مثل شارل مالك ، ممثل لبنــان ورئيس مجموعة السفراء العرب ، وفريد زين الدين ، ممثل سوريا ، وغيرهما ... كما سبق أن ذكرناه .

تأييد مفضوح علني ، بل صارخ ! ولئن كان موضوعنا محددا بالردود الأولية ، إلا أنه ربما ليس خروجاً عــن الموضــوع أن نلخص ردود الفعل الأمريكية في نقاط رئيسية موجزة نأخذها من تصريح لسفير أمريكا في باريس في إطار محاضرة ألقاهــا

(220) - Le Monde, 15 décembre 1954.

فيما بعد أمام الصحافة العالمية في باريس ، كما أوردته جريدة « لوموند » الفرنسية :

« أمريكا تؤيد تأييداً مطلقاً السياسة الفرنسية في شمال افريقيا » (221) :

« ألقى السفير الأمريكي ، دوغلاس ديلون Douglas Dillon، خطاباً طويلا كله تأييد لفرنسا فقال :

« إن السياسة الفرنسية في شمال افريقيا تحظى بالتأييد المطلق من الولايات المتحدة الأمريكية » .

« وفيما يخص الجزائر بالذات قال :

« إننا نساعد فرنسا في الجزائر .

« ففي المجال الدبلوماسي مثلا : بمعارضتنا تسجيل قضية الجزائر في هيئة الأمم المتحدة .

« وفي المجال العسكري : بإمدادها بالطائرات العسكرية العمودية (hélicoptères) وغيرها من الوسائل والتجهيزات .

«وذلك أن السياسة الفرنسية في شمال افريقيا تحظى بالتأييد المطلق من الولايات المتحدة الأمريكية . وخاصة وبالذات في الجزائر ، التي هي أربع ولايات فرنسية ، تكوّن جزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية .

« وأود أن اطلب من صحافتنا أن تتفهم ذلك ، وأن تدرك أنه يحق لفرنسا أن تفخر بما أنجزته في الجزائر » .

إنجازات هائلة فعلا ، مثلا : 94 ٪ من الأميين بين الرجال ، و 96 ٪ بين النساء ، وذلك في آخر سنة 1955 ، حسب الإحصاءات

(221) - Le Monde 21 mars 1956.

الفرنسية الرسمية التى نشرتها « الولاية العامة » الفرنسية في الجزائر في يناير 1956 !

ونجد غي مولى،زعيم « الاشتراكيين » في فرنسا ورئيس حكومتها إذ ذاك ، يعلق على هذا التأييد المطلق من السفير الأمريكى باسم أمريكا كلها فيقول في تصريح له بدوره ، لمجلة أمريكية :

« إنه تصريح ممتاز فعلا ، وخاصة النداء (من السفير الأمريكي) إلى الصحافة الأمريكية وإلى الرأي العام الأمريكي لتفهم سياسة فرنسا في الجزائر ومناصرة هذه السياسة » (222).

ولن يتغير شيء في السياسة الأمريكية هذه نسبيا إلا بعد تولى جون كندى رئاسة أمريكا سنة 1960 ... ومع ذلك ...

ب ـ وفي روسيا :

لم نجد هناك صدى لردود فعل علنية أولية ... ولن نجدها إلا فيما بعد بمدة . ولئن كانت هذه الردود تخرج عن دائرة الموضوع ، الذي هو « ردود الفعل الأولية » ، إلا أنه لا بأس بأن نورد هنا بإيجاز ، مثلما فعلنا بالنسبة لأمريكا وبريطانيا أيضاً ، بضعة أصداء ذات دلالة ، وإن تغيرت ردود الفعل هذه فيما بعد ، نسبياً .

فزيادة عن تصريح خروشتشوف الذي ذكرناه آنفاً عن « شعوب الاتحاد الفرنسى ... وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ... » الخ ، فقد بدرت من مسئولين روسيين آخرين تصريحات أخرى بمناسبة زيارة غي مولى ، رئيس الحكومة الفرنسية ، لروسيا في ربيع 1956 ، لا تقل تذبذباً وتأرجحاً .

---

(222) - Us-News Report in : Le Monde,04avril 1956.

فأمام الإلحاح الفرنسي ، من غي مولي ووزير خارجيته ، كريستيان بينو ، فضلا عن جهود السفير ، وملاحقات الصحافيين الفرنسيين ، وبرلمانيين فرنسيين ، مبرزين « الفروق » بين تونس والمغرب من جهة ، « حيث الوضع بسيط ومن أجل هذا سلكت فرنسا سياسة ليبرالية » ، والجزائر من جهة أخرى ، « حيث الوضع معقد ، نظراً « لجزئيتها » من فرنسا وللعدد الكبير من الأوروبيين الموجودين فيها » ، ومع ذلك تنوي « سلوك سياسة ليبرالية » ، مختلفة طبعاً ، صرح كل من **مولوتوف لوفد** البرلمانيين الفرنسيين :

« ان رغبة الحكومة السوفييتية هي **أن تبقى فرنسا في الجزائر** » (223) .

ومولوتوف أيضا ، مرة أخرى :

« إن الاتحاد السوفييتي يدرك أهمية المسألة الجزائرية بالنسبة لفرنسا . ولكنها مشكل فرنسا .

« إننا لا نود أن يتكرر في الجزائر ما حدث في فييتنام ، ولكن **رغبة الاتحاد السوفييتي هي أن تبقى فرنسا في الجزائر** ، بشرط أن تكون التسوية مرضية للشعب الجزائري والفرنسيين معا » (224) .

والمارشال بولغانين لجريدة لوموند :

« وفيما يخص المشكل الجزائري ، فإننا ندرك جيداً **تعقده** .

«ولكننا متأكدون من أن هذا المشكل يمكن أن يحل هو أيضاً بطريقة سلمية ، وأنه سيجد حله » (225) .

(223) - Le Monde, 13-14 mai 1956.
(224) - Le Monde, 15 mai 1956.
(225) - Le Monde, 15 mai 1956.

الكاتب السوفييتي إليا إيرنبورغ : تعلق جريدة « لوموند » على سلسلة مقالات نشرها الكاتب الروسى الكبير في صحف موسكو قبيل وأثناء زيارة غي مولى ، بأنه :

« لم يذكر الجزائر ولا مرة واحدة ، في أي مقال منها . وهذا نفسه ذو دلالة ومغزى » (226) .

المحادثات الفرنسية الروسية : وتعلق « لوموند » على جو المحادثات فتقول « إن البرتوكول كان مبرمجاً على أن تنتهي على الحادية عشرة ليلا ، ولكنها استمرت حتى الواحدة إلا الربع صباحاً » . (بزيادة ساعتين إلا ربعاً) ، وتقول :

« إن هذه الزيادة كانت بطلب من غي مولى وكريستيان بينو لشرح السياسة الليبرالية الفرنسية إزاء تونس والمغرب ، وللإلحاح **على الفروق الأساسية بينهما والجزائر** » (227) .

وفي البيان المشترك :

« يعترف الجانب السوفييتي لفرنسا **بروحها الليبرالية في حل المشاكل** لحل المشكل الجزائري حسب روح العصر وفي صالح **الشعوب** » (228) .

وتضيف لوموند : « أن الجانب السوفييتي وافق على أن يكون هذا النص الفرنسى هو النص الرسمي للبيان » . ثم صرح غي مولى نفسه بعد العودة من موسكو :

---

(226) - Le Monde, 17 mai 1956.

(227) - Le Monde, 19 mai 1956.

(228) - Le Monde, 22 mai 1956.

« ... وقد اعترفت الحكومة السوفييتية نفسها بالروح الليبرالية للسياسة الفرنسية في حل المشاكل » (229) . إشارة إلى الفقرة المعنية المذكورة من البيان المشترك .

ثم تطور موقف روسيا تدريجياً ونسبياً بعد ذلك بمدة ، وهو ما يخرج عن دائرة ردود الفعل الأولية ، وقد تجاوزناها قليلا ، مثلما فعلنا مع غيرها .

جـ ـ ردود الفعل في الصحافة الأوروبية والأمريكية

وفيما يخص أجهزة الإعلام الأوروبية ، غير الفرنسية بالذات ، مثل السويسرية، والأنكليزية، والألمانية، والأمريكية، فتتسم غالباً بطابع التحفظ ، أو التعاطف مع فرنسا ، وإن كانت تستنكر أحيانا بعض جوانب السياسة الفرنسية الاستدمارية، أو تتجاسر أحياناً أخرى إلى حد النصح غير المباشر .

وفيما يتصل بالتضامن المتعصب ، فقد تميزت الصحافة الألمانية الغربية ، بصفة خاصة ، بتحيز مطلق ، وتبعية عمياء، وإن تطورت فيما بعد ، ببطء كبير ، غالباً بعد ربيع 1957 ، وهذا بالنسبة لأحسنها (230) ، وأكثرها تقدمية ، ونضالية ، و « ثورية » . وكان ذلك يرجع إلى بعض الصحافيين ، أكثر مما هو راجع إلى تطور إدارة هذه الجريدة أو تلك في جملتها . وذلك للضغط الشديد الذي كانت تجريه السفارة الفرنسية على الحكومة طبعاً (231) ، خاصة أن المستشار آديناور كان معروفاً بميوله نحو فرنسا ... ولكن السفارة الفرنسية كانت تتدخل أيضا لدى الصحافة مباشرة ، مستعينة بالصحافيين الفرنسيين

---

(229) - Le Monde,05 juin 1956.

(230) انظر بعض الأمثلة الحية لذلك في العدد الخاص بأول نوفمبر 1980 من مجلة المجاهد الأسبوعية أو في «أصالية أم انفصالية !» لكاتب هذه السطور.

(231) وإن كانوا يزعمون حرية الصحافة كغيرهم ... !

الكثيرين المقيمين هناك . ولقد عانى بعض مناصرينا كثيرا من العنت والمضايقة !

ولا نستغرب كثيرا هذا الحرص الفرنسى القديم على التمسك بهذه الأطروحة العجيبة الخاصة بـ « جزئية الجزائر التي لا تتجزأ من فرنسا »... وإنكار أي وجود لدولة أو أمة جزائرية قبل الغزو الفرنسى للجزائر سنة 1830 ... إذ أضلهم التعصب الأعمى لوجهة نظرهم الاستدمارية ، التي كانوا يبنون على ديمومتها ديمومة سيطرتهم على الجزائر ... فكانوا يستعملونها بإلحاح ، ليسكتوا كل ناقد من الخارج ، فضلا عن أي مطالب أو مدافع من الداخل !

ولكن ما يستغرب هو تحفظ ، أو حذر ، بل وتبعية ، بل وجبن ، بل وخور ، وسخافة ، وبلادة دول وشخصيات خارج فرنسا !

ولنكتف هنا إذن ببعض الأصداء الصحافية :

عينات من الصحافة السويسرية :

مما كتبته « لاغازيت دى لوزان » نورد ما يلى :

« ها قد دخلت الجزائر فى دوامة من الشغب العام ، بل الشامل .

« إنها لسلسلة دموية حقاً في شمال أفريقيا ! ونتمنى ألا تضطر فرنسا إلى الإلقاء بنفسها في الجزائر ــ كما فعلت في غيرها ــ في الحلقة الجهنمية ، أو العلاقة الجدلية المتمثلة في الإرهاب من جهة الجزائريين ، والقمع من جهة الفرنسيين .

« إن الفكرة الوطنية الجزائرية تغذيها حالة البؤس والإجحاف الاجتماعي الصارخ » (232) .

وكتبت « لاسويس » :

« والأحسن أن تحل سياسة إصلاحات اجتماعية ، واقتصادية، وسياسية محل سياسة القوة .

« إن قوة انتشار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الجزائرية ، و « صوت العرب » في القاهرة ، والنشاط السري الذي تقوم به « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » ، كل هذا لا يمكن أن يفسر انفجار سلسلة من الاعتداءات وحالة من الثورة الحقيقية لو كان وضع الشعب الجزائري فقط يقرب من الحسن » (233) .

عينات من الصحافة الأنكليزية :

من المجلة الاقتصادية « ذى إيكونوميست » :

« قد يتخيل إلى من يستمع في فرنسا إلى دعاة استعمال القوة أن الإرهاب بدأ في أفريقيا الشمالية بعد أن ذهبت الحكومة الجديدة فى جرءتها إلى حد منح تونس استقلالها الداخلى .

« إن هذا المديح الخداع لسياسة القوة يبرهن على أن سابقة الهند الصينية ذهبت عبثاً وسدى ، ولم يتعلم منها الغلاة الفرنسيون شيئاً » (234) .

ونفس اللهجة عند الديلى تلغراف (المحافظة) :

---

(232) - La Gazette de Lausanne,03 novembre 1954.
(233) - La Suisse, début novembre 1954.
(234) - The Economist, début novembre 1954.

« يرجى ألا يعمد منديس فرانس في الجزائر إلى القـــوة ، كما حدث ذلك في ماي 1945 ، بينما يحاول سلوك سياسة المصالحة مع الوطنيين في تونس والمغرب » (235) .

أما مانـشستر غارديان (الليبرالية) فتقول :

« وقعت في الجزائر أخيراً حوادث إرهابية غير معتادة .

« وإذا كان المغرب أكثر تعرضاً لانفجارات العنف ، فقـــد تكون الجزائر أصعب مراسا .

« حقاً ، إن فرنسا قد أنجزت الكثير في الجزائر في المجـــال الاقتصادي ، كما أنها ألحقتها بنفسها قانونياً ، وأصبحت جزءاً منها ، والجزائريون أكثر المغاربة تأثراً بالنفوذ الغربي .

« ولكن إذا كانت الوطنية الإسلامية ستواصل مجراها الحالى، فلن يقتنع الجزائريون ربما بما يعرض عليهم ، وسيكون الوضع على فرنسا في الجزائر أصعب مما هو في تونس والمغرب » (236).

أمـــا ذى أوبزيرفر الأسبـــوعية التقـــدمية فتـــذهب أبعـــد وتطالب بتدخل بريطانيا :

« إن كلا من فرنسا والشعوب العربية لهي اليوم عند مفترق الطرق في شمال أفريقيا .

« فاضطرام الإرهاب ليس حادثا عارضا فى شمال افريقيا .

« ولهذا فمن المصلحة المشتركة للغرب كله أن تستعمـــل بريطانيا كل ما تتمتع به من نفوذ للتوصل إلى اتفاق » (237) .

(235) - Daily Telegraph, début novembre 1954.
(236) - Manchester Guardian,02 novembre 1954.
(237) - The Observer, début novembre 1954.

وفي ألمـانيا الغربية :

نذكر عينتين اثنتين ، أولاهما ممثلة للتيار الغالب حـــتى ربيع 1957 . فقد كتبت جريدة راين بفالتز الكاثوليكية ، باسم هذه الجهة المعروفة بموالاتها التقليدية لفرنسا منذ نابليون ، ما يـــلي :

« لقد أنجزت فرنسا الكثير في الجزائر . ولكن موسكو هـــي المسئولة عما يجري اليوم في هذه البلاد من اضطرابات .

« فموسكو لها المصلحة الكبرى في إضعاف فرنسا ، هذه القلعة الصناعية والقاعدة الاستراتيجية للحلف الأطلسى » (238) .

أما جريدة الأوساط المالية والصناعية في وسط ألمانيا وإحدى الجرائد الثلاث الكبرى في ألمانيا الغربية كلهـــا ، فرانكفورتر الغماينه تزايتونغ ، فقد كتبت :

« على فرنسا أن تبرهن على الحكمة السياسية » (239) . وإن كان قد ظل موقف هذه الجريدة سلبياً حتى الأخير، إذ يغلب عليها نفوذ مالى صهيوني ، وهو نفس موقفها العدائي حتى اليوم من جميع القضايا العربية الإسلامية (فلسطين ، إيران ، بل العالم الإسلامى في مجموعه) .

ومن أمريكا نورد مثلين اثنين :

فنيويورك هيرالد تريبيون كتبت :

« إن الشغب في الجزائر مستورد أكثر مما هو ذاتي داخلى . فهو نتاج الجهود المنسقة للإرهابيين فى تونس والمغرب .

(238) - Rheinpfalz, début novembre 1954.
(239) - Frankfurter Allgemeine Zeitung, début novembre 1954.

« ولكن من الواضح أن جهود التصالح التي يبذلها منديس فرانس ، والتي يبدو عليها أنها لا تزال غير كافية ، ينبغي أن تتواصل » (240) .

أما نيويورك تايمس ، فقد اكتفت في الأول بتوقع :

« أن تحرك الجزائر قد يكون خطيراً على فرنسا » (241) .

د ـ ردود الفعل الأولية في العالم العربي والإسلامي لدى الدول والشخصيات والصحافة :

إنها لا تمتاز بالخصوبة والوضوح ، إذ كان الحذر والتحفظ يسودان ، بسبب ضغط الديبلوماسية الفرنسية الشديد والمتواصل ، كما سبق أن وضحنا ذلك منذ قليل عند بدء استعراض ردود الفعل الأولية في العالم خارج الجزائر وفرنسا.

بل ونستطيع أن نقول هنا، بدون أية مبالغة، إن هذا الضغط الديبلوماسي الفرنسي على العالم كله ، لمنعه من الكلام عن الجزائر ، كان متقدما على فاتح نوفمبر ، وبكثير جداً ... إذ كان متواصلا منذ الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830 م ، ولم ينقطع قط ... (242) فلقد ظلت دائماً تردد تلك « الجزئية التي لا تتجزأ من فرنسا » ... « وأن الجزائر ثلاث ولايات فرنسية » وانتهى ! ولكن لا يدرك الإنسان كل ما اشتهى !

تلك الأطروحة العجيبة الغريبة ، التي لا تستند إلى أي منطق، ولكن كان لها تأثيرها على الحيوان الناطق ! مسكين أرسطو ! وأين أنت يا ديكارت من مواطنيك ومقولتك المشهورة ، التي

---

(240) - New-York Herald Tribune, début novembre 1954.

(241) - New-York Times,début novembre 1954.

(242) ولا يزال حتى اليوم ، على الأقل في مجال المحاولات ، باعتبار « أن الجزائر منطقة نفوذ فرنسي » ... وخاصة في المجال الاقتصادي ، ولكن هيهات ! هيهات !

زعمت بها في الجملة الأولى من كتابك عن المنهج أن « العقل السليم أعدل الأشياء توزعا بين الناس » ؟ (242 م) .

وقد كانت لذلك نجاعته ، وكان له تأثيره القوي في العالم ، وفي العالم العربي والإسلامي ربما أكثر من غيرهما ، مع الأسف الشديد ، بل وفي الجزائر ، بالذات ، أيضاً ، على بعض المتأثرين بالشعارات الفرنسية من الجزائريين في الداخل والخارج، بدون أن نذهب بعيداً ، وقد ذكرنا لذلك أمثلة في هذا النص الذي بين أيدينا وفي غيره (243) .

وكم صدمنا بمثل تلك السخافات في المشرق العربي من طرف شخصيات كنا نظن أنها بمنجى عن التأثر بمثل تلك الادعاءات الصادرة عن ذهنيات سخيفة ، والمؤثرة في ذهنيات لا تقل عنها سخفا ، وإسفافا ، وهزالا ، وضعفا ، وسقوطا ، وموتا !

ونشهد هنا ، حسب تجربتنا هناك من بداية 1950 حتى صيف 1954 ، أن كانت هناك على الأقل شخصيتان في المشرق العربي ، وفي مصر بالذات ، بعد شكيب أرسلان في لبنان وبعض المؤرخين مثل أمين سعيد في سوريا ، شخصيتان سياسيتان من الطراز الأول : هما المرحوم عبد الرحمن عزام والدكتور محمد صلاح الدين ، وزير خارجية مصر في حكومة الوفد (مع طه حسين كوزير للتربية) . وقد كان للمرحوم الدكتور طه حسين على الأقل تصريح واحد بأسبوع واحد قبل فاتح نوفمبر ، نورد منه فقرة أو فقرتين ، ولا نعتبره خارجاً عن موضوعنا هذا ، لأننا بصدد عرض ردود الفعل على أول نوفمبر ، حقاً ، ومن صميم

(242 bis) · R. Descartes : Discours de la méthode : "Le bon sens est la chose du monde la mieux partagée"...

(243) انظر ALGERIEN ، بالألمانية ، للمؤلف ، نشر مكتب جامعة الدول العربية في بون (ألمانيا الغربية) سنة 1957 م ؛ و « إنية وأصالة » 1975 ، و « أصالية أم انفصالية ؟ » ، (1980)، مطبعة البعث ، قسنطينة و « شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 » تحت الطبع .

ردود الفعل عدم ردود الفعل . ولذا نقدم هذه الخلفية هنا أيضاً بصدد العالم العربي والإسلامي ، لتفسير بعض موانع ، أو عوائق ، أو انعدام عوامل ردود الفعل .

وفضلا عن هذا فإنه ربما التصريح الوحيد من خارج عالم السياسة ، والصادر عن رجال الفكر والقلم في العالم العربي والإسلامي إذ ذاك عن الجزائر !

يقول المرحوم طه حسين إذن ، وهو وزير للتربية الوطنية :

« لن تتوقف مصر أبداً عن تأييد التونسيين والمغاربة في مطامحهم إلى الاستقلال . بل **وأكثر من هذا :** فمصر ستناصر **أيضاً الجزائريين** في مطمحهم إلى الاستقلال **وإن كانت فرنسا تدعي أن الجزائر جزء لا يتجزأ من أرضها** . وذلك أن مصر لا تعترف بقانون الغزو ولأن الجزائريين ليسوا فرنسيين إطلاقاً، مثلما أن الفرنسيين ليسوا جزائريين » (244) .

نعود إلى عزام وصلاح الدين لنقول إنهما كانا دائماً يسخطان على كل من يقول أو يصدق بتلك « الجزئية التي لا تتجزأ » ، وكانا يذكران الجزائر دوما ، بمناسبة وبدون مناسبة ، إن جاز التعبير . ونود أن نضيف شخصية ثالثة من قطاع آخر ، وإن كان في إطار محدود لا يتجاوز قاعة الدرس ، هو أستاذنا الفيلسوف الحي المرحوم الدكتور عثمان أمين . فرحم الله شكيبا وعزاما وطه وعثمان ، وأطال في عمر الدكتور محمد صلاح الدين ، إن كان لا يزال على قيد الحياة الجسمية ، وإن كان بعيداً عن الأجواء والساحات الرسمية . . .

أما عن الحياة الروحية فكم من عائش غير حي يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق ، شهيراً أو نكرة بين قطارات الجواميس

(244) - L'Algérie Libre, 22 octobre 1954.

والأنواق ، وهو أموت من جيفة في قاع واد ، وإن عد خطأ طودا من الأطواد ؛ أو في أعماق خندق أو سرداب ، لأنه لم يأخذ مـن القيم بالأهداب ، وحتى لو حمل أسفارا فكأي داب !

وكم هم الراقدون فوق التراب ، يمجهم المجتمع الحق كما تمج الطيور الغراب، بالأمس واليوم وغدا، لأنهم لا ينتظر منهم من ندى ، ولا لحياتهم ومماتهم من صدى ، ويعيشون لأنفسهم وكأن قد طواهم الردى !

هل نسينا فريد الأطرش في بساط ريحه ، أذهب الله ريحه كما يقول الفصيح في صريحه ، أو رحمه وغفـــر له الآن في ضريحه ؟ كان مر على الجزائر يوما مر اللئام ، وترك فينا إذ ذاك جرحاً ما له التئام ، ولم ير أنها كانت تستحق ذكراً ، أم هل الله لم يرزقه عقلا وفكراً ؟

وأمثال ظفر الله خان ــ وقد خان ! ــ كان يتحاشى ذكر اسم الجزائر عندما كان رئيساً للجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة، وهو يستعرض البلدان الشقيقة المجاورة التي كانت مثلنـــا إذ ذاك لا تزال تعاني الاستدمار الفرنسي ، ولم يطيب فاه بذكر اسم الجزائر مرة واحدة ! وعبد السلام أبو عزة الجزائري في لبنان يقول سنة 1953 : « لنعمل لاستقلال هذا البلد أو ذاك من البلدان الشقيقة . أما الجزائر فدورها سيأتي فيما بعد ، لأن وضعها القانوني صعب بسبب الجزئية التي لا تتجزأ، وقد يعرقل عرض قضيتها الآن قضايا أخرى أسهل . ولذا فالأفضل السكوت عنها **هـلا** ! » (245) .

لقد وجد كثير من المسئولين العرب نوعاً من تخدير الذات في الوعود المبهمة الغامضة التي ضلل بها منديس فرانس بعض

---

(245) اى الآن .

ممثليهم في هيئة الأمم ، وأخذوا يمرحـــون يميناً وشمــالا ، مظهرين تفاؤلهم من « عزم منديس فرانس عــلى حــل مشاكل بلدان المغرب » ، ومثبطين للعزائم .

وإننا لنجد صدى هذا التضليل في بعض المواقف التي نوردها فيما يلى :

فبكل إيجاز إذن ، وباستثناء بعض الصحف التي صادرتها الرقابة الاستدمارية في الجزائر (246) ، حسب ما وجدنا صداه في الصحف الفرنسية ، لم تكن هناك ردود فعل أولية علنية في العالم (247) العربي ، بناء على ما وجدناه من مصادر . ومــع ذلك نقول بجزم وحزم إنه لو كانت هناك ردود فعل علنية في العالم العربي ، والإسلامي عموماً ، بل وفيما سمى بعد بالعالم الثالث ، لوجدنا صداه في الصحافة الفرنسية ، التي تعلق على كل صغيرة وكبيرة تتصل بالجزائر في العالم ، وترد عليها ، كما هو الشأن بالنسبة لردود الفعل القليلة جداً التي نعرفها والتي نوردها فيما يأتي :

فالذي كنا نعرفه، أو توصلنا إليه ــ ولا ندعي الاستقصاء ــ ، والذي وجدناه ، واستنتجناه ، هو أنه ، باستثناء مصر ، التي كان فيها مكتب لجنة تحرير المغرب العربي ، الذي كان يجمــع الحركات التحررية الاستقلالية في المغارب الأربعة (إذ كانت فيه حتى ليبيا في الأول) ، والذي كان يرأسه المرحوم الأمــير

---

(246) مثل بعض الجرائد المشرقية وجريدة البلاغ « الدستورية » فى تونس ، حسبما ذكرته جريدة لومانيتى فى فرنسا ، ومجلة « الطالب الزيتونى » بسبب « تحريضها مواطنين فرنسيين (أى الجزائريين) على تعكير الأمن والنظام القائم فى الولايات الفرنسية الثلاث فى الجزائر » ، حسبما أوردته جريدة : لوموند الفرنسية . Le Monde, 30 novembre 1954.

(247) أما غير العلنية فلم يحن وقتها بعد ، إذ تحدد التقاليد والقوانين أجل ربع قرن على الاقل لنشرها ، وعلى من لديه شيء منها أن يسجله لينشر يوما ما ...

محمد (بضم الميم ، تمييزاً عن أخيه أمحمـــد ، بسكونها) بن عبد الكريم الخطابي ، والذي كان موجوداً منذ عهد فاروق، واستمر ثـم اتسع بعد ثـورة 23 يوليو 1952 ، ـ اقـول إذن : باستثناء مصر ، التي انطلق من إذاعتها نداء أول نوفمبر إلى العالم، وإن تعرضت حصتنا في « صوت العرب » للمد والجزر ... حسب الظروف ... فالبلدان العربية الأخرى لم تكن لها مـن بادرة علنية ، فيما توصل إلينا ، عدا مسعى من المجلس الوطني السوري ، ومحاولة من المجلس الوطني الأردني ، الذي اقترح فيه بعض النواب نفس الشيء ، ولكن البادرة خنقت في البرلمان نفســه ...

فقد كان التذبذب والتردد هما السمة الرئيسية لتلك الردود والمواقف في مجموع المشرق العربي ، عكس ما يدعيه البعض الآن . بل ان بعضهم ، فيما بعد ، ما كان يعطينا إلا الجزء مـن الأسلحة والمعدات التي كانت ترسل إلى جبهتنا عن طريقه ! بل وكان يعطينا حبوباً من فول وأرز وغيرهما عوضاً عن العملـة الصعبة التي كانت ترسل عن طريقه إلى جبهة التحرير من دول شقيقة وصديقة !

ولكن هذا يخرج عن إطار موضوعنا ، الذي هو « ردود الفعل الأولية ... داخلا وخارجاً » . ولو لم يكثر البعض من التبجح ، بل الادعاء ، كذباً وبهتاناً ، في الخطب الرسمية العلنية ، وعـن طريق أجهزة الإعلام ، لما أشرنا إلى هذا مجرد إشارة ، مقتصرين على الإشادة بما نلناه من الخير ، ضاربـين صفحا عن ضـده الغير ... في عالمنا القريب المغربي ، أو في عموم العالم الإسلامي العربي ، بل والشرقي والغربي وكل الأجنبي !

ولهذا فإننا نكتفي هنا بإيواد ردود الفعل القليلة هذه، متسلسلة تاريخيا . وقد حللنا دوافع هذه المواقـف ، وحاولنا تفسـير

السلوك الذي نبعت عنه ، في المقدمة التي وضعناها لها قبل البدء في عرضها مباشرة ، وهي في الواقع أبلغ من أي تحليل نحن في غنى عنه ، وهو زائد هنا ، وما كانت تلك الردود تحتاج إطلاقاً إلى تفسير ... إذ تفسر نفسها بنفسها ! ومع ذلك قدمنا لها ، وعقبنا عليها ، زيادة في الإيضاح بالنسبة للأجيال التي لم تعاصر تلك الأحداث،ولم تعصرها تلك الأحداث ، حتى يجدوا بـدء التفسير لتساؤلاتهم . ونرجو ملحين ــ وملحفين ! ــ أن يهتموا بها ، ويتساءلوا ، ويبحثوا عن الإجابات . كما نرجو أن يساهم كل من شارك في تلك الأحداث بطريقة أو أخرى ! وهذا هـو موضوع ملتقانا هذا الذي نتصور أن تتلوه ملتقيات ، ويصدر الكل في مجلدات ، وتدرس تلك الأحداث كمادة إجباريـة في جميع مراحل التربية والتعليم والتكوين ، وتعرض وتناقش في أجهزة الإعلام على مدار السنين ، حتى تصبح جزء من المكتسبات الذهنية والمواد الغذائية الروحية والسياسية ، وحتى لا يظـن ظان من الأجيال الحاضرة والقادمة أن الأمر كان من السهولـة بمكان ، وحتى لا ننسى ، والتاريخ لا ينسى لمن ينسى !

على أننا هنا بصدد ردود الفعل الأولية ، ولا نقصد المواقف فيما بعد،التي نعرف الكثير عنها ، والتي لا يمكن إبراز بعض جوانبها ، إيجابية أو سلبية ، قبل مضى ردح آخر من الزمن . وإن كان من نافلة القول ، طبعا ، أن نؤكد هنا أهمية الدعم الذي تلقته جبهتنا ، بعد انطلاقها بمدة ، مع مرور الزمن ، على امتداد السنوات السبع والنصف الكامل . إلا أنه ليس مـن النزاهة التاريخية ألا نقول إن ذلك العون لم يكن منذ البدء هو العون الشامل ، بل وما أبعدنـه ــ كما يقـول جـار اللـه الزمخشري ــ عن الشمول والكمال ! والشكر للجميع ، والكمال للـه !

الجامعـــة العربيـــة :

إن مّا سبق أن قلناه عن الدول العربية والإسلامية وعن دول كبرى من التذبذب والتردد في الأول ينطبق أيضاً على جامعـة الدول العربية ، كما سنرى .

ولم يتبلور موقفها إلا بعد مدة . وهنا نود أن نقول أن لو كان هناك أمينها الأول ، المرحوم عبد الرحمن عزام ، لكان الأمـر غير ذلك منذ اللحظة الأولى ، ولما احتاجت إلى وقت معلوم لتتخذ القرار اللازم (يوم 29 مارس 1956 !) .

ولكنها ، على كل ، تطورت فيما بعـد ، وتداركت التـأخر الذي طبع موقفها الأولى ، وقامت بدور كبير ، كما حركت الدول العربية المشرقية (سوريا ، العراق ، الأردن ، لبنان ، فلسطين ، وليبيا) (248) ، وتحركت فعلا في شكل مساع دبلوماسية منسقة، ومظاهرات شاملة صاخبة ، وبوادر شعبية منظمة ، وذلك ابتداء من ربيع 1956 (بعد اعتراف فرنسـا باستقـلال المغـرب وتونس) (249) ، مما يخرج بنا عن دائرة الموضوع المحدد الذى نحن بصدده .

ويكفي هنا أن نورد ـ ومن المهم أن نورد ! ـ نص ترجمـة البلاغ الذي أصدرته الجامعة ، حسبما جاء في جريدة لوموند الفرنسية ، وهو كاف عن كل تعليق ، وفي بلاغته كل الدلالة عن ردود فعلها **الأولية :**

« مجلس الجامعة العربية يعـد الشعب الجزائري الأعـزل الضعيف بتأييده المطلق وبدون تحفظ :

---

(248) - Le Monde, 31 mars 1956.
(249) - Le Monde, 03 avril, 05 avril, 08 mai, 09 mai, 10 mai 1956.

« اتخــذ مجلس جامعــة الدول العربية فى اجتماعه المنعقد يوم 29 مارس (1956) في القاهرة بالإجماع القرار التالى :

« لقد قررت جامعة الدول العربية أن تؤيد تأييــداً كامــلا وبدون تحفظ الشعب الجزائري في كفاحه من أجل استرجــاع الاستقلال .

« وستقدم جميع البلدان العربية الأعضاء مساندتها للشعب الجزائري الأعزل الضعيف ، بجميع الوسائل التي في إمكانها ، لمواجهة حرب قاسية شنت عليه بدون أي مبرر .

« وفي الوقت نفسه يندد مجلس الجامعة بالفظائع الفرنسية فى الجزائر .

« وقد سنحت الفرصة لفرنسا ، أثناء الدورة العاشرة لمجلس الأمن ، لإرضاء الشعب الجزائري بقبول تسجيــل القضيــة الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة، وهو القرار الذي صوتت عليه بالإجماع سائر البلدان الإفريقية والأسيوية . ولكن فرنسا امتنعت عن ذلك .

« وأخيراً ، تندد جامعة الدول العربية باستعمــال فرنســا قوات الحلف الأطلسى في حربها ضد الشعب الجزائــري ، تلك القوات التابعة لمنظمــة تقــول عــن نفسها إنها دفاعيــة فقــط » (250).

ولنعد الآن إلى البدء ، لنعرض بعض ردود الفعل الأوليــة لجامعة الدول العربية وبعض الدول العربيــة نفسها ، منــذ الانطلاقة الأولى ، قبل أن نصل إلى هذا التطور الذي حدث في ربيع 1956 :

---

(250) - Le Monde, 31 mars 1956.

« الجامعة العربية تتبنى مسئولية الاضطرابات في الجزائر ومندوب العراق ينفيها » :

« صرح في اليوم الثاني من نوفمبر السيد فاضل الجمالى . مندوب العراق في هيئة الأمم المتحدة ، أن المزاعم القائلة بمساعدة البلدان العربية على إثارة القلاقل في الجزائر لحمل المنظمة الدولية على العناية بالجزائر لا أساس لها من الصحة إطلاقاً .

« والدليل على ذلك هو أني رفضت فكرة عرض شؤون الجزائر على الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة عندما طرق هذا الموضوع في اجتماع ممثلى الدول العربية في بداية الدورة للجمعية العمومية لمنظمة الأمم المتحدة » (251) .

وتعلق الجريدة على الخبر :

« ولكن ، بعكس هذا التصريح ، نجد أن السيد أحمد الشقيري ، الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية ، يصرح :

« إن الجامعة العربية لا تنسب لنفسها وحدها شرف مناصرة الحركة التي انطلقت في الجزائر كما تناصرها في تونس والمغرب».

وتعود الجريدة إلى تعليقها فتقول :

« على أن الشقيري وصف « المزاعم » القائلة بأن أحداث الجزائر قد اندلعت لتبرير تدخل من هيئة الأمم المتحدة في الجزائر بأنها غير صحيحة » .

---

(251) - Le Figaro, 04 novembre 1954.

على أنه (الدكتور فاضل الجمالى) سيكون فيما بعد من أصدق المدافعين عن الجزائر ، مثل المرحوم أحمد الشقيرى ، وفريد زين الدين . والدكتور المهدى ابن عبود ، والمرحوم المنجى سليم .

وقد كان دور « صوت العرب » مثار خلاف شديد بين مصر وفرنسا ، التي ظللت تدعي أن « أبناءها » الجزائريين كانوا في « هدوء » تام ، يولون « الأم » الرؤوم حباً جماً ، « حتى أثارهم » صوت العرب ، « واستفزهم ، ورافقته في ذلك بودابيست ! » .

وبقي هناك مد وجزر في استعمال جبهة التحرير لـ « صوت العرب » لتأرجح موقف مصر ، فأحيانا تستجيب لطلب فرنسا ، وترضخ لتهديداتها واحتجاجاتها ، أو لوعودها بإرضاء مختلف حاجاتها ، وأحيانا تتشجع وتتجاسر على التصامم ، وتضرب صفحا عن الوعد والوعيد .

كتبت الفيغارو تحت عنوان : « مصر لا تأخذ بالاعتبار الاحتجاج الفرنسي » ما يلي :

« تؤكد الأوساط المطلعة أن الانطباع العام في مصر هو أن الحكومة المصرية لن تأخذ بالاعتبار احتجاج فرنسا ضد « صوت العرب » ، حتى لو أدى هذا إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

« وتأسف هذه الأوساط على أن شعوب المغرب قد اضطرت إلى حمل السلاح ، وتؤكد رغبتها في أن ترى فرنسا تستجيب لمطامح بلدان المغرب » .

وتضيف :

« إن العقيد عبد الناصر مقدر لأهمية مساهمة فرنسا في جهود حكومته لتحقيق الاستقرار الاقتصادي للبلاد . ولكن الوطنيين في بلدان المغرب يتجهون إلى مصر كزعيمة الجامعة العربية ، وأن مصر لا يمكنها أن ترفض مطالبهم » (252) .

---

(252) - Le Figaro 08 novembre 1954.

« الحكومات العربية تحاول تبرير موقفها من قضايا بلدان المغرب » :

وكتبت لوموند تحت العنوان أعلاه :

« إن للحكومات العربية موقفاً جديداً : فبعد الحماس في التأييد أصبحت الآن أمام الإنذارات الشديدة اللهجة من باريس وردود الفعل من الرأي العام الفرنسي نفسه تفكر في الأمر ، وتقدر مسئولياتها .

« وإذا كانت الحكومة المصرية تؤكد أن تأييدها للشعوب المكافحة من أجل حريتها مسألة مبدئية ، فقد أخذت تنظم أمورها أحسن ، وتخفف من لهجتها .

« ونفس الشيء بالنسبة للحكومات العربية الأخرى .

« وإذا كانت إذاعة « صوت العرب » لا تزال تشن حملاتها المسعورة على السلطات الفرنسية ، فإن الهستيريا التي كانت طابعها في البدء قد خفت قليلا . كما حاول العقيد عبد الناصر أن يبرر موقفه هذا في حديث إذاعي قال فيه :

« إن خطورة الأحداث في بلدان المغرب دليل على صعوبة وضع الأمبراطورية الفرنسية .

« وفيما يخصنا ، فإن كل ما يمس أية أمة عربية (à une nation arabe) تحس به جميع البلدان العربية الأخرى .

« ولهذا فلا يمكنها أن تبقى غير مكترثة تجاه الأحداث الجارية في شمال أفريقيا » (253) .

---

(253) - Le Monde, 12 novembre 1954.

وفي سوريا « أوصت لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان بإرسال برقيتين ، إحداهما إلى باريس للاحتجاج على « الاضطهاد الذي شنته فرنسا في الجزائر ، وأخرى إلى الوطنيين الجزائريين .

« وهذه التوصية قد اتخذت بعد نقاش في البرلمان حيث طالب نواب بمقاطعة فرنسا سياسياً واقتصادياً » (254) .

رد فعل أحمد الشقيري :

« رغم أنف الشقيري : لن تعرض الدول العربية قضية الجزائر على هيئة الأمم المتحدة » !

تحت العنوان أعلاه كتبت لوموند :

« كان الشقيري ، الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية ، ورئيس وفد سوريا إلى هيئة الأمم المتحدة ، صرح قائلا :

« إن الجامعة العربية ستؤيد الحركة الحالية للتحرير في الجزائر . فالجزائريون لهم الحق في أن يحكموا أنفسهم ، وفي وقت فيه هيئة الأمم فمن غير المقبول أن تدعي فرنسا أن الجزائر فرنسية .

« إن الوضع في الجزائر قضية دولية . والاضطرابات الراهنة ستتواصل غالباً ، وستزداد خطورة ، إلا إذا راجعت فرنسا سياستها الرجعية ، وعالجت قضية الجزائر بصورة مطابقة لمبادىء وأهداف هيئة الأمم المتحدة » (255) .

وتعلق لوموند على هذا التصريح للشقيري ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجازاه عن جهاده (256) :

---

(254) - Le Monde, 12 novembre 1954.

(255) - Le Monde, 13-14 novembre 1954.

(256) في الواقع كان معه آخرون ، مثل الدكتور المهدى بن عبود ، والمرحوم منجي سليم ، وفريد زين الدين ، والدكتور فاضل الجمالي ، ولكن الشقيرى كان اشدهم ، وأثبتهم ، وادومهم ، ولهذا ايضا كان إذ ذاك أكثرهم تعرضا لحقد وهجوم وتهكمات الصحافة الفرنسية الاستدمارية .

« وفي الأوساط العربية قيل لنا إن الشقيري لا يمثل الدول العربية ، وأن هذه لا تنوي حالياً عرض قضية الجزائر في هيئة الأمم المتحدة » .

ونفس الخبر نشرته « الجزائر الجمهورية » بالصورة التالية، المختلفة قليلا والمميزة للمرحوم الشقيري عن غيره ، رحمه الله مرة أخرى رحمة واسعة يستحقها :

« في بيان للصحافة صرح أحمد الشقيري ، الأمين العام المساعد للجامعة العربية ورئيس وفد سوريا إلى هيئة الأمم المتحدة ، بما يلي :

« إن الجزائر بلاد عربية ولا تتمتع بذاتيتها .

« وإن الجزائريين لهم الحق في حكم أنفسهم بأنفسهم . وفي عصر هيئة الأمم المتحدة ، هذا الذي نحن فيه ، فمن غير المقبول بتاتاً أن تدعي فرنسا أن الجزائر فرنسية » .

«ولكن في الاوساط العربية لدى المنظمة الدولية يصرح البعض بأن بيان السيد الشقيري لا يلزم البلاد العربية الأخرى ، التي ليس في نيتها الآن أن تعرض قضية الجزائر على هيئة الأمم المتحدة » (257) .

وكانت الصحف الفرنسية تحاول إبراز أي إخراج للجزائر من دائرة الاهتمامات العربية ، في الوقت الذي تنظر فيه إلى أدنى تأييد للجزائر بمنظار مكبر لتحتج الاحتجاج الصارخ ، وللتهديد والوعيد .

وهكذا نشرت الصحف الفرنسية في الأسبوع الثالث من نوفمبر خبر تحدث سفير سوريا في واشنطن باسم جميع زملائه

(257) - Alger Républicain, 14-15 novembre 1954.

السفراء العرب الثمانية مع وزير الخارجية الأمريكي إذ ذاك ، جون فوستر دالاس، وأبرزت تصريح السفير، فريد زين الدين، أنه تحدث مع الوزير الأمريكي في « شؤون تونس والمغرب »... أي لا عن الجزائر ! (258) ، لأن حرص فرنسا كان منصباً ، كما قلنا ، كله على الجزائر . فلئن كانت تظهر التنازل في المغرب وتونس ، لا شك بنية استرجاع ما تكون قد تنازلت عنه مؤقتاً تحت ضغط « الأحداث » في الجزائر ، بعد التغلب على هذه الأحداث ... فبخصوص الجزائر ، التي كانت فرنسا حريصة على فصلها عن تونس والمغرب ، قد كانت حساسة جداً، ولا تقبل بأي « مساس » ! ولهذا نجدها تحاول إبراز أدنى تمييز بين الجزائر وشقيقتيها تونس والمغرب ، كلما أمكنها ذلك .

موقف الوفود المغاربية في القاهرة :

ووجهت الوفود المغاربية ، عن تونس ، والمغرب ، مع الجزائر ، في القاهرة مذكرة إلى وزارة خارجية مصر ، وسفير الولايات المتحدة الأمريكية في القاهرة ، تحذرهما من مغبة إلحاق الجزائر بمنظمة ميثاق الحلف الأطلسي بدعوى تلك الجزئية التي لا تتجزأ من فرنسا ، مما يسمح لهذه الأخيرة بإقحام المنظمة كلها وأعضائها في حربها الاستدمارية في الجزائر (259) .

منديس فرانس وصوت العرب :

وأعادت فرنسا موضوع « صوت العرب » إلى بساط البحث للاحتجاج ، والضغط ، والتهديد ، والوعد ، والوعيد ... كأنها بإسكاته ستوقف الكفاح التحريري الجزائري !

---

(258) - Le Monde, 19 novembre 1954.
(259) - Le Monde, 25 novembre 1954.

« وهكذا استقبل منديس فرانس ، رئيس الحكومة الفرنسية إذ ذاك، سفير مصر في باريس،محمود فلكي، مدة ساعتين، لأهمية الموضوع ، وخاصة بعد عودة العقيد ثروت عكاشة ، الملحق العسكري المصري في باريس، والمبعوث الخاص للعقيد عبد الناصر إلى فرنسا بهذه المناسبة ، الذي رجع إلى باريس من القاهرة حاملا رسالة من القائد المصري ...

« وأكد العقيد عكاشة أن العقيد عبد الناصر قد أصدر أوامره إلى إذاعة القاهرة « صوت العرب » بالتخفيف من حملتها المعادية للسياسة الفرنسية في شمال افريقيا » (260) .

مناورات منديس فرانس في أمريكا مع شارل مالك، سفير لبنان :

« اجتمع سفراء الدول العربية الثمانية في واشنطن تحت رئاسة شارل مالك ، سفير لبنان ، الذي أطلعهم على فحوى حديثه مع منديس فرانس ، رئيس الحكومة الفرنسية ، بمناسبة زيارته إلى أمريكا .

« وقد بلغنا أن انطباعات شارل مالك بعد مقابلته مع منديس فرانس كانت طيبة للغاية ، وأنه أعجب كثيراً بالعرض الذي قدمه رئيس الحكومة الفرنسي عن سياسة فرنسا في شمال افريقيا » (261) .

« شارل مالك يطلع السفراء العرب في واشنطن » :

« عقد السفراء العرب يوم الخميس مساء بواشنطن اجتماعاً تحت رئاسة شارل مالك ، سفير لبنان ، الذي أطلعهم على محتوى مقابلته مع منديس فرانس . **وتقول بعض الأوساط العربية ،**

(260) - Le Monde, 28-29 novembre 1954.
(261) - Le Monde, 28-29 novembre 1954.

بعد هذا الاجتماع ، إن شارل مالك خرج بانطباع حسن جداً من المقابلة مع منديس فرانس ، الذي قدم له عرضاً عن السياسة الفرنسية في الشمال الافريقي »(262). **وسفير لبنان في باريس :** يدلي ، **هو الآخر** ، أيضا بدلوه في المديح لسياسة منديس فرانس وتخدير العرب !

« صرح سفير لبنان في باريس ، أحمد الداعوق ، أن منديس فرانس ، رئيس حكومة فرنسا ، عازم على حل **جميع قضايا بلدان المغرب** ، رغم المعارضة الداخلية التي يجابهها » (263) .

« **ووزير خارجية أمريكا** ، جون فوستر دالاس ، يخبر سفير سوريا في أمريكا ، فريد زين الدين ، أنه خرج بنفس الانطباع الحسن من حديثه مع منديس فرانس » (264) .

« الجامعة العربية لا تستجيب لطلب الجزائر » (265) :

« وجه السيد محمد خيضر ، رئيس الوفد الوطني الجزائري في مصر ، برقية إلى السيد عبد الخالق حسونة ، أمين عام جامعة الدول العربية ، يعلمه فيها بـ : « أن الفرنسيين قد شنوا حملة إبادة في الجزائر » ، ويطلب اجتماعا عاجلا للجامعة العربية بقصد اتخاذ التدابير الحاسمة اللازمة » .

« **ورغم هذا النداء الملح** ، فقد اكتفت اللجنة السياسية للجامعة العربية في اجتماعها بالأمس غرة ديسمبر باستعراض عادي للقضايا العربية ، ومنها قضايا بلدان المغرب ، ريثما تستمع في وقت لاحق لممثلي هذه البلدان » (266) .

---

(262) - Alger-Républicain, 28-29 novembre 1954.
(263) - Le Monde, 02 décembre 1954.
(264) - a) Alger-Républicain, 28-29 novembre 1954.
b) Le Monde, 28-29 novembre 1954.
(265) - Le Monde, 02 décembre 1954.
(266) - Le Monde, 02 décembre 1954.

« السعودية تقوم بعرض قضية الجزائر في الأمم المتحدة » :

« صرح موسى شهبندر ، وزير خارجية العراق ، إثر اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، أن المملكة العربية السعودية تكلفت بعرض قضية الجزائر في هيئة الأمم المتحدة » (267)

« الجامعة العربية ترفض عرض قضية الجزائر في هيئة الأمم » :

« رفض مجلس جامعة الدول العربية في جلسته الختامية ، يوم 13 ديسمبر 1954 ، تحت رئاسة ألفريد النقاش ، وزير خارجية لبنان ، المصادقة على اقتراح اللجنة السياسية للجامعة العربية بعرض السعودية قضية الجزائر في هيئة الأمم المتحدة » .
وتعلق جريدة لوموند فتقول :

« ويبدو أن هذا القرار قد اتخذ باقتراح من الوفود العربية في هيئة الأمم المتحدة ، لأنها ترى أنها غير مستعدة بكفاية لعرض قضية الجزائر ومناقشتها » (268) .

وتعليق مخربش هذه السطور :

شارل مالك في أمريكا ، وألفريد النقاش في القاهرة ، وإن شئت أضفت إليهما مواطنهما ... أحمد الداعوق ، في باريس ... وقد استحق الإضافة عن جدارة ! والسلسلة مستكملة الحلقات والتنسيق محكم !

ومع ذلك : «ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين» !
صدق الله العظيم !

---

(267) - Alger-Républicain 08 décembre 1954.
(268) - Le Monde, 14 décembre 1954.

هذه بعض ردود الفعل الأولية والعلنية المباشرة في العالم العربي على فاتح نوفمبر . وكانت هناك ردود فعل أخرى من نوع ثان ، هي أيضا أولية ، ولكنها سرية ، تتصل بالمناصرة الفعلية ... بالمال والسلاح ، بناء على وعود سابقة ... « فيما إذا تحركت الجزائر » ...

ولا تختلف هذه الردود الأولية السرية عن الردود الدبلوماسية العلنية في ترددها وتذبذبها ... ولكن ربما لم يحن وقت الإبانة عنها بعد ، نظرا لدقتها ، وحساسيتها .

ثم إننا نترك مهمة الكشف عنها لمن باشروها من جهتنا ، علهم يزيحون عنها الستار يوما قريباً إن شاء الله ، قبل أن يفوت الوقت ، من باب التأريخ لما أهمله التاريخ ... وما كان ينبغي أن يهمله ، خاصة أن أغلب من « عالجوا » تلك « الأمور » من جهة أشقائنا لم يعودوا في الحياة ، أو لم يعودوا في الجهاز ، وأن الكثير ممن عانوها من جهتنا في نفس أحد الوضعين ، ولذا فالرجاء : السرعة ثم السرعة ! (269) .

كما أن هناك ردود الفعل من نوع ثالث ، ولو لم تكن كلها من باب ردود الفعل الأولية ، ولكنها كانت ، على كل ، ضمن ردود الفعل ، وهي غير المباشرة ، ولا تقل بلاغة ودلالة عن الأولى ، ثم إنها ، خلافاً للأولى ، إيجابية تماماً ، لأن أهلها استغلوا

---

(269) وفيما قاله الأخضر بن طوبال في هذه القاعة منذ يومين عن موقف إحدى الدول الكبرى الصديقة منا إذ ذاك ... لأكثر من مستند لإلحاحي هذا على ضرورة التعجيل بتسجيل ما لم نسجل في هذا الباب وتأريخ ما أهمله التاريخ ، قبل فوات الوقت ، وقد فات الكثير بعد ، إذ كم من مسئول من قادة كفاحنا إذ ذاك قد اختفى الآن ، واختفت معه المصادر الحية ، ولم يترك لنا أرشيفات مكتوبة !

ينبغي تسجيل كل هذا للتاريخ ، للحقيقة ، وللأجيال ، ثم لوضع الأمور في نصابها : لا لمحاسبة من لم يساعدونا . ولكن لإسكات كل متبجح وقح !

استغلالا طيباً أول نوفمبر ليضغطوا على فرنسا ، ويسترجعوا حقوقهم منها ، بالنسبة للبعض ، أو لأن فرنسا سلمت في ذلك من تلقاء نفسها ، ودون طلب ملح ، بالنسبة للبعض الآخر ، **وقد عاد هذا ، بالنسبة للنوع الأول ، بالفائدة مرتين على الجزائر ، وهما :**

1 ـ أن هذه البلدان الشقيقة استفادت من نضال الجزائر ، وهذا يسر الجزائر ، طبعا .

2 ـ ثم إن تلك الاستفادة عادت بالخير على الجزائر مباشرة فى كفاحها ، أي أننا استفدنا من استفادة إخواننا منا .

فلا نظن أننا نبيح أسراراً ، أو نتجنى على الحقيقة التاريخية، إذا ما ذكّرنا هنا بأن كلا من فرنسا والبلدان المغربية الثلاثة الشقيقة ، ليبيا ، وتونس ، والمغرب ، بل وافريقيا «الفرنسية» كلها ، قد أخذت فاتح نوفمبر بالاعتبار .

ففرنسا ببدء التخفيف من قبضتها ـ على الأقل على مستوى الوعود ـ لطمأنة هذه البلدان ، أو محاولة تخديرها ، حتى تتفرغ هي ، فرنسا ، للجزائر كلية .

أما البلدان الشقيقة المذكورة ، فباستغلال هذا الظرف العصيب الذي تمر به فرنسا في الجزائر ، جوهرة «ممتلكاتها» ، و « عاصمتها الثانية » ، أو : « لحمها ودمها وعظمها » ، كما قال إدغار فور ، لانتزاع أكثر ما تستطيع انتزاعه واسترجاعه منها، وعدم إضاعة هذه الفرصة،إذ كانت نوايا الاستدمار الفرنسى الصريحة المعلن عنها والمستنتجة : ترك الأمور على ما كانت عليه فى المنطقة كلها ، مع تغييرات شكلية طفيفة في تونس والمغرب. فقد كان كل المشكل بالنسبة لفرنسا : كيف تخدر إخواننا التونسيين والمغاربة ، لتمنع تضامنهم مع الجزائر ، ولتتفرغ

للجزائريين ، لتقصم ظهرهم ، ثم تعود ، فيما بعد ، على الكل « بما يستحقونه » ، وتكون قد احتفظت لنفسها في تونس والمغرب بكل امتيازات وأوتاد السيادة ، بفضل ذلك « الاستقلال الداخلي » في تونس ، وذلك « الاستقلال المتداخل » ، أو المترابط » ، في المغرب ، وكأن لم يتغير من الأمر شيء ، لتستأنف السيطرة المباشرة على الكل ، لأمد يعلم الله كم كان سيدوم ، لولا أن الله قد قدر غير ذلك في علمه الأزلي ، ووفق قادة البلدان الشقيقة إلى اليقظة ، والوعي ، والحذر ، والاحتياط ، والعمل، وأرشد شعوبها إلى الالتفاف ، والتكاتف ، والتضامن حول قادتها ، وفيما بينها جميعا ، حتى حققت كلها الهدف المشترك.

وسنحاول تبيان ذلك بذكر بعض أمثلة فقط :

1 ـ **فليبيا** مثلا قد استطاعت أن تلح وتعجل بإخراج فرنسا من الفزان ، وتستكمل استقلالها ، بفضل انشغال فرنسا في الجزائر ، وتركيزها جهودها كلها عليها، واضطرارها إلى محاولة كسب أصدقاء ، أو على الأقل عدم توسيع الجبهة على نفسها . وهكذا استردت ليبيا الشقيقة فزانها ، ووجدت فيه الجزائر خزانها ، واستكملت ليبيا بذلك استقلالها ، ومنعت عن فرنسا استحلالها ، وأنهت بذلك عنها استغلالها . واحتفلت بكل ذلك وقاسمناها أفراحها ، وشاركت أرواحنا أرواحها ، وكانت فرحتنا فرحتين ، إذ كانت الغلة طرحتين ، فأولا لليبيا العزيزة الشقيقة ، التي عادت بذلك إلى الحقيقة ، واحتفلت بالعودة احتفال العقيقة ، ثانياً للجزائر التي استعملت المنفذ طريقاً ، تدخل منه ما تشعل به حريقاً ، أسلحة فتاكة تكسب بريقاً ، أصبح الاستدمار بها غريقاً ، وواصل شعبنا بها تاريخاً عريقاً (270) .

(270) إذ كانت منطقة الفزان تمثل رئة كنا نتنفس بها ، فمنها يتسرب السلاح والعتاد إلى جنوب الجزائر وشرقها ووسطها ...

وها هو تتابع الأحداث فيها بإيجاز :

لقد بدأت المفاوضات بين ليبيا وفرنسا منذ غداة إنشاء المملكة الليبية يوم 24 ديسمبر 1951 ، كما لاحظت ذلك الجريدة الفرنسية « لوموند » (271) ، بناء على مطالبة ليبيا بالجلاء عن الفزان .

ولكن فرنسا ظلت تماطل ، وتسوف ، وتؤجل ، وتتباطأ ، وتتلكأ ، وتراوغ ، وتجر المفاوضات طوال ما يقرب من أربع سنوات ، ولم تقبل الجلوس حول مائدة التوقيع إلا يوم 10 أوت 1955 ، حيث تم التوقيع فعلا ، وانتهى الأمر .

ولولا فاتح نوفمبر لمضت فرنسا في مماطلتها ، وجر ذيولها كبراً ، واختيالا ، وغطرسة ، ولاستمرت الأحوال على ذلك المنوال، بدليل ما ذكرناه من سوابق ، وما تبعها من طوابق ، حيث لم يصادق برلمانها على هذه المعاهدة إلا يوم 22 نوفمبر 1956 ! (272) .

وما على من يود أن يجد صدى وقع تلك المعاهدة على فرنسا إلا أن يراجع الصحافة الفرنسية ، وخاصة لوموند والجريدة الرسمية ، ليجد كل تلك المرارة معبراً عنها بأقذع العبارات ضد ليبيا و « من شجعوها على ذلك » ! فلولا ضغط فاتح نوفمبر، لما برح الفزان دجنبر ! (273) .

(271) - Le Monde, 12 août 1955.

(272) - Le Journal Officiel (français), décembre 1956.

(273) وأما أهمية الفزان في نظر فرنسا فهي تتناسب مع أهميته للجزائر تناسبا عكسياً ، ولم يعبر عنها الجنرال ديغول إلا جزئياً وبطريقة غير مباشرة إذ كتب في مذكراته عن الحرب العالمية الثانية يقول إنه كان :

« حريصاً كل الحرص على الاستيلاء على الفزان ، وفرحاً فيما بعد كل الفرح بالسيطرة عليه ، لأنه يضع بين أيدينا ضمانة ورهينة لتسوية مصير ليبيا فيما بعد ... »

ولم يقل لنا في أي اتجاه ستكون هذه التسوية ... والقصد واضح ! راجع :
Charles de Gaulle : Mémoires de Guerre - L'Appel, p. 250.

2 ـ **تونس** : لقد عرفت كيف تستغل الظروف بعد فاتح نوفمبر :

أولا : لانتزاع وفاء فرنسا بوعدها بخصوص الاستقلال الداخلي .

ثانيا : لإحراق المراحل والتعجيل باسترجاع الاستقلال التام.

وأحسن دليل على ذلك هي المعطيات الآتية :

أ ـ أنه إذا كان تصريح منديس فرانس أمام الباي في قصر قرطاج بـ « منح » تونس استقلالها الداخلي كان يوم 31 يوليو 1954 ، فإن المفاوضات لم تبدأ إلا في 4 سبتمبر ، بمعدل اجتماع واحد في الأسبوع في باريس ، بعد افتتاحها في تونس !

ب ـ وأن مماطلات ، وتسويفات ، وتأجيلات ، كانت طابع هذه المفاوضات التي كان التباطؤ ميزتها ، بل وصاحبها اضطهاد ، واعتقالات ، ومصفحات ، وشن غارات جوية ، وعمليات عسكرية بمعنى الكلمة ، وحملات قمع بوليسية .

جـ ـ وأن منديس فرانس نفسه ، صاحب « الوعد » والتصريح، أجاب عن تساؤل أحزاب وصحافيين، «**أن الاستقلال الداخلي لتونس والمغرب سيكون مقيداً بضمانات أكيدة تخص « الاحتفاظ لفرنسا بجميع امتيازاتها واختصاصاتها في هذين البلدين** » (273 م) .

وفي هذا ما فيه من تهديد صارخ ... بترك الأمور تقريباً على ما كانت عليه ، إلا بعض الشكليات ... وكمثل واحد على هذا : الاحتفاظ بالشرطة ، حتى إن الرئيس الحبيب بورقيبة صرح إذ ذاك :

(273 bis) - Le Monde, 19 novembre 1954.

« كيف تريدون مني أن احفظ الأمن إذا ما احتفظتم أنتم لأنفسكم بالشرطة ؟ » .

د ــ وأن هذه الظروف قد اضطرت إخواننا في تونس إلى عقد المجلس الوطني للحزب الحر الدستوري التونسى لاتخاذ خطة حازمة لمجابهة الموقف الجديد .

ر ــ وقد استعمل لهجة حادة عبر عنها محمد المصمودي ، وزير الدولة والعضو في الوفد المفاوض ، إذ صرح في باريس بعد عودته من تونس إثر الاجتماع المذكور :

« إذا لم يسو الوضع فإني اخاف أن يبقى الفلاقة (المجاهدون) في الجبال وينضم إليهم غيرهم » ! (274) .

فالتهديد هنا أيضاً واضح ، وهو رد على تهديد ، أو تهديد مضاد ، كما يقال اليوم ، وقد كان ضرورياً ومفيداً جداً !

ز ــ كما أكد هذا التهديد بطريقة أوضح الرئيس بورقيبة نفسه ، إذ صرح لنيويورك تايمس في نفس الظرف بما يلى :

« إذا تمادت فرنسا في تشددها في قضية الفلاقة ، فإنها ستحول شمال أفريقيا كله إلى فييتنام جديد » (275) .

وذلك أن فرنسا كانت تشترط نزع السلاح من المجاهدين التونسيين (الفلاقة) قبل أن يشرع في الكلام عن « الاستقلال الداخلى » ، أي أن تضع الحرب أوزارها ، ثم ينظر ... فيما بعد ... في شكل وصورة المقابل ... الذي هو الاستقلال الداخلى ... كيف سيكون ... ومتى سيكون ... بل هل سيكون ؟ ولذا فقد كان من حق ، بل من واجب الإخوان

(274) - Le Monde, 19 novembre 1954.
(275) - New-Yor': Times in le Monde, 19 novembre 1954.

التونسيين أن يكونوا حذرين ، محتاطين ! سياسة المراحل ؟ ... نعم ، ولكن مع الحذر ، والاحتياط ، وانتهاز الفرص ، وبكل **سرعة ، وحزم** ، وجزم !

س ـ كما كان هناك خلاف بين الوطنيين التونسيين والمستدمرين الفرنسيين حول نهاية المطاف ، مما يدل على سوء **نوايا الاستدمار** :

فالتونسيون ، وإن قنعوا في ذلك الوقت ، حسب التكتيك المعروف وسياسة المراحل المعلن عنها ، بالاستقلال الداخلى ، إلا أنهم كانوا يصرحون في الوقت نفسه بأن الهدف ، طبعاً ، على الأمد المتوسط ، أو البعيد نسبياً ، هو الاستقلال ، وإن كان مع « الترابط » :

« إني لا اتصور الاستقلال فيما بعد إلا بالاشتراك (نوع من الترابط العضوي) مع فرنسا » ، حسبما صرح به الحبيب بورقيبة إذ ذاك ، في حديث له مع صديقه جون روس ، مدير جريدة فران تيرور (276) ، كما صرح للجريدة الأمريكية **نيويورك تايمس** :

« إن الاستقلال التام هو الهدف التالى للاستقلال الداخلى الذي نتفاوض حالياً بشأنه » (277)، بينما المستدمرون الفرنسيون ، على لسان مسئوليهم ، كما رأيناه منذ حين من تصريح رئيس حكومتهم ، منديس فرانس، وفي صحافتهم ، وتصريحات أحزاب لهم ، يقولون بصراحة إن الأمر يقف عند بعض الشكليات المتمثلة في الاستقلال الداخلى ، الذي لن يكون من اختصاصاته حتى الأمن الداخلى، الذي ينبغى أن يبقى من اختصاصات

(276) - Franc-Tireur in le Monde, 19 novembre 1954.
(277) - New-York Times in le Monde, 19 novembre 1954.

السلطات الفرنسية ، فضلا عن الدفاع الوطني ، والشؤون الخارجية ، وسك العملة ، وغير ذلك من مميزات السيادة !

ثم « إن الاستقلال الداخلي ينبغي أن يكون هو الهدف ، لا مرحلة لهدف » ، كما يتضح ذلك من تصريح الحزب الديغولي (ex : R.P.F.) ، ويجب أن يوافقوا (أي التونسيون) على نقطتين :

أ ـ نزع سلاح الفلاقة .

ب ـ وكون الاستقلال الداخلي هدفا (but) لا مرحلة (étape).

« فبهذا فقط سيكون للمفاوضات الجارية معنى وإلا فلا(278)»

وإذا كان التصريح المشترك التونسي الفرنسي بالنداء إلى « الفلاقة » لوضع السلاح والالتحاق بديارهم ، كشرط « للاستقلال الداخلي » ، لم يوقع إلا في 23 نوفمبر 1954 » (279)، بعد مماطلات ، وتسويفات ، وتلكؤات ، وتأجيلات ، وترددات الفرنسيين ، على أمل تحطيم أول نوفمبر ثم التنكر لتصريح منديس فرانس بمنح تونس استقلالها الداخلي ، أو على الأقل التنكر لما يتضمنه من جوانب إيجابية لتونس ، حسبما صرح به منديس فرانس نفسه ، كما ذكرناه آنفاً ، فإننا نجد أنه حتى هذه الاتفاقيات ، على ما هي عليه من ضعف وعدم إرضاء للمطالب التونسية ، لم تقبل بها فرنسا مع ذلك في النهاية إلا مضطرة ، تحت وطأة فاتح نوفمبر ، كما تؤكده جريدة لوموند التي كتبت تقول :

« إن فرنسا لم تف بوعدها بالاستقلال الداخلي لتونس ، بعد وضع الفلاقة أسلحتهم ، إلا تحت ضغط الثوار في أوراس » (280) .

(278) - Le Monde, 19 novembre 1954.
(279) - Le Monde, 23 novembre 1954.
(280) - Le Monde,02décembre 1954.

فواضح إذن أنه بينما التونسيون كانوا يقولون بكل حذر واحتياط :

« إن الاستقلال التام indépendance ليس هدفاً إلا على الأمد البعيد ، وبالاشتراك مع فرنسا ، للاستقلال الداخلي (autonomie interne) ، الذي هو موضوع مفاوضات اليوم » ، نجد الفرنسيين يهددون ويتوعدون بأن « الحل الوحيد هو الاستقلال الداخلي الذي جاء في تصريح منديس فرانس يوم 31 يوليو » ، وأنه هو « الهدف النهائي » ، « وليس مرحلة للاستقلال التام » ، ولا حتى « على الأمد البعيد ، ولا حتى بالاشتراك مع فرنسا والارتباط العضوي بها ! » .

وهذا كله كان قبيل وبعيد فاتح نوفمبر مباشرة ... ولهذا وجدنا الإخوة في تونس يغيرون لهجتهم بقوة ، مباشرة بعد انطلاق الكفاح التحريري في الجزائر، تصاعديا بمرور الأسابيع والشهور .

وأخيراً ، حيث إن فرنسا كانت مرتبكة ومتخبطة في الجزائر، وخافت أن تفقد الكل ، رضخت ووافقت على الاعتراف لتونس باستعادة استقلالها التام ، ونسيت ، أو تناست ، تحت ضغط هذه الظروف ، تهديداتها بأنه « لا استقلال تام ، ولا حتى على الأمد البعيد ، ولا حتى بالاشتراك والارتباط » ، ونسيت أو تناست « الاحتفاظ بامتيازات السيادة في كل من تونس والمغرب ! » .

واسترجعت تونس الشقيقة استقلالها التام بدون مراحل ، بل بسرعة ، لا على الأمد البعيد، وبلا « اشتراك »، ولا « ارتباط عضوي » ، ولا حاجة ! وشاركناها أفراح الاحتفال به ، كما استفدنا منه أيضاً في مواصلة كفاحنا التحرري .

وزيادة على هذه التصريحات والأحداث التي لها دلالتها ، نود أن نذكر أحداثاً وتصريحات أخرى متزامنة أو متلاصقة تبين بوضوح ترابط التطورات في المنطقة ، من حيث تأثير أول نوفمبر في أحداثها ، بل ويتجاوزها ليشمل افريقيا «الفرنسية» كلها . فإذا كنا ، فيما يخص المنطقة ، لا نزيد شيئاً إلى النبذة ذات الدلالة التي أوردناها عن ليبيا ، فنود أن نضيف أشياء لها أهميتها ودلالتها فيما يتصل بتونس والمغرب الأقصى ، بل وافريقيا كلها ككل .

2 ـ عن تونس :

أ ـ بقاء بورقيبة منفياً حتى إمضاء اتفاقيات الاستقلال الداخلي :

فإذا كان منديس فرانس ألقى بتصريحه في تونس عن **الاستقلال الداخلي يوم 31 يوليو 1954 ، فإن رئيس الحزب** الدستوري المتفاوض مع فرنسا ، المنفى عن تونس ، والذي كان يوجه الجانب التونسى المفاوض ، بقي منفياً شهوراً بعد ذلك ، بل ما يقرب من عام كامل ، إذ نجد محمد المصمودي ، وزير الدولة والعضو المفاوض باسم تونس وحزبها الدستوري ، يصرح مستغربا :

« من العجيب ألا يسمح لبورقيبة ، رئيس الحزب ، ولكاتبه العام ، صالح بن يوسف ، بالعودة إلى تونس ، ونحن نتفاوض في باريس عن الاستقلال الداخلي لتونس ! » (281) .

وسيظل الأمر كذلك ، شهوراً بعد نزع السلاح ، ولن يسمح له فعلا بالعودة إلا يوم الفاتح من يونيو 1955 ، يومين قبل إمضاء

(281) - Le Monde, 26 mars 1955.

الاتفاقيات التونسية الفرنسية الخاصة « بمنح » تونس استقلالها الداخلى، مع احتفاظ فرنسا بالأمن الداخلى (الشرطة)، والأمن الخارجي (الدفاع) ، والشؤون الخارجية ، على أساس الإبقاء على معاهدة باردو التي فرضت فرنسا بموجبها «حمايتها» على تونس سنة 1881 م .

هذا من حيث منع بورقيبة من العودة إلى تونس ، ثم السماح له بذلك ... ومن حيث مضمون ذلك الاستقلال الداخلى .

ب ــ أما من حيث انتزاع الاستقلال التام لتونس ، فكانت التطورات كالتالى :

(دائماً من وجهة النظر الخاصة بتأثير فاتح نوفمبر في تطور الأحداث في المنطقة ، وأدرجناه من بين ردود الفعل عليه) :

في يناير 1955 ، صرح الجنرال بوايي دي لاتور ، « المقيم » العام الفرنسى في تونس :

« إن فرنسا ستبقى في تونس ، حتى لو رفضت عروضها السخية » (282) .

وفى 3 يونيو 1955 وقعت الاتفاقيات الفرنسية التونسية على الأساس الذي ذكرناه ، وهو الاستقلال الداخلى مع الإبقاء على حماية باردو بما تتضمنه صراحة من اختصاص فرنسا بالأمن الداخلى (الشرطة) ، والأمن الخارجي (الدفاع) ، والتمثيل الخارجي (الدبلوماسية) .

ويصرح الطاهر بن عمار ، الوزير الأول التونسى ورئيس الوفد المفاوض :

(282) - Le Monde, 19 janvier 1955.

« إن الحكومة التونسية ، تحت السلطة العليا والأبوية للباي ، تنوي المراعاة الدقيقة لروح ونص الاتفاقيات » (283) .

وبأقل من خمسة أسابيع بعد ذلك ، صرح إدغار فور ، رئيس الحكومة الفرنسية ، لدى مناقشة هذه الاتفاقيات :

« إنه ينبغي اعتبار ما تحتفظ به فرنسا أكثر مما تخسره ، وبنفس الدرجة ما تحصل عليه تونس » (284) .

ويضيف في اليوم التالى ، لدى مصادقة البرلمان الفرنسى على هذه الاتفاقيات :

« إن الاتفاقيات التى تطلب الحكومة منكم السماح لها بالمصادقة عليها لا يمكن أن تسمح أبداً بأي مساس بالوجود الفرنسى في تونس ، الذي لن يلحقه أي مساس .

« وهذه الإرادة واضحة بارزة في الاتفاقيات الست ، خاصة فيما يتصل باعترافها باختصاصات فرنسا في مجالى الدبلوماسية والدفاع المشترك » (285) .

على أن الحكومة التونسية ، التى وقعت هذه الاتفاقيات ، سرعان ما بدأت تدريجيا تطالب بتجاوزها وبحقها في استرجاعها استقلالها التام بجميع مقوماته ، من أمن داخلى (شرطة) ، وخارجي (دفاع) ، وتمثيل خارجي (دبلوماسى)،في انسجام عام لتطور الأحداث في المنطقة (في ليبيا : المطالبة بجلاء فرنسا عن فزان ، وفي الجزائر خاصة : اتساع وازدياد فاتح نوفمبر ، وفي المغرب : بدء المفاوضات حول تجاوز اتفاقيات إيكس ورامبويي ... الخ ، والمطالبة بالاستقلال التام) .

(283) - Le Monde, 05-06 juin 1955.
(284) - Le Monde, 09 juillet 1955.
(285) - Le Monde, 10-11 juillet 1955.

وهكذا نجد « المندوب السامي » الفرنسى (الذي كان « مقيماً عاماً ») ، روجي سيدو ، يصرح منزعجاً من مطالبة تونس بمراجعة هذه الاتفاقيات وبالاستقلال التام :

« لا توجد في العالم حكومة تطالب ، بعد عشرة شهور من مفاوضات حرة دائبة تمخضت عن اتفاقيات ، بمراجعتها بعد ثلاثة أشهر فقط من إمضائها » (286) .

ويضم وزير الداخلية الفرنسى صوته إلى صوت « مندوبهم » في تونس فيقول :

« ليس لدي ما أضيفه ، حيث إن العقل نفسه قد تكلم على لسان روجي سيدو » (286 م) .

وفي 3 فيفري 1956 طار بورقيبة إلى باريس ليطالب بالاستقلال التام . وفي 7 منه نشرت جريدة لوموند الفرنسية مقالا بحروف كبيرة يتصدر الصفحة الأولى تحت عنوان :

« سيكون لتونس قريباً جيش ودبلوماسية » ، ومعه افتتاحية جاء فيها :

« لقد تركت الاتفاقيات الفرنسية التونسية معاهدة باردو على حالها ، بدون أي تعديل . إلا أنه إذا كانت المادة الثانية من هذه المعاهدة (باردو) ذكرت « سلطة عسكرية تونسية » ، فإن المادة السادسة منها تستبعد صراحة أي تمثيل دبلوماسى .

« ومع ذلك ... فقد كانت بضعة أشهر كافية لتجاوز ما اتفق عليه أخيراً ... » (أي في الاتفاقيات الفرنسية التونسية الاخيرة) (287) .

(286) - Le Monde, 10 décembre 1955.
(286 bis) - Le Monde, 10 décembre 1955.
(287) - Le Monde,07 février 1956.

وفي 8 **فيفري** 1956 ، بعـــد المحادثات التي أجراها الحبيب بورقيبة ، رئيس الحزب الحر الدستوري التونسي ، مع غي مولى، رئيس الحكومة الفرنسية ، وبينو ، ومنديس فرانس ، وألان سافارى ، وآخرين ، أصدرت كتابة الدولة الفرنسية للشؤون التونسية والمغربية بلاغاً جاء فيه :

« ... ولقد عبر أيضاً (بورقيبة) عن الأمل في أن تعـدل بعض نصوص الاتفاقيات لتسمح لتونس بأن تمارس ، باتفاق تام مع فرنسا ، مسئولياتها في مجالى الدبلوماسية والدفاع .

« وهكذا فإن تونس ، بهذه التدابـــير ، وطبقاً لتصريـح غي مولى يوم توليه الحكومة ، ستتمتع بالاستقلال « في إطـــار التداخل المنظم عن طواعية » (أو بالاستقلال المتداخـل مـع فرنسا والمنظم عن طواعية) : (288).

"dans le cadre de l'*interdépendance* librement organisée"

وفي 24 **فيفري** 1956 جاء في صدر الصفحة الأولى من جريـدة لوموند الفرنسية هذا العنوان البارز :

« المتمردون الجزائريون يضاعفون الهجوم على امتداد القطر الجزائري : من الشرق القسنطيني حتى الحدود المغربية»(288م) .

"Du Constantinois à la frontière marocaine : les rebelles algériens redoublent d'agressivité".

وفي 25 **فيفري** ، أي في اليوم التالى ، على الصفحة الأولى أيضاً من نفس الجريدة ، جاء هذا العنوان:« لا تزال هناك اختلافات جدية بين المواقف الفرنسية والمغربية » (289) .

"De sérieuses divergences subsistent entre les positions française et marocaine"

(288) - Le Monde, 08 février 1956.
(288 bis) - Le Monde, 24 février 1956.
(289) - Le Monde, 25 février 1956.

ففيما يخص المغرب سنذكره في بابه . ولكن جاء أيضاً في نفس العدد كلام عن « اختلافات كبيرة في وجهات النظر الفرنسية والتونسية » ، حيث لخصت الجريدة هذه الاختلافات في كون الوفد التونسي ، على لسان محمد المصمودي ، « يلح على ضرورة الاعتراف لتونس بحقها في تسيير دبلوماسيتها ، أي علاقاتها مع باقي العالم ، ودفاعها الوطني ، وفي ضمان أمنها الداخلي (الشرطة) ، وفي تسيير اقتصادها » (من سك عملة الخ) . « ولابد من إتمام اتفاقيات الاستقلال الداخلي بمميزات الاستقلال التام هذه » ، « بينما تصر فرنسا على أن هذا كله يبقى من اختصاصها ، وأن الاستقلال الداخلي هدف ينبغي أن يقف عنده التونسيون ، وليس مرحلة لهدف آخر أبعد منه هو الاستقلال بجميع مميزاته » (290) .

ولكن العنوان الأهم الذي يتحكم في الموضوعين التونسي والمغربي ، ويربط بينهما ، ويمثل المفتاح لهما ، ويفسر النظرة الفرنسية إليهما ، ومعالجة فرنسا إياهما وغيرهما ، هو ذلك الذي جاء في وسط الصفحة الأولى من نفس العدد ، وهو :

« الوضع العسكري في الجزائر يقلق الحكومة » (291) :

"La situation militaire en Algérie préoccupe le gouvernement"

وكان هذا كله بأسبوع واحد لا غير قبل الاعتراف للمغرب بحقه في استعادة استقلاله ، وبأقل من شهر من الاعتراف لتونس بنفس الشيء ... قبل التراجع من فرنسا بالنسبة للبلدين ، كما سنذكره ، ثم رضوخها نهائيا هذه المرة ، تحت وطأة تطور الأحداث في الجزائر ، أو « ازدياد عدوانية المتمردين الجزائريين من حدود تونس إلى حدود المغرب » ، كما رأيناه منذ حين ...

---

(290) - Le Monde, 25 février 1956.
(291) - Le Monde, 25 février 1956.

وسيكون التأرجح طابع السياسة الفرنسية إزاء كل من المغرب وتونس أثناء المفاوضات معهما ، بين الوعود البراقة والتراجع المفاجىء عنها إلى عكسها تماماً ... أو : بين الوعد والوعيد ، حسب الظروف في الجزائر ... بين آمالهم في خنق فاتح نوفمبر ... وتشاؤمهم عندما يشتد عليهم الأمر في الجزائر أيضاً مع التهديد من أحد البلدين الشقيقين بوقوع حوادث أو وقوعها فعلا ، مثلما هو الحال في المغرب مثلا . فكانوا بين مد وجزر : ففي حالات اشتداد الأمر في الجزائر يتظاهرون بالليبرالية مع تونس والمغرب ، وفي حالات عودة الأمل والثقة يتنكرون لوعودهم ، ويتجبرون ، ويتغطرسون ، بل ويهددون ، وذلك أنهم كانوا يمنون أنفسهم بأن يلهوا إخواننا في المغرب وتونس للقضاء علينا ، ثم العودة عليهم فيما بعد بالكر بعد الفر ، و « بما يستحقون » !

وبعد ثلاثة أيام أوردت الجريدة المذكورة هذه الفقرة من تصريح غي مولي يوم توليه الحكومة : « إن اتفاقيات 3 يوليو 1955 (بين تونس وفرنسا) لا تتعارض أبداً وحصول تونس على الاستقلال في إطار تداخل منظم (أو استقلال متداخل) » (292) :

(l'indépendance dans une interdépendance organisée) .

وهذه المرة بدون كلمة "librement" ، وكانت هذه العبارة تتردد دوماً في سياق الحديث عن كل من تونس والمغرب ، بصيغ تختلف قليلا من حيث الشكل، ولكن من حيث المعنى فربّها واحد :

("l'indépendance dans l'interdépendance librement *organisée*, consentie, négociée")

الله وحده وفرنسا يعلمان كل ما كانت هذه الأخيرة تقصده بهذا التداخل ـ وقد يعلم أي واحد منا بعضه ... ! ـ ، كما أن إخواننا في كل من تونس والمغرب كانوا أيضاً يعلمون ، ولكنهم

(292) - Le Monde, 26-27 février 1956.

كانوا يودون أن ينتزعوا أكثر ما كانوا يستطيعون انتزاعه من فرنسا تحت وطأة فاتح نوفمبر ، وفرنسا كانت تود أن تماطل ، وتسوف ، وتخدر إخواننا ، كسباً للوقت ، وتحتفظ عندهم بالأوتاد ، والأركان ، والهياكل ، وأن لا تقبل إلا بتحوير الشكل قليلا ، لتعود عليهم بعد ذلك ... أي بعد قضاء الحاجة في الجزائر ... كما كانت تتصور ... وتمكر ويمكر الله ...

وهكذا فحتى بعدما وافقت على الاعتراف لتونس باستقلالها **ولم يبق إلا يوم واحد للإمضاء** ... أرادت فرنسا التراجع عن استقلال تونس !

كان قد تم الاتفاق فعلا ، بين باهي الأدغم ومحمد المصمودي ، من جهة ، وكريستيان بينو وألان سافاري ، من جهة أخرى ، قبل الإمضاء بيوم واحد ، وها هو غي مولى ، رئيس الحكومة الفرنسية ، يولي القهقرى ، ويتلاعب بالألفاظ ، ويقول :

« إننا لم نقصد أبداً أن نذهب بعيداً إلى هذا الحد ! ».

فبينما كان التونسيون يقولون إن الذي تم الاتفاق عليه هو « مسئولية تونس في مجالات الأمن ، والدفاع ، والشؤون الخارجية » ، نجد غي مولى يصر على « أن المتفق عليه فعلا ـ وتقبله فرنسا ـ هو فقط حق تونس في ممارسة هذه المسئولية » ! (293) .

« المسئولية » أم فقط « حق ممارسة » هذه المسئولية ؟ هذه هي الحكاية ، كما كان يقول أستاذنا أحمد فؤاد الاهواني ، رحمه الله !

وتشرح جريدة لوموند ، بالرجوع إلى المسئولين الفرنسيين ، الفرق بين التعبيرين بأن « الثاني يتضمن في نظر القانون الدولى

(293) - Le Monde, 18-19 mars 1956.

أن هذه المسئولية مشتركة » (293)م، أي : ترك الأمور على ما كانت عليه تقريبا !

وحاولت فرنسا ، حتى آخر لحظة ، أن تلعب بالألفاظ ، وأن تحتفظ لنفسها بكل مميزات « الحماية »،أي الاستدمار المقنع بدل السافر ، وترك تونس كما كانت تحت الحافر ، وجامع الزيتونة تحت أقدام الكافر ، المتمثل في الجيش الفرنسي الوافر، رغم إرادة الشعب التونسي النافر ، المناضل المعذب وفي النهاية الظافر !

وأوقفت فرنسا اختتام المفاوضات بيوم واحد قبل الإمضاء ، يوم 19 مارس !

ولكن أمام صمود الإخوة التونسيين ، وخوفاً من العواقب ــ عودة المجاهدين التونسيين إلى الجبال وتكاتفهم مع الجزائريين ، كما صرح مسئولون فرنسيون بذلك ، وكما سنراه بعد قليل ــ وقد كان في الجزائريين وحدهم الكفاية ! وكنا رأينا أنهم « يضاعفون عدوانيتهم من حدود تونس إلى حدود المغرب » ، بالإضافة إلى الضغط الدبلوماسي الكبير ، الذي كانت جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، بفضل شبكتها الواسعة المحكمة التنظيم من المندوبين المقيمين والمتجولين عبر العالم ، تمارسه على فرنسا ، والذي لم يكن إطلاقاً يقل وزناً وثقلا ولا تأثيراً على فرنسا عن الضغط العسكرى ــ أمام هذا الخطر ، إذن ، أي تحت وطأة فاتح نوفمبر ، العسكرية والدبلوماسية ، انفتحت فرنسا ــ على أمل الغد ... ؟ ــ ، ووافقت على الاعتراف لتونس باستقلالها التام بجميع مكوناته ومظاهره ، وتم التوقيع في اليوم التالى ، 20 مارس 1956 ، والحمد لله !

(293 bis) - Le Monde, 18-19 mars 1956.

اعترفت باستقلال تونس ، ولكنها لم تكن تستطيع التغلب على نفسها ! فكانت تعترف في الليل ، وتتنكر في الصباح ... وهكذا قامت وقعدت عندما أراد الرئيس بورقيبة البدء بتعيين بعض السفراء التونسيين في الخارج وقبول اعتماد بعض السفراء الأجانب في تونس ، بدعوى « أن الاستقلال مشروط » بالتداخل المنظم عن طواعية ("interdépendance librement organisée") ، وطالما لم ينظم هذا « التداخل » ، فليس لتونس أن تبدأ في ممارسة استقلالها في هذا المجال ، ... فضلا عن غيره ... العسكري مثلا ، أو الاقتصادي ...

وطار بورقيبة إلى باريس ... يوم 11 ماي 1956 ، ورد بغضب على مزاعم الفرنسيين ، وقال ، بعد ثلاثة وخمسين يوماً بالتمام والكمال من التوقيع على الاعتراف لتونس باستقلالها والذي تم ، كما قلنا ، يوم 20 مارس 1956 ، ما يلى ، يوم 12 ماي 1956 :

« إني لم آت إلى باريس للتفاوض في شأن الاستقلال » ! وقد كان تصريحاً حازماً قويا وفي محله ، لأن الفرنسيين أقاموا الدنيا وأقعدوها بدعوى أنه استقبل قناصل أجانب في تونس ... مع أن الاتفاقيات الممضاة يوم 20 مارس 1956 ، كما ذكر بذلك هو نفسه :

« تنص على استقلال تونس ، بما فيه مجالا الدبلوماسية والدفاع . وإلا فما هو هذا الاستقلال إذا لم يحق لى أن استقبل ممثلين أجانب ... وحتى بحضور المقيم العام الفرنسى ؟ » وها هو النص الكامل لدلالته ومغزاه :

« لقد نص بروتوكول 20 مارس 1956 (اتفاقيات الاستقلال) صراحة بأن من مشمولات الاعتراف لتونس باستقلالها ممارسة مسئوليتها في مجالى الدفاع والدبلوماسية .

« ولو لم يحبر هذا بصريح العبارة ، وباوضح صورة ، لما وافقت على هذا النص كما فعلت .

« إن موقفنا كان دائماً يفترض استقلال تونس كشرط لقيام تعاون تونسي فرنسي ، ـ والكل يعلم أن ليس هناك أحد أكثر تعلقاً مني بهذا التعاون ! ـ فيجب أن تكون تونس مستقلة ، ويجب أن نحس إحساساً واضحاً بأننا مستقلون ، ويجب أن يبرهن على استقلالنا هذا في جميع المجالات . وأن يمارس فعلا .

« ولأن تكون تونس مستقلة ينبغي أن يكون في استطاعتها استقبال السفراء من الخارج وإرسال سفراء إلى الخارج . وإذا لم يكن هذا فما معنى الاعتراف باستقلال تونس من بلدان كثيرة ؟

« لقد عيب علي أنني استقبلت القناصل وقدمتهم إلى الباي، إن هذا من مشمولات الاستقلال .

ثم إني لم استبعد المندوب السامي الفرنسي ، حيث إنه متفق معى على ذلك ، في الواقع . ولهذا فإنى لم آت إلى باريس للتفاوض . فليكن هذا واضحاً !

« فليس ـ ولم يعد ـ لدي أي داع للمجيء إلى باريس للتفاوض لا على الاستقلال ولا على أي من مشمولاته .

« ولا علي أن اتفاوض على الاستقلال المتداخل (أو التداخل l'interdépendance) للوصول إلى الاستقلال ، أو « ليسمح » لى بممارسة اختصاصاته . فإما نحن مستقلون أو غير مستقلين . وذلك أن الاستقلال الذي لا يمكن أن تمارس اختصاصاته إلا بشروط ليس إلا خضوعاً مقنعاً .

« فيجب الاقتناع في فرنسا بأن استقلال تونس ليس هبة ، ولا منحة ، ولا تنازلا يتطلب مقابلا أو ضمانات ، بل هو حق

طبيعي لا يفقده صاحبه أبدا ، حرمنا منـه مدة بالقوة وأرجعه لنا بروتوكول يوم 20 مارس » (294) .

ومما يؤكد النوايا الاستدمارية السيئة بخصوص التأرجح وإضمار الغدر بتونس والمغرب بعد التخلص من « المشكـل » الجزائرى ، عند الاستطاعة ، وعدم الاعتراف للمغرب وتونس بالاستقلال إلا تحت ضغط ثورة فاتح نوفمبر ، بـ « مضاعفة المتمردين الجزائريين عدوانيتهم من حدود تونس إلى حـدود المغرب » ، هو ، بالإضافة إلى كل ما ذكرناه ، وما سنذكره عند الكلام عن المغرب ، هذا الجواب الذي بـرر به كاتب الدولـة المكلف بالشؤون المغربية والتونسية ، ألان سافاري Alain Savary ، أمام منتقدي سياسة حكومته في البرلمان الفرنسي ، هذه السياسة :

« لو كنا في ظروف طبيعية لاشترطنا تفصيل وبيان معالم هذا التداخل (l'interdépendance) قبل الاعتراف لتونس والمغرب بالاستقلال (l'indépendance).

« ولكننا في الظروف الحاضرة لو تشددنا لفقدنا كل شيء ، ولاستقل البلدان (تونس والمغرب) بدوننا ، أو ضدنا .

« ولهذا فالحكومة قد اختارت الاعتراف بالاستقلال لتونس والمغرب ، بينما الطرفان (التونسي والمغربي) قبـلا ، مـن جهتهما ، شفويا بالتداخل بدون لبس ولا غموض .

« وهذا هو هدف التصريح الفرنسي المغـربي (déclaration) في 2 مـارس 1956 ، والبروتوكول الفـرنسي التونسي ، في 20 مارس 1956 .

« وأين كانت ستؤدي بنا أية سياسة أخرى غير هذه ؟ كيف ستكون عواقب صراع شامل (conflit généralisé) ؟

(294) - Le Monde, 12 mai 1956.

« ولذا فسياستنا هذه هي الوحيدة الممكنة » (295) .

3 ـ **ونفس الشيء عن المغرب الأقصى** تماماً وبدون أي فرق **ولا اختلاف ألبتة !**

لقد كان للمغرب حقان يطالب بهما :

1 ـ رجوع ملكه المرحوم محمد الخامس من المنفى .

2 ـ استرجاع استقلاله الذي انتزع منه وحلت محله « معاهدة الحماية » سنة 1912 التي تسمى « معاهدة فاس » ، ولم تكن معاهدة أكثر من « معاهدة الحماية » المفروضة على تونس سنة 1881 باسم معاهدة باردو .

والآن : كيف كانت التطورات في المغرب ، انطلاقاً من فاتح نوفمبر في الجزائر ، هذه التطورات التي قلنا إن الجانب الأهم والإيجابي فيها نعده ـ مثلما كان الأمر بالنسبة لتونس وفزان في ليبيا والمستدمرات الفرنسية كلها في افريقيا ـ ردود فعل مباشرة أو غير مباشرة على فاتح نوفمبر ، إذ كان له الأثر البالغ ـ بالإضافة إلى الكفاح المسلح في بعضها والمطالبة السلمية الملحة في أخرى ـ فيما حدث بعد من التخلص من الاستدمار الفرنسي في آجال غير الآجال التي كانت منتظرة ، أصلا ، لولا ضغط فاتح نوفمبر ، وهذا طبعاً بالنسبة لكل من الجزائر، في الدرجة الأولى ، والبلدان الشقيقة المستدمرة فرنسيا في القارة كلها !

وربما كانت أقرب صيغة إلى الحقيقة أن نقول : لولا فاتح نوفمبر لما تحررت الأراضي المغاربية ـ الفزان وتونس والمغرب ـ والإفريقية المستدمرة عموماً ، ولولا السند الذي وجدناه بتحرر الأراضي المغاربية المذكورة لما تحررت الجزائر

(295) - Le Monde, 03-04 juin 1956.

أيضاً ، على الأقل في الآجال التي تم فيها هذا التحرر بالنسبة لجميع الأطراف .

وبدون إيراد ملخص آخر لتقديم تطور الأحداث في المغرب الأقصى ، كما فعلنا لتونس ، فلنكرر هنا ، في صورة تقديم ، أن كل ما قلناه عن تونس هو نفسه ما حدث في المغرب تماماً : نفس الوعود ، نفس التلكؤات ، والتسويفات ، والتأجيلات ، والترددات، والتأرجحات، والوعد والوعيد من طرف الاستدمار الفرنسي ، ونفس الاغترار ، مع التشبث ، والإيمان بالمراحل، ثم اليقظة ، والغضب ، والانتفاضة في الأخير ، لاسترجاع الحق المغصوب ، وكانت عودة السلطان ، وكانت استعادة الاستقلال ، وكانت الفرحة لنا جميعاً !

والآن ها هي صورة مصغرة عن تلاحق الأحداث في المغرب الشقيق ، وبيان بصمة أول نوفمبر على تطورها في المغرب أيضاً ـ كما كان الأمر في تونس ـ وعلى افريقيا « الفرنسية » كلها ، وهو ما أسميه بردود الفعل المباشرة أو غير المباشرة على أول نوفمبر :

أ ـ تطورات موضوع المرحوم محمد الخامس :

ها هو تلاحق الأحداث وتفاعلها فى المنطقة وفى فرنسا بخصوص رجوعه ، الذي ساهم في التعجيل به كل من إصرار الشعب المغربي ، وتعاطف الرأي العام الدولى ، وأخيراً ولكن ليس آخراً إطلاقاً : ضغط فاتح نوفمبر واطراد اشتداده أو « مضاعفة المتمردين الجزائريين عدوانيتهم من حدود تونس إلى حدود المغرب » ، كما كتبت لوموند فيما بعد . كل ذلك مما يثير سيلا من التصريحات الفرنسية المتشددة هي أيضاً ، بل المتصاعدة في التشدد ، بخصوص استبعاد رجوعه ، ولكن أيضاً

المتناقضة ، المتأرجحة ، المتذبذبة ، وأخيراً الواضحة في السماح بالرجوع ، كما يلي :

ففي 29 يوليو 1955 : صرح بيير جولي ، وزير الشؤون التونسية والمغربية في الحكومة الفرنسية ، بما يلي :

« لن يعود محمد بن يوسف (السلطان محمد الخامس) إلى العرش » (296) .

وفي 30 يوليو : « صرح كل من إدغار فور ، رئيس الحكومة الفرنسية ، وبيير جولي،المذكور آنفا ، **وكررا التصريح** : « أنه ليس من المتصور إعادة السلطان السابق (محمد الخامس) **إلى العرش** ، وأن الحكومة الفرنسية ستحاول الاعتماد على سلطة السلطان الحالي ، محمد بن عرفة » (297) .

وفي 22 أوت 1955 : افتتاح المحادثات المغربية الفرنسية في ايكس ليبان .

وفي 27 منه : اختتامها والقرار بسحب ابن عرفة وبتكوين مجلس العرش ، وحكومة ممثلة للمغرب تتفاوض مع فرنسا .

30 سبتمبر : قضية الجزائر تسجل في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة ، وينسحب الوفد الفرنسي ، باسم تلك « الجزئية الجزائرية التي لا تتجزأ من فرنسا » ، من هيئة الأمم احتجاجا !

وقد كان ذلك ضربة قوية وصدمة عنيفة للاستدمار الفرنسي زادت من تذبذبه بين الحرص على تونس والمغرب لضمان الاحتفاظ بالجزائر ، أي الاحتفاظ بالجناحين للاحتفاظ بالقلب، كما كان يقول دوبري ، ومحاولة التخفيف عليهما وإعداد إطلاق سراحهما للتركيز على الجزائر والتفرغ لها لضمان الاحتفاظ

---

(296) - Le Monde, 29 juillet 1955.
(297) - Le Monde, 30 juillet 1955.

بها ، ولو مع فقدان نسبي لتونس والمغرب ، أي ضمان القلب لضمان الجناحين ، كما كان رأي إدغار فور ، كما أسلفنا .

وقد كان تسجيل قضية الجزائر في هيئة الأمم ضغطا شديداً جداً ، ضغطاً خانقاً للسياسة الاستدمارية الفرنسية ، إذ جعل كل البناء مهدداً بالانهيار . فهذا الضغط الدبلوماسي جانب هام جداً إذن ، بل أساسي ، ولا ينبغي أن يستهان به إطلاقاً في تقدير تلاحق الأحداث وتوجيه تطورها في المنطقة ، بإزاء الجانب العسكري طبعاً ، في الضغط على الموقف الفرنسي .

01 **أكتوبر** : السلطان المفروض محمد بن عرفة ينسحب إلى طنجة .

04 **أكتوبر** : إدغار فور ، رئيس الحكومة الفرنسية ، يصرح :

« إن إعادة محمد الخامس إلى العرش مستبعدة ، وتبقى مستبعدة كل الاستبعاد » (298) .

وفي 08 **أكتوبر** : صرح وزيره للخارجية ، انطوان بيناي ، في البرلمان الفرنسي بما يلي :

« ينبغي أن نعمل كل شيء لمنع عودة محمد الخامس إلى العرش. وإن السياسة المتبعة الآن لتهدف إلى منع حدوث مثل هذا الاحتمال » (299) .

وفي نفس اليوم ، 08 **أكتوبر** : صرح إدغار فور في البرلمان الفرنسي :

« إن جميع قرارات الحكومة الفرنسية تبين معارضتها لإعادة السلطان السابق (محمد الخامس) إلى العرش » (300) .

---

(298) - Le Monde,04 octobre 1955.
(299) - Le Monde, 9-10 octobre 1955.
(300) - Le Monde, 9-10 octobre 1955.

وأضـــاف :

« هناك حلان ينبغي استبعادهما بعزم وحزم : إبقاء الوضع على ما هو عليه وإعادة السلطان السابق .

« ولقد قال لكم منديس فرانس إنه لابد من تحسين وضعية السلطان السابق (محمد الخامس) ، ولكن لا يمكن أن يعود إلى العرش » (301) .

« ثم أكد إدغار فور ذلك بتلاوة التعليمات المرسلة إلى المقيم العام الفرنسي في المغرب لإعلامه بأن « عودة السلطان السابق مستبعدة استبعادا مطلقا » (302) .

وأكد إدغار فور كلامه في نفس الجلسة بقوله :

« إن عودة ابن يوسف (محمد الخامس) مستبعدة .

« وقد كنا قررنا في إيكس ليبان (أثناء المحادثات المغربية) استبعاد كل من الإبقاء للأمور عـــلى ما هي عليه (statu quo) وإعادة محمد الخامس .

« قررت ذلـك شخصيـا بحضور زمـلاء (وزراء فرنسيين) وبموافقة الوفـــد المغربي المتكـــون من جميـع الأحـزاب والاتجاهات » (303) .

على أن هذه التصريحات كلها عن استبعاد محمـد الخامس كانت تتناقض تناقضاً صارخاً مـــع إعدادات بـل وإجراءات متوازية لتهيئة الجو لعودة محمد الخامس ، رحمه الله ، تحت ضغط الأحداث المركزة المتلاقية ، كما قلنا ، والمتمثلة في أعمال مسلحة في المغرب ، وتهديدات باستئناف الأعمال المسلحة في

---

(301) - Le Monde, 9-10 octobre 1955.
(302) - Le Monde, 9-10 octobre 1955.
(303) - Le Monde, 9-10 octobre 1955.

تونس ، وضغط الرأي العام الدولي ، ولكن خاصة ، بل وبصفة أخص : في اتساع واشتداد فاتح نوفمبر في الجزائر في خريف 1955 ، بعد العمليات الجريئة المفزعة لفرنسا في سكيكدة يوم 20 أوت ، تضامنا مع مثيلاتها في وادزم وغيرها في المغرب ، وإعلانا عمليا مجسما وحاسما عن الدخول في مرحلة جديدة لفاتح نوفمبر ...

فأمام هذا كله ، وتحت هذه الضغوط المتوازية ، قررت فرنسا إعادة محمد الخامس !

وهكذا كان المتتبعون للأحداث يشاهدون على شاشة السياسة الفرنسية شريط الأحداث لعودة محمد الخامس تتلاحق حلقاته، وتدير فرنسا بسرعة الآلة لمعالجة وضعها الحرج ، حتى لا يتسع عليها الخرق ... بل الحريق !

ففي 18 أكتوبر : أي بعد أسبوع فقط من تلك التصريحات الرنانة عن استبعاد عودة محمد الخامس إلى العرش ، يخول البرلمان الفرنسي إدغار فور الثقة في سياسته المغربية لتبدأ المسرحية واصطناع الأحداث ، بإدارة جهاز السينما بأقصى سرعة ممكنة !

وفي 25 منه : بأسبوع آخر بعد ذلك ، توعز فرنسا إلى الباشا الثلاوي العميل بأن « يطالبها بإعادة محمد الخامس باستعجال إلى عرشه » ... كما لو كان للمسكين أن يطالب فرنسا بشيء ... وهو الذي كان حاصر ، بأمر منها ، محمد الخامس ، و «فرض» نفيه إلى مدغشقر ... كما « فرض » مكانه العميل الآخر محمد ابن عرفة سلطانا « جديداً » !

وفي 30 أكتوبر : أي بأقل من أسبوع من ذلك ، نرى السلطان المزعوم ، محمد بن عرفة ، « يتنازل » عن العرش لصالح

السلطان الشرعي ، محمد الخامس ، وقد كان تهيأ لذلك الإجراء الشكلي بانسحابه المدروس إلى طنجة .

وفي 31 منه : بيوم واحد بعد ذلك ، ينقل محمد الخامس من منفاه في مدغشقر إلى ضواحي باريس ، إيذاناً بنهاية نفيه وإعداداً لإرجاعه إلى العرش .

وفي 06 من نوفمبر : أي بأقل من أسبوع من ذلك ، تعترف باريس رسميا بمحمد الخامس سلطاناً للمغرب ... كما لو جلس على العرش لأول مرة ... ولم يكن سلطاناً ، ولم تكن هي التي عزلته ، وطردته ، ثم نفته !

وفي 08 منه : أي بيومين فقط بعد ذلك ، تستقدم الباشا الگلاوى الخائن العميل ، وتوجه به توا بأوامر صارمة إلى سان جيرمان أون لاي ، في ضواحي باريس ، حيث يقيم السلطان محمد الخامس ، ريثما يعود إلى الرباط !

وتمعن فرنسا في حركاتها المسرحية البهلوانية ، تحت ضغط الظروف المذكورة ، وهي التي تسمى نفسها « ديكارتية » ، (منطقية) ، فتذل نفسها ـ مستحقة ذلك ! ـ وتذل عميلها وصنيعتها الباشا الگلاوى ـ الذي لا يقل استحقاقاً ! ـ فتفرض عليه أن يركع ويسجد عند رجلي محمد الخامس ، ويختم ركوعه وسجوده هذا بلثمهما في خشوع ، وخضوع ، وخنوع !

والواقع أن ليس الباشا الگلاوى هو الذي ركع ، وسجد ، ولثم الحذائين ، ولكنها فرنسا كلها تحت ضغط الظروف !

واستمرت حلقات الشريط فى تسابق مع الزمن وإلا ... !

وفي 16 منه : أي بعد أسبوع بالضبط من لثم الحذائين ... عاد محمد الخامس في أبهة وعظمة إلى عرشه ، وبلاده ، وشعبه ، بعد أن قالوا وكرروا بأقل من شهر ونصف قبل ذلك إنه « لن يعود أبداً » !

وشارك جزائريون بكثرة في الاحتفال بالعودة ، ورفع العلم الجزائـرى فى المظاهـرة ... وانتزعه البوليس الفـرنسى ... ثم عاد هو أيضاً ... عاد العلم الجزائري ، عاد بعد أن قالوا إنه ليس فقط أبعد ، واستبعد ، ونفي ، ووضع في دواليب متحف الأنفاليد في باريس ، ثم في فينسين ، وضمت إليه مخطوطاتنا ، وكتبنا ، ووثائق علاقاتنا مع العالم ، ومنه فرنسا ، والمدافع الألفان ، ومنها تلك التي غنمها حسن آغا سنة 1541 من شارلكان المنهزم أمام الجزائر شر انهزام ، والتي كان هو غنمها مـن انتصاره في معركة بافيا (Pavia) ، في إيطاليا ، على ملك فرنسا فرانسوة الأول سنة 1525 ؛ ومنها أيضاً تلك المدافع الثلاثة التي صنعها الأمير عبد القادر في تلمسان سنة 1833 ... (304) بـل كانوا قد قالوا أيضاً إن هذا العلم الجزائري لم يسبق له أن وجد في التاريخ أبداً !

ب ـ استرداد الاستقلال : (في المغرب الأقصى) :

هنا أيضاً نفس ما قلناه عن مراحل استقلال تونس ورجوع المرحوم محمد الخامس إلى العرش : تصلب الفرنسيين ، ثم وعود تكوين « حكومة ممثلة للمغرب » تقود المفاوضات ، ولكن على أساس معاهدة فاس « للحماية » سنة 1912 ، القاضية باحتفاظ فرنسا بالدفاع والخارجية ؛ ثم اتفاقيات إيكس ليبان ؛ ولم تذكر في هذه الاتفاقيات إلا كلمة « سيادة المغرب » ، أما الاستقـلال فلا وجود له في النص ألبتة ! ثم تنكر للوعود ، وتلكؤ ، وتأجيل ، وتسويف ، ثم رضوخ في النهاية في آخر لحظة ... تحت ضغـط الحوادث ، وخاصة « مضاعفة المتمردين الجزائريين عدوانيتهم من حدود تونس حتى حدود المغرب »،واعتراف بـ « استقلال

(304) انظر إنيـه وأصالـة ، لمخربش هـذه السطور ... مطبعـة البعث ، قسنطينه ، 1975 م .

متداخل » ، ثم التنكر حتى لهذا الاستقلال المتداخل ... ثم الرضوخ نهائياً ، تحت ضغط الأحداث ، واتساع فاتح نوفمبر ، كما سنرى ، وها هو تتابع حلقات شريط تطور الأحداث :

22 أوت 1955 : افتتاح المحادثات المغربية الفرنسية في إيكس ليبـــان .

27 منـه : اختتام المحادثات بقرار تكوين حكومة مغربيـــة ممثلة للمغرب تتفاوض باسمه .

01 **أكتوبر** : إمضاء الاتفاقيات في إيكس ليبان ، وكان ذلك على أساس الاحتفاظ بمعاهدة فاس ، خاصة فيما يتصل منها بالدفاع والخارجية ، كما صرح بذلك في حينه بيير جولي Pierre July ، الوزير الفرنسي للشؤون التونسية والمغربيـــة ، في مؤتمـر صحافي ، إذ قال :

« إن هذه الاتفاقيات ترمي إلى إقامة بناء حديث في الصالح المشترك للبلدين (فرنسا والمغرب) على **أساس الاحتفاظ التام** في باريس بالمسئوليات المخولة لفرنسا في مجالي الدفاع والشؤون الخارجيـة » (305) .

''*dans le maintien intégral* des responsabilités confiées à la France en matière de défense et d'affaires étrangères dans l'intérêt commun des deux pays...'.

ونكرر ، حسب التصريحات الفرنسية الرسمية المؤكدة ، التي لم نجد لها تكذيباً ، أن كلمة الاستقلال لم ترد ولا مرة واحدة في هذه الاتفاقيات ! بل الذي جاء فيها ، زيادة عن « الاحتفاظ التام بالمسئوليات الفرنسية في مجالي الدفاع والخارجية » ، هي « **العلاقات الأبدية أو الدائمة** liens permanents » في تصريح سان كلو ، كما سنرى ، التي انتقدها كثير من المسئولين من حزب

(305) - Le Monde, 02-03 octobre 1955.

الاستقـــلال ، ولكنهـــا مـــــرت ، عـــلى كـــل ، واندرجـت في الاتفاقيات (306) .

وبأقل من أسبوع من هذا التوقيع ، صرح إدغار فور ، رئيس الحكومة الفرنسية ، بشأنها :

« ان ممثلين من جميع الاتجاهات المغربية قالوا لي في إيكس ، بحضور أربعة من زملائي ، إنهم يريدون الاستقلال بهـــــذه الصيغـــة :

« إننا معشر المغاربة نتصور تحقيق هذا الاستقلال على مراحل، وفي الأخير ، سيكون الاستقلال ، ولكن في إطار اشتراك فرنسي مغربي » (307) . ("en association franco-marocaine").

وفي اليوم نفسه نشر وفد حزب الاستقلال في باريس بيانا عن « حق المغرب في الاستقلال وفي الممارسة الفعلية لسيادته في **إطار علاقات فرنسية مغربية قائمة على التداخل المتفق عليه عن** طواعيـــة » (308) :

"le droit du Maroc à son indépendance et à l'exercice effectif de sa souveraineté dans le cadre de rapports franco-marocains *d'interdépendance* librement négociée" (308).

وفي 08 أكتوبر : أي في اليوم نفسه ، صرح إدغـــار فـــور ، رئيس الحكومة الفرنسية ، في البرلمان الفرنسي :

« إن سياستنا تفترض وجود حكومة مغربية نحتفظ فيهـــا نحن بالدبلوماسية ، والدفاع ، والشؤون التقنية » (309) .

---

(306) - Le Monde, 09 novembre - 12 novembre 1955.
(307) - Ibid —— 08 octobre 1955.
(308) - Ibid —— 08 octobre 1955.
(309) - Ibid —— 08 octobre 1955.

وفي 09 أكتوبر : أي في اليوم التالي ، صرح محمد اليزيدي ، الأمين العام المساعد لحزب الاستقلال ، بما يلي ، مستنكراً جمود السياسة الفرنسية ، وتصلبها ، وضربها عرض الحائط بأية اتفاقية أو تطور، قائلا :

« إن مفاوضات إيكس ليبان والوعود المسجلة على إثرها (باتفاقيات إيكس ليبان التي لم تذكر فيها إلا السيادة ، ولا وجود لكلمة الاستقلال فيها ألبتة) قد بعثت فينا أملا حقيقياً . ولكن الجنرال دي لاتور (المقيم الفرنسي العام في المغرب) قد عرقل التطور نحو الانفراج ، تعاطفاً مع الجانب المعادي لكل تغيير للوضع الحالي من الرأي العام الفرنسي في المغرب » (310) .

واستمر الوضع كذلك مدة مذبذباً متأرجحاً ، بين الضغط والوعد والوعيد والاحتجاج ، حتى يوم :

06 **نوفمبر** ، حيث أمضى كل من المرحوم محمد الخامس وأنطوان بيناي ، وزير خارجية فرنسا في حكومة إدغار فور ، تصريحاً سمي بتصريح سيل سان كلو (la déclaration de la Celle St-Cloud) ، على أساس اتفاقيات إيكس ليبان (01 أكتوبر) ، وردت فيه لأول مرة كلمة الاستقلال ، وجاء فيه ، مما جاء :

« ستكون مهمة الحكومة المغربية بصفة خاصة التفاوض مع فرنسا بقصد إيصال المغرب إلى **وضع رسمي يكون به دولة مستقلة موحدة بفرنسا بعلاقات دائمة من تداخل مختار عن طواعية ومحدد** » (311) .

"à faire accéder le Maroc au statut d'Etat indépendant *uni à la France par les liens permanents d'une interdépendance* librement consentie et définie" (312).

(310) - Le Monde, 9-10 octobre 1955.
(311) - Le Monde,03mars 1956.
(312) - Le Monde,03mars 1956.

وتعلق جريدة لوموند على هذا النص الرسمي فتقول :

« فإذا كان هذا النص لا يغير نص اتفاقيات فاتح أكتوبر (إيكس ليبان) ، فانه يوضحه بشكل قوي جداً ، حيث إنه **يتضمن لأول مرة كلمة** « الاستقلال » ، بينما النص السابق (اتفاقيات إيكس ليبان المذكورة آنفاً) لم يذكر إلا « احترام السيادة المغربية » (313) .

وفي 09 نوفمبر : صرح المرحوم علال الفاسي ، رئيس حزب الاستقلال ، معارضاً لهذه « العلاقات الدائمة القائمة على التداخل بين المغرب وفرنسا » (314) .

وفي 12 نوفمبر : صرح أحمد بلافريج ، الأمين العام لحزب الاستقلال ، مؤكداً ، أمام السلطان محمد الخامس في ضواحي باريس ، معارضة حزبه لهذه « العلاقات الدائمة على أساس التداخل » .

وفي 30 نوفمبر : كتبت لوموند بعنوان بارز تقول :

« سي علال الفاسي لا يفهم معنى كلمة التداخل » ، ناسبة إليه التصريح الآتي :

« إني لا افهم دلالة كلمة « التداخل » هذه "l'interdépendance". ولهذا فإني لا استطيع أن اناقش فيه .

« إن الذي يريده المغرب هو الاستقلال التام : (l'indépendance)، وليس الاستقلال المتداخل أو التداخل ("l'interdépendance") (315).»

كما ظل المرحوم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي طوال هذه المدة يندد بجميع تلك الاتفاقيات التي كانت تعقد

(313) - Le Monde, 03 mars 1956.
(314) - Le Monde, 09 novembre 1955.
(315) - Le Monde, 30 novembre 1955.

بين البلدين الشقيقين ، تونس والمغرب ، وفرنسا ، وينادي بتوحيد الكفاح المسلح في البلدان الثلاثة : المغرب ، والجزائر ، وتونس ، حتى الجلاء الشامل النهائي لفرنسا عن كامل المغرب الكبير ، وبذلك فقط سيتحقق الاستقلال التام للجميع .

وفي 29 نوفمبر : صرح إدغار فور، رئيس الحكومة الفرنسية، مبرراً أمام المتطرفين الفرنسيين ـ وكانوا الأغلبية ـ اتفاقياته المعقودة والتي ينوي عقدها مع تونس والمغرب ليتفرغ للجزائر، قائلا ، بعد أن تكلم عن بعض التخفيف في تجنيد الشبان الفرنسيين :

« ... هذا لا يعني أننا لم نعد محتاجين إلى تجنيد أعداد كبيرة . ولكننا رأينا أنه يمكننا الآن أن ننظم تخفيف هذا التجنيد وهذه التضحيات مع التمديد والتواصل في الزمن ، وأنه من الأعدل أن تحتفظ بضعة أشهر أكثر في الجيش بالمجندين إجباريا للمرة الأولى لنستطيع أن نعيد الذين جندوا من جديد ولكن بصفة غير إجبارية (أي ليس للمرة الأولى) إلى ديارهم .

« وذلك أنه علينا الآن أن نفعل كل ما نستطيع ليخف الوضع علينا » (316) .

وهنا يأتي التفسير لعدة إجراءات : فمن جهة يريد التخفيف بإنهاء المشكلين المغربي والتونسي ، ومن جهة أخرى وفي الوقت نفسه يقول إنه يريد تمديد التضحيات (أي التجنيد) في الزمن « للاحتفاظ بالجزائر في الإطار الفرنسي » . أي ، بعبارة واضحة : ينهي المشكلين التونسي والمغربي للتفرغ للجزائر للاحتفاظ بها ، فيقول :

---

(316) - Le Monde, 29 novembre 1955.

« إنه لم يعد الآن في **تونس** لا إرهاب ولا اضطرابات ، ولا في **المغرب** ، حيث كان علينا أن نتقي اضطرام حــرب فييتناميــة جديــدة .

« أما في الجزائر ، فعلينا الآن إقامة قواعد لمؤسسات داخــل الإطار الفرنسي !

« وطبقاً لجدول أعمال البرلمان ، فقد بدأت الحكومة والوالى العام في الجزائر ، السيد سوستيل ، مشاورات جدية معمقة مع الشخصيات الإسلامية الأكثر تمثيلا . وابتداء مــــن يناير أو فبراير ستسمح هذه المشاورات ببلورة طريقة للعمل والبدء في إعداد ميثاق الجزائر داخل الجمهورية الفرنسية » (317) .

وهذا بيت القصيد !

وابتداء من ذلك أخذت حلقات الشريط هنا أيضاً تتلاحــق بسرعة ، بتراجع أحياناً ، وتذبذب ، وتأرجح ، ثم تعود ، كما سنرى ، لتسير نحو نهاية الشوط،رغم تعنتها وإصرارها حتى آخر لحظة،تحت ضغط تطور الأحداث ، وأهمها اتساع فاتــح نوفمبر الذي فرض عليها في النهاية التطور المستقيم :

ففي بداية ديسمبر : انعقد مؤتمر حزب الاستقلال وطالب بالدفاع والدبلوماسية وأضاف :

« إن التداخــل (أو الاستقــــلال المتداخــل) يفتــرض الاستقلال»(318) مطالبا بالاستقلال قبل الكلام عن التداخل»(318) "l'interdépendance présuppose l'indépendance" . وطوال شهرى ديسمبر ويناير

(317) - Le Monde, 29 novembre 1955.
(318) - Le Monde, 04-05 décembre 1955.

استمر الأخذ والرد ، والوعد والوعيد ، والتردد ، والتأرجح والتلاعب أثناء المفاوضات الجارية .

وفي 09 فيفري 1956 : كتبت لوموند بإيعاز الموعزين :

« إن فرنسا تحتفظ في المغرب بالاختصاصات والامتيازات التي كانت لها بحكم معاهدة فاس (معاهدة « الحماية » سنة 1912) حتى نهاية المفاوضات الجارية .

« وهكذا فالدبلوماسية والدفاع يبقيان من اختصاص فرنسا » (319) .

وهذا بعد اتفاقيات إيكس ليبان ، بين الوفدين المغربي والفرنسي ، واتفاق انتسيرابي (مدغشقر) بين محمد الخامس والجنرال كاترو ، وبيان سيل سان كلو بين محمد الخامس وأنطوان بيناي !

وفي 24 فيفري 1956 : أي بأقل من أسبوع قبل توقيع البيان الفرنسي المغربي المعترف باستقلال المغرب ، وبأقل من شهر قبل نفس الشيء بالنسبة لتونس ، كما رأينا ، جاء هذا العنوان الكبير بحروف بارزة مشبعة حبراً ــ وكان فصل المقال ! ــ الذي سبق أن ذكرناه عند الحديث عن تطور الأحداث في تونس ، ونعيده هنا لأنه مرتبط بنفس الموضوع في المغرب : العنوان في صدر الصفحة الأولى من لوموند كان :

« ومن القطاع القسنطيني حتى الحدود المغربية يضاعف المتمردون الجزائريون عدوانيتهم » (320) :

"Du Constantinois à la frontière marocaine, les rebelles algériens redoublent d'agressivité".

---

(319) - Le Monde, 09 février 1956.
(320) - Le Monde, 24 février 1956.

وفي نفس العدد ، ولكن في الصفحة الثالثة ، عنوان آخر :

« المفاوضات الفرنسية المغربية » جاء تحته :

« يؤكد سي بكاي (رئيس الوفد المغربي في المفاوضات) أن المغرب لا يمكن أن يتفاوض في التداخل l'interdépendance . » فلابد له أن يتمتع بعد اليوم في مجالات الدفاع والأمن والدبلوماسية باختصاصاته كدولة ذات سيادة .

« وكدولة ذات سيادة أيضاً وعلى قدم المساواة سيدخل المغرب مع فرنسا في المحادثات التي ستحدد محتوى التداخل » (321) .
• (l'interdépendance)

وفي 25 فيفري : أي في اليوم التالى ، جاء في صدر الصفحة الأولى أيضاً من الجريدة المذكورة ، لوموند ، بحروف بارزة مشبعة حبراً ، هذا العنوان العميق مغزى ، وعبرة ، ودلالة ، الذي كنا أوردناه هو أيضاً في سياق تونس ونعيده هنا لنفس المعنى :

« الوضع العسكري في الجزائر يقلق الحكومة (الفرنسية)» (322): "La situation militaire en Algérie préoccupe le gouvernement"، وإلى جانبه موضوع آخر مرتبط به كل الارتباط هو : « خلافات جدية (كبيرة) بين الموقفين الفرنسي والمغربي » (323) "De sérieuses divergences entre les positions française et marocaine" جاء فيه :

« إن المغرب يلح على التفاوض للاعتراف له باستقلاله (التام) (l'indépendance) قبل التفاوض على الاستقلال المتداخل (أو التداخل "l'interdépendance") » (324) .

(321) - Le Monde, 24 février 1956.
(322) - Le Monde, 25 février 1956.
(323) - Le Monde, 25 février 1956.
(324) - Le Monde, 25 février 1956.

وفي نفس الموضوع وتحت نفس العنوان عن تونس أيضاً :

« المصمودي يطالب بالدبلوماسية والدفاع والأمن (الشرطة) والشؤون الاقتصادية » (324 م) .

فمن جهة كان الوضع العسكري في الجزائر مقلقاً للحكومة الفرنسية ، ومن جهة أخرى كان كل من تونس والمغرب يطالبان بإلحاح بالتعجيل بالاعتراف لهما بالاستقلال بجميع مميزاته واختصاصاته ... وتضطر فرنسا ... و « تسلم » في المغرب بأقل من أسبوع بعد ذلك ، وفي تونس بأقل من شهر ، « لتحتفظ بالجزائر داخل الإطار الفرنسي » ، كما قال إدغار فور ، وألان سافاري بعده ... بكل فصاحة وصراحة وبيان ، وبدون أي لف ولا التواء ولا دوران !

وفي 02 مارس 1956 ، أي بأسبوع فقط بعد ذلك ، : تعترف فرنسا للمغرب باستعادة استقلاله ، بكل مميزاته ، من دبلوماسية ، ودفاع ، وأمن ...

وفي 20 من نفس الشهر : أي بعد ثمانية عشر يوماً من استقلال المغرب ، تعترف فرنسا لتونس بنفس الشيء ، تحت الضغط ، « وإلا أضعنا كل شيء » ، كما قال سافاري ... أي « للمحافظة على الجزائر ... داخل الإطار الفرنسي » ، كما قال إدغار فور ، « التي هي لحمنا » "Notre chair" ، كما قال في سياق آخر ... أي بفقدان الجناحين للاحتفاظ بالجذع أو القلب ، قبل أن يضطروا الى أن يسلموا في هذه « الجزائر » ، « حفاظاً على وحدة فرنسا وروح جيشها » ، كما قال ديغول فيما بعد ... أي تسليما في الفائدة وإلاّ ضاع رأس المال !

(324 bis) - Le Monde, 25 février 1956.

ومع ذلك ! فهل انتهى كل شيء بالنسبة للبلدين الشقيقين بمجرد الاعتراف لهما بالاستقلال في 02مارس 1956 للمغرب ، وفي 20 منه لتونس ؟

لا وكلا ! بل أرادت باريس التراجع ... في كلتا الحالين ! فبخصوص تونس سبق أن أوردنا ، كمثل واحد فقط ، ذلك التصريح العنيف للرئيس بورقيبة مذكراً فرنسا ، حتى لا تحلم أو تنسى !

وبالنسبة للمغرب فقد كان هناك أيضاً رد عنيف في الرباط من المرحوم محمد الخامس أمام.ألان سافارى ، كاتب الدولة (الفرنسية) للشؤون المغربية والتونسية :

فعندما تعقدت المشكلة بين فرنسا والمغرب وتونس بعد ما يقرب من شهرين بالنسبة لتونس وشهرين ونصف بالنسبة للمغرب من توقيع وثيقتي اعتراف فرنسا باستقلال البلدين ، وأرادت باريس أن تتراجع بطريقة غير مباشرة عن هذا الاعتراف ، وأخذت تماطل ، وتسوف ، وتؤجل ، وتتلكأ ، وتراوغ ، وتتلاعب ، وتنكر على البلدين « البدء بممارسة استقلالهما قبل تنظيم التداخل » ، كان للبلدين موقفهما .

فقد سبق أن رأينا موقف الرئيس بورقيبة ، وها هو رد المرحوم محمد الخامس على الوزير الفرنسى في حوار ينبض حيوية ، وممتلىء مغزى ودلالة :

محمد الخامس :

« ... لا يليق بكم أن تصدموا عواطف الشعب المغربي ، مما يترك لديه الانطباع أن استقلاله لم يتحقق بعد .

« إن ما أمضى ينبغى أن يحترم ، والاتفاقيات المعقودة يجب **أن تنفذ** » .

ألان سافاري :

« حقاً،إن هناك اتفاقيات قد عقدت في خطوطها العامة . ولم يبق هناك إلا بضعة تفاصيل علينا تسويتها » .

محمد الخامس :

« إن التفاصيل كثيراً ما تكون ذات أهميـة كبيرة . وعلينـا ألا نتأخر في تسويتها ، وذلك لأن الوضع قد تدهور فجأة في هذه الأيام الأخيرة » (324)[3] .

وأمام تدهور الأمور هذا ، اضطرت الحكومة الفرنسية في النهاية إلى قبول الأمر الواقع واعتباره دائماً ، وكانت قد وقعت عليه على أمل أنه سيكون مؤقتاً ... ريثما تجهز على « حفنـة المتمردين في الجزائر » !

وعندما أفاق المنددون بـ « ضياع المغرب وتونس » ، وبخطر « ضياع الجزائر » ، أقامـوا الدنيـا وأقعدوها ، احتجاجاً عـلى سياسة حكومتهم . فاضطر أنطوان بيناي ، وزير خارجية إدغار فور ، إلى تبرير سياسة عهده ، وكان مما قال ، دفاعاً عن نفسه في البرلمان الفرنسي ، هذه الجمل التي تغني عن كل تعليـق ، مبرراً نفسه وملقياً المسئولية على من أتوا بعده :

« إن البيان الذي وقعته مع محمد الخامس في سيل سان كلو يوم 06 نوفمبر 1955 هو مجرد بيان طبقاً لإعلان الحكومة في فاتح أكتوبر 1955 (اتفاقيات إيكس ليبان) عن اعترافها للمغرب بحقه في السيادة على أساس معاهدة فاس ، مع **الاحتفاظ لفرنسا بالميدانين الخاصين المحتفظ بهما فعلا في النص** (domaines réservés) ، **اللذين هما الدبلوماسية والدفاع .**

(324 ter) - Le Monde, 15 mai 1956.

« وقد تقرر أن الحكومة المغربية التي ستؤلف على أساس بيان سان كلو هذا (الذي أمضاه هو مع محمد الخامس) لن تتضمن وزير دفاع في المغرب ، وذلك أن معاهـــدة فاس لم تكن قــد مزقت : ("le traitéde Fès n'était pas déchiré").

« والذي تم فيما بعد (أي الاعتراف للمغــرب باستقلالــه يوم 02 مارس 1956) لست مسئولا عنه .

« وإن ادعاء أن الوضع الحالى (استقلال المغرب) ناجم عــن بيان سيل سان كلو غير صحيح ، وذلك أن الذين جاءوا بعدي اعترفوا بالاستقـــلال للمغــــرب بدون توضيح التداخــــل "l'interdépendance" » (325) .

ونود أن نورد هنا مرة أخرى دفاع مسئول فرنسى آخر عن سياسة الحكومة التى كان عضوا فيها ، بعد أن عرضناها في سياق الحديث عن تونس ، لورود كل مـــن المغرب وتونس في ذلــك التصريح ، وارتباط ذلك التطور المبارك للأحداث في سيـــاق اشتداد فاتح نوفمبر ورغبة فرنسا في التفرغ للجزائر ، وهــو تصريح آلان سافارى ، كاتب الدولة الفرنسى للشؤون المغربية والتونسية ، في البرلمان الفرنسى بنفس المناسبة المذكورة آنفاً ، التي دافع فيها أنطوان بيناي عن نفسه ، هـــو أيضاً ، وهـــي المناقشات في البرلمان الفرنسى .

قال سافارى :

« لو كنا في ظروف طبيعية لاشترطنا تفصيل وتوضيح ذلك التداخل "l'interdépendance" مع المغرب وتونس قبل الاعتراف لهما بالاستقـــلال .

(325) - Le Monde, 03-04 juin 1956.

« ولكن في الظروف السائدة إذ ذاك لو تشددنا لـ
شيء ، ولاستقل المغرب وتونس بدوننا أو ضدنا » (326) .

(والظروف السائدة التي يشير إليها سافارى هي تلك التي أشرنا إليها آنفاً : وهى أن الاعتراف باستقلال المغرب جاء بأقل من أسبوع واستقلال تونس بأقل من شهر من ذلك العنوان اللامع بالحروف الكبيرة المشبعة حبراً في وسط الصفحة الأولى من لوموند الذي ذكرناه آنفاً ، وهو :

« المتمردون الجزائريون يضاعفون عدوانيتهم من حدود تونس إلى حدود المغرب » ! بالإضافة إلى حوادث دامية وقعت في المغرب ولا تزال إذ ذاك تقع من حين إلى آخر ، ومن تهديد باستئناف الكفاح في تونس ، فضلا عن الرأي العام العالمي .

ويستأنف سافارى فيقول :

« ولهذا فالحكومة قد اختارت الاعتراف باستقلال تونس والمغرب ، بينما الطرفان (المغربي والتونسى) قبلا (شفويا) بدون لبس ولا غموض بالتداخل "l'interdépendance".

« وهذا هو هدف البيان الفرنسى المغربي déclaration في 02 مارس 1956، والبروتوكول الفرنسى التونسى في 20 مارس 1956 .

« والآن اتساءل : أين كانت ستؤدي بنا أية سياسة أخرى غير هذه في البلدين ؟ **كيف ستكون عواقب صراع شامل** conflit généralisé ؟

« ولذا فسياستنا هذه هي الوحيدة الممكنة » (327) .

(326) - Le Monde, 03-04 juin 1956.
(327) - Le Monde, 03-04 juin 1956.

فأمام « مضاعفة المتمردين الجزائريين عدوانيتهم من حدود تونس إلى حدود المغرب » ، وأمام التهديدات في المغرب وتونس، أي خوفاً من « الصراع الشامل » في بلدان المغـــرب كلها ... ورغبة في التفرغ للجزائر « للاحتفاظ بها في الإطار الفرنسى »، رضخت فرنسا في المغرب وتونس وفي الفزان في ليبيا !

وهل هناك شيء آخر أبلغ دلالة على الوحدة ؟ وهل هناك ترابط أوثق من هذا الترابط ، « وتداخل » أمتن من هذا التداخل ، وتكامل أكمل من هذا التكامل بين بلدان المغرب الكبير ؟

فلقد استفادت البلدان الثلاثة الشقيقة من فاتح نوفمبر ، واستفاد فاتح نوفمبر من استفادتها منه ، وكانت الفائـــدة للجميع ، واستقلت البلدان الشقيقة ، ووجدت الجزائـــر في كفاحها متنفسا فيها وسنداً لديها، وكان الكل كالجسد الواحد... إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، واستعـــاد الجميع الاستقـلال والحرية والكرامة ، بدون ذلك الترابط العضوي مع ما وراء البحر ، أو ذلك « التداخل » مع ما وراء البحر ، أو « الاستقلال المتداخل » (l'indépendance dans l'interdépendance) ، بل الاستقلال وحده (l'indépendance tout court) ، وسبحان الواحد الأحد الذي لا شريك له !

أو ليس في الماضى درس للحاضر والمستقبل ، فضلا عن جميع الاعتبارات العديدة الأخرى من حضارية ، وثقافية ، وروحية، وتاريخية ، وجغرافية سياسية ، كنواة صلبة ووحدة صحيحة متكاملة تكوّن جزءاً كبيراً من كل أكبـــر ... ليس فقط عـــلى المستوى المغربى المشرقى ، بل عـــلى المستوى الإسلامى بمليارِه من البشر وطاقاته ، ونحن في عصر التجمعات الكبرى ؟

4 ـ **وفي افريقيا :** المستدمرة فرنسياءأو «الممتلكات الفرنسية في افريقيا » ، كما كانوا يقولون ، نجد أيضاً أن كفاح الجزائر لم يكن غريباً عن التأثير في مصيرها والمساهمة في التعجيل حقاً باستقلالها .

ويكفينا أن نورد هنا نصين اثنين :

أحدهما : لإدغار فور في آخر سنة 1955 ، وهو رئيس حكومة، وفي عز انطلاق فاتح نوفمبر :

« **علينا أن نكسب التسابق مع الساعة (مع الزمن)** . وذلك أن مشاكل افريقيا **السوداء ستطرح وتفرض نفسها علينا تماماً مثل مشاكل شمال افريقيا** » (328) .

وثانيهما : للجنرال ديغول ، وهو يشرح سياسته فيما بين 1958 و 1962 :

« وهكذا أخذت أراضى افريقيا « الفرنسية » ومدغشقر طوال سنتي 1959 ـ 1960 تنتظم وتتكون دولا حسب طرق ديمقراطية » (329) . وأضاف :

« وتحولت مستدمراتنا السابقة في القارة السوداء وكذلك الجزيرة الكبيرة على المحيط الهندي (مدغشقر) إلى جمهوريات بمساعدتنا ، لأنني قدرت كم من ثورة قد تقوم في ممتلكاتنا السابقة إذا ما رفضنا لها ما هو عدل وإنصاف ، من جهة ، **ولا مفر منه ، بل سيكون واقعاً محتوماً ، من جهة أخرى ، في تيار الحقائق النفسية السياسية (الحرب المتواصلة في الجزائر ... !)** .

(328) - Le Monde, 28 décembre 1955.

(329) - Charles de Gaulle : Mémoires d'Espoir – Le Renouveau, p. 68.

« ولهذا قررت أن احرر فرنسا من التكاليف الباهضة والخسارات المرهقة الآخذة في الازدياد باطراد ما لم أخلص فرنسا منها » (330) .

ثم يقول عن الجزائر ، في سياق الكلام عن « الجزائر الفرنسية » :

« ومن جهة أخرى تحققت من أننا ، بمواصلة صراع خيالي إلى ما لا نهاية ، **نعرّض روح جيشنا ذاته ، ومن خلاله وحدتنا الوطنية نفسها أيضاً ، للغطر** » (331) :

.("l'âme même de notre armée et, à travers elle, notre unité nationale").

فواضح،إذن،دور الجزائر في المساهمة في التعجيل باستقلال بلدان المغرب الكبير وافريقيا المسماة إذ ذاك بالفرنسية ، زيادة عن تحرير نفسها ، بجهودها وتضحياتها ، وبمساعدة إخوان وأصدقاء ، وهي التي كانت عاصمتها عاصمة فرنسا بالذات ، « ولم وعظم فرنسا » ، حسب تصريحات العديد من المسئولين الفرنسيين ، وخاصة منهم إدغار فور ، رئيس الحكومة الفرنسية إذ ذاك ، وألان سافارى ، كاتب الدولة للشؤون المغربية والتونسية ، والجنرال ديغول ، رئيس الجمهورية الفرنسية !

هذه بعض ردود الفعل ومآثر نوفمبر ، الذي كان دمه أذكى من أي أريج أو عنبر ، ختم جهاد قرون متواصلا طويلا ، وتوج بأعظم نصر وإن تضمن أسى وعويلا !

فبذلك تعززت وحدة الأمة وسلامة الأراضي ، بالأخوة والتكاتف والتراضى ، من شاطىء البحر وصخور الجبال إلى أقصى الرمال ، بالجو وطريق الوحدة أو على ظهور الجمال ، وتم

(330) - Charles de Gaulle : Mémoires d'Espoir - Le Renouveau, p. 69.
(331) - Ibid, p. 79.

لبلادنا ما استحقته من طيران سمعة ، وكل بادرة أو خطوة منها لها جاذبية ولمعة ، بالأصالة وروح زيرى وطارق وأبى زمعة !

والآن وقد استرجعت الأمـة الحرية ، واستردت استقلالها ومكانتها بين أمم البرية ، لها أن تحقق ما هي به الجديرة الحرية، من بنـاء متكامل بشرط تحصين الذرية ، ورعايتها كما ترعى الغروس الطرية !

فقد سلم اللـه وائتلف الشمل ، فإلى العمل الجـدي بالعقل ودبيب النمل ، بمشاركة الجميع ليخف الحمـل ، وإلى استثمار خصيب الأرض واستصلاح الرمل !

ولقد حـان وقـت تصحيح التاريخ ووضع المعاجم ، وزرع الأرض وتصنيع المناجم ، وتحصين البـلاد ورد المهاجم ، مـن الإخوة المسلمين أو الخصوم الأعاجم ، من خضراء الدمن أو الأمم ذوات التراجم .

وإن أخطأ أحد فمن لم يخطىء أبدأ في التقدير ؟ ومن الذي لم يتعرض ولو مرة للتخدير ؟ ولم يقع صفاء ذهنه قط ضحية التكدير ؟

وقانا الله من سوء الفعلة والقولة الشاتمة ، وهدانا قبل أن تخنقنا الكاتمة ، وضمن لنا الثبات على الحـق وحسن الخاتمة ، ونجانا من عذاب الحفرة القاتمة !

وأخيرأ ارجو ألا اكون قد ظلمت نفسي بظلم أحد ، حتى لو أخطأ أو مع الشيطان اتحد ، فسبحان الـذي لا يخطىء الواحد الأحـد !

فلقد استقصيت جـرائد الأحزاب والهيئات ، وحققـت في مجـلات المنظمات والفئات ، وحرصت عـلى إيـراد نصوصها

بحروفها ، وبيان مناسباتها وظروفها ، باليوم والشهر والسنة الترتيبية مع الجارية ، بقدر ما حافظت عليها الرقابة الوحشية الضارية ، لأعرف واعرض الحقيقة المجردة العارية ، متوخيا المناهج والطرق العلمية السارية ، وإن أخطأت فالغفران والرحمة الإلهية البارية !

نعم ، فإن أجحفت فللواثق أن يقدم تصحيحاً ، موفياً الكيل والميزان لا مطففاً شحيحاً ، وعلى كل منا أن يكون قدر الإمكان صادقاً صريحاً ، بدون أن يرجف بأحد ويتركه جريحا ، ولا أن يلوي عنق التاريخ ويذره طريحاً ، ولا أن يبنى للحقيقة قبراً ولا ضريحا !

نأمل أن يصحح تاريخنا ولا يبقى المزور الشاحب ، ولا نراعي في الحق الأخ ولا القريب والصاحب ، وأن نقلع عن الإهمال والضياع المصاحب ، وإلا فكل منا على التاريخ أصبح الباكي الناحب !

غفر الله لنا جميعا وهدانا ، ورحم شهداءنا وهم فدانا ، فذكراهم لحمتنا وسدانا ، وفتح قلوبنا لندائهم الذي نادانا ، وعزز إخاءنا ففيه حياتنا أو ردانا ، وجعل صادقا مخبرنا وصدانا، والسلام على من به كان هدانا !



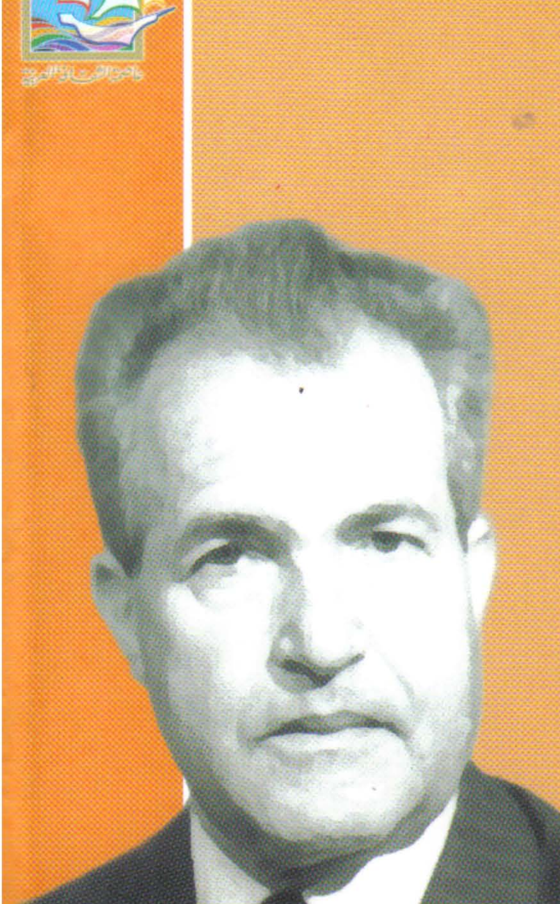
الفهـــــرس

طباعة دار الأمة

2007

ص. ب 109 برج الكيفان 120 16 الجزائر

هاتف / فاكس: 04 22 20 021



مولود قاسم نايت بلقاسم

من مواليد 06 جانفي 1927 بقرية بلعيال، بمنطقة آيت عباس، دائرة أقبو، ولاية بجاية. و«قاسم» لقب استعارة في مرحلة النضال والجهاد.

تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزء من القرآن الكريم في مسجد القرية، ثم انتقل إلى زاوية سيدي يحيى العيدلي بتمقرة، فحفظ القرآن الكريم ونهل من العلوم الشرعية وعلوم اللغة على يد العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، حفظه الله. واصل مشواره الدراسي في مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين بقرية قلعة بني عباس، ثم بجامع الزيتونة في تونس سنة 1946، والتحق بعدها بجامعة القاهرة سنة 1950 ودرس في قسم الفلسفة ونال شهادة الليسانس بامتياز. وفي سنة 1954 انتقل إلى باريس لتحضير الدكتوراه في الفلسفة حول «الحرية عند المعتزلة». وقد أعد جزء من الرسالة إلا أن ظروف الكفاح المسلح ونشاطه النضالي سببا له مضايقات البوليس الفرنسي، فاضطر إلى التوجه نحو (براغ - عاصمة التشيك)، ثم انتقل إلى بون عاصمة ألمانيا الغربية آنذاك سنة 1957 لإعداد رسالة حول: «مبدأ الحرية عند كانط»، لكن ظروف الكفاح والمسؤوليات الملقاة على عاتقه حالت دون إنهاء رسالته، فتوقف عن الدراسة وتفرغ للعمل السياسي والجهادي.

ورغم كثرة المهام وتراكم الأعمال فإنه استطاع أن يجيد عدة لغات: فإلى جانب اللغة العربية، الفرنسية، والأنجليزية، الألمانية، والسويدية، كان يتحدث اليونانية واللاتينية والجرمانية والسلافية والرومانية.

تقلّد بعد الاستقلال عدة مسؤوليات: مديرا في وزارة الخارجية، وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية ومستشارا لرئيس الجمهورية، ثم مسؤولا في حزب جبهة التحرير مكلفا بتعميم استعمال اللغة الوطنية. ومع المسؤوليات الثقيلة فقد ألّف عدة كتب ونشر مقالات، في الفكر والثقافة والتاريخ، ونظم ملتقيات دولية في الفكر الإسلامي وطبع أعمالها من محاضرات ومناقشات، وأنشأ عشرات المعاهد للتعليم الأصلي ونظم الحج إلى بيت الله الحرام، ووضع القانون الأساسي للأئمة وعمال السلك الديني، وشرع في إنشاء المراكز الثقافية الإسلامية، وأسّس مجلة الأصالة ذات الشهرة الواسعة، هذا دون أن ننسى جهاده المتواصل في ميدان تعميم استعمال اللغة الوطنية في الإدارة العمومية والمؤسسات، وأسّس إلى جانب المجلس الإسلامي الأعلى، المجلس الأعلى للغة العربية، وأكاديمية اللغة العربية.

كان مناضلا مخلصا ومجاهدا شجاعا مرابطا، منذ صباه حتى وافاه أجله يوم الخميس 27 أوت 1992، رحمه الله.


ISBN 978-996167228-X
9 789961 672280